سياحة العارفين

فوزي محمد أبوزيد

دار الإيمان والحياة



الكتاب	سياحة العارفين
المؤلف	الأستاذ فوزى محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	١٧ جمادى الثانى ١٤٣١هـ، ١ مايو ٢٠١٠م
عدد الصفحات	٢٨٨ صفحة
المقاس	١٧ سم * ٢٤ سم
الورق	٨٠ جم
الطباعة الداخلية	١ لون ، أسود
الغلاف	كوشيه لميع ٣٠٠ جرام
طباعة الغلاف	٤ لون، سلوفان مط
إشراف	دار الإيمان والحياة- ١١٤ش ١٠٥- المعادى- القاهرة- جمهورية مصر العربية، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠-٢-٠٠٢٠
طباعة	دار نوبار للطباعة
رقم إيداع محلى	٢٠١٠/٩٨٩٨
الإيداع الدولى	ISBN:977-17-8885-X



مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله واهب العطاء والنوال، ومفيض النور والعناية للكمل من الرجال والصلاة والسلام علي تاج البها العالي، وسر الإصطفا الغالي سيدنا محمد كنز الهدي والنور المتلالي وآله وصحبه ومحبيه وحزبه وكل من اتبع نهجه إلي يوم الدين آمين وبعد

فإن للعارفين سياحات كثيرة منها: السياحة الكونية وتكون في عالم الكون لتهذيب النفس ورياضتها، أو التفكر في آثار قدرة الله، والتعرف علي بعض مظاهر نعم الله علي خلقه، وقد تكون للجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله.

وقد تكون لنشر العلم النافع، وإكساب واكتساب الحال الرافع، وأحياناً تكون السياحة لعمل من أعمال البر والخير كالتعرف علي الصالحين وإصلاح أحوال المسلمين، والتخفيف عن البؤساء والمساكين، وصلة ذوي الأرحام، وحل مشاكل المسلمين وغيرها من أعمال الخير التي حببها الله ﷻ لعباده الصالحين.

ومنها السياحة الملكوتية وقد تكون مناماً بالرؤيا الصالحة وقد تكون يقظةً إذاً كشف الله الحجب عن القلب فيستضئ بنور الله ﷻ فيتحقق بقول الرجل الصالح:

قلوب العارفين لها عيون ... تري ما لا يراه الناظرون
وأجنحة تطير بغير ريش ... إلي ملكوت رب العالمينا

فيشاهد الصالح بقلبه عوالم الملكوت الأعلى وما فيها من أرواح الملائكة، ونعموت المقربين وغيرها من خبايا الملكوت إرثاً للخليل حين قال له الجليل:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ [الأنعام]

فصاحب هذه المشاهد يكون من الموقنين، ولا يصل إلى هذا الحال إلا بعد أن

يهب الله له من عنده علوم اليقين .. فيحققه بقوله عزَّ شأنه فى سورة التكاثر:

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾

وفي هؤلاء الرجال يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

إن الرجال كنـــوز ليس يدريهـــــا إلا مـــراد تحلي مـــن معانيهـــا

في الأرض أجسامهم والعرش مقعدهم قلوبهـــم صفت والله هاديهـــا

همو الشموس لشرع المصطفي وهمـــو سفينة الوصل باسم الله مجريهـــا

وهناك سياحة بالروح في عوالم القدس الأعلى ... حيـــث تـــشهد الـــروح في صفوها بفضل رها عوالم سدرة المنتهي ... وعوالم العرش ... وعوالم اللوح ... وعوالم القلم ... وغيرها من العوالم القدسية.

أما سياحة نفخة القدس ففي شميم من مشاهد ﴿ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ ﴾ [النجم]

وهكذا فلكل حقيقة سياحاتها، ولكل سياحة مشاهدها وعلومهـــا وأســـرارها، وتفصيل ذلك يقول فيه العارف الرباني الإمام أبو العزائم ﷺ:

يا مريداً شهود ما قـــد شـــهدنا فاخلع النعل واســـتمع لمقـــالي

هذا وقد تفضل الله ﷻ علينا – مع أننا لسنا أهلاً لذلك – ببعض الـــسياحات الكونية لزيارة إخواننا في الله تعالى في شتي البلاد .. وتفقد أحوالهم .. وإشاعة المحبـــة والمودة فيما بينهم .. ونشر العلوم الشرعية والوهبية التي يقتضيها الوقت والمقام لهم .. وإيقاظ الغافلين .. وإعلاء عزيمة القاصدين .. وتوجيه السالكين .. وإرشاد المـــريدين؛ وكل ذلك طلباً لمرضاة الله ﷻ أولاً، ومتابعة الحبيب ﷺ ثانياً، وقياماً بالواجب علينـــا نحو إخواننا والمسلمين أجمعين ثالثاً.

وقد طلب مني بعض الإخوة الصادقين نشر رحلة متكاملة تكون نموذجاً يحتذى لهم، وقد قيض الله ﷻ إخوان صدق لنا سجلوا الرحلة التي قمنا بها إلي محافظتي أسوان وقنـــا ومدينـــة الأقـــصر في الفتـــرة مـــن الأربعـــاء ٢٠٠٨/١/٢٣م إلي الجمعـــة

١/٢/٢٠٠٨م؛ فاستخرنا الله تعالي – بعد مراجعتها وتهذيبها– في نشرها، ولا نبغي من وراء ذلك إلا رضاء الله ﷻ والنفع العام لإخواننا المسلمين، وقد آثرنا فى تجهيزها للنشر؛ أن نتركها كما هي بحسب ترتيب أيام السياحة .... فما تراه أخي القارئ أمامك؛ هو جملة من المعارف العلمية التي أفاضها الله ﷻ علينا أثناء زيارتنا لإخواننا في هذه الأماكن بحسب التنزلات الوقتية .. والأرزاق الإلهية ... ووسعة قلوب السامعين.

وفقنا الله ﷻ بمنه وفضله لما يحبه ويرضاه في كل وقت وحين

وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

مساء الخميس ٦ من شعبان ١٤٢٩ هـ

٧ من أغسطس ٢٠٠٨م



البريد: الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية

تليفون: ٠٤٠-٥٣٤٠٥١٩، فاكس : ٠٤٠-٥٣٤٤٤٦٠

موقع الإنترنت: WWW.fawzyabuzeid.com

البريد الإليكترونى:

fawzy@fawzyabuzeid.com
fawzyabuzeid@hotmail.com
fawzyabuzeid@yahoo.com

المجلس الأول

الصوفية وسندهم من الدين[1]

أدرج هذا المجلس بالطبعة الثانية من كتاب " الصوفية فى القرآن والسنة" .

المجلس الثانى

جمال خاتم الأنبياء على المقربين والأولياء[2]

بسم الله الرحمن الرحيم .... الحمد الله الذى أكرمنا بحبيبه ومصطفاه سيدنا محمد و آله وصحبه ومن والاه، صلى الله عليه وعلى آله الأبرار وصحابته الأخيار والمهتدين بهديه إلى يوم القرار وعلينا معهم أجمعين آمين ...آمين يا رب العالمين .... إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين ...

أول جمال يلوح للسالك فى طريق الله ﷻ وينبىء أنه أصبح مؤهلاً للوصال أن يرى جمال رسول ﷺ فى كل من تحلى به أو ظهر عليه من رجالات الله ﷻ المعاصرين والسابقين، فإذا نظر إلى فتح علمى فتح الله به على رجل ولي؛ يعلم علم اليقين أن هذا الفتح بسر خص به النبى هذا الولي، لكن السر من أجل حضرة النبى ﷺ ولو سلب حضرة النبى – ولا يحدث ذلك – خصوصيته؛ لصار هذا الولي ليس معه علم ولا قول ولا جمال فى البيان ولا فى الكلام، وإنما جمال البيان وجمال التبيان هو جمال النبى العدنان ظهر على لسان هذا الرجل ليبين للخلق أن الله قد اجتباه وربَّاه رسول الله ومنحه

---

١ صحارى اسوان، الأربعاء ١٥ محرم ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨/١/٢٣م، بمنزل الحاج / أحمد عبد الباسط.
٢ مستعمرة إدفو، الخميس ١٦ محرم ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨/١/٢٤م، الدرس بعد صلاة الظهر بمنزل الأستاذ / عبد الجواد.

منحة من خصوصياته وهو بذلك صاحب خصوصية عند الله ورسوله ﷺ.

إذاً فقد رأى السالك جمال رسول الله وإذا رأى جمال كشفى من رجل خصّه النبى بشئ من علم الفراسة ناله بسر الوراثة فأصبح يتفرس فى وجوه الحاضرين ويكاشفهم بما يلهمه الله ﷻ به فى القلب والجنان فيتعجبون من معرفته ببواطنهم ومن مكاشفته لدخائلهم لكن كما قلت فإن صاحب مقام الجمال يرى أن هذا جمال الحبيب تجلى على قلب غير معيب فأظهر فيه بضاعة الحبيب ﷺ.

باختصار يرى الرجال أهل الكمال وهم الذين لا يتركون شريعة الله طرفة عين ولا أقل؛ فكل من تخلى عن الشريعة ولو لحظة فنحن مأمورون بعدم اتباعه حتى ولو ظهرت له أحواله ولو كان من أهل الكشف العالي، ولو كان من أهل العلوم الراسخة، إلا أن العبرة فى الإتباع بحسن متابعة رسول الله، فكشفه وعلمه له وكذلك فتحه له، لكن البرهان الذى وضعه الله لي لكى أتبعه أن يكون صورة فى سلوكه وعمله وحاله من رسول ﷺ وشرعه، ولذلك قال الإمام محى الدين بن العربى ﷺ :-

لا تقتدى بمن زالت شريعته ولو جاك بالأنبا عن الله

أى حتى لو جاء لك بالأنباء والأخبار من الله أيضاً لا تتبعه حتى لو تحققت أنه رجل صاحب صولة وصاحب حال وصاحب جذب فعلي هنا ألا أعترض عليه ولا أتبعه لأننى مأمور أن أتبع من قال الله ﷻ فيه فى [١٠٨يوسف]:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾

فمن أتبعه يكون شرطه الأول أن يكون أول عامل بالشريعة فى زمانه وعصره وأوانه ولا يترك ميزان الشرع فى أى قول أو فعل طرفة عين ولا أقل ولذلك يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ :-

وهذا ميزان نزن به المريدين لأن منهم الصادقين ومنهم الدخلاء فحضرات الصالحين مثل المسجد ولا يستطيع أحد طرد من يصلى فى المسجد – والميزان هو

من خالف الشرع الشريف فليس من آل العزائم فافهمن برهانى

فمن يخالف الشرع فليس منا يا أحباب فى أى أمر من الأمور سواء فى أمور العبادات فى الصلاة والزكاة والصوم والحج أو فى أمور المعاملات كالبيع والشراء أو فى أمور الحقوق والواجبات كالميراث والزواج والطلاق والحقوق الشرعية الواجبة عليه لزوجته أو لأولاده أو الوالدين وهذه حقوق أولى الناس بالقيام بها هى نحن المنتسبين للصالحين الذين نحرص دائما على اللحاق بركب المتقين والعارفين ﷺ.

إذاً البرهان على أن هذا السالك يمشى على المنهج الصادق أن لا يخالف شرع الله ﷻ لنفرض أنه قصر فى بعض الأمور الشرعية فاعلم من تقصيره أن أحواله تدل على أنه ليس على الطريقة المرضية. فإذا كان مثلا لا يحافظ على صلاة الفجر فى الجماعة الأولى أو فى الوقت الأول ويصليها بعد شروق الشمس فإن ذلك عنوان على أنه من المريدين الكسولين وهو هنا ليس بقدوة ودخل فى وصف كريه يقول فيه الله:

﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ [١٤٢ النساء]

فالمؤمن الصادق عندما يسمع النداء يقول ﷺ والمؤمن الأصدق منه لا ينتظر حتى يسمع النداء بل إنه يقوم ويجدد وضوءه ويجهز نفسه قبل النداء والمؤمن الأعظم من ذلك هو الذى يقدم شئ لله قبل النداء ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٢﴾ ﴾ [المزمل]، هل وحده ؟ لا ... فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [٢ المزمل]

وهؤلاء أصحاب المقام الأعلى. وهذه الأمور يوضحها لنا الله لنحكم بها على الرجال والميزان الذى نحكم به على الرجال: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ [٣١ آل عمران] هو المتابعة وكلما كان الرجل أكثر وأشد فى المتابعة كلما كان أعظم فى الدرجة عند الله وأكثر قرباً من حبيب الله ومصطفاه وذلك ما قال لنا فيه ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا ﴾ – وهذا إسم إشارة –﴿ صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا ﴾– ولم يقل فامشوا عليه ... لكنه قال:﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾– وهذا معناه أنه شخص ... إذاً الصراط المستقيم هنا هو رسول الله ﷺ :﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا ﴾ [١٥٣ الأنعام].

من الذى شهد له بالاستقامة ؟ ربُّ العزة ﷻ ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ فيم نتبعه يا رب ؟

فى الاستقامة على شرع الله .. والعمل الرافع الذى يرضى الله جلَّ فى علاه ... وهـذا هو الميزان الذى يوزن به أحوال الرجال !! وليس الكرامات! لأن الكرامات أحياناً تكون استدراجاً، وأحياناً تكون مكراً خفياً، وأحياناً تكـون تأييـداً مـن الله ﷻ ... والرجال الذين يؤيدهم الله بالكرامات لا ينظرون إليها ولا يتحدثون عنها لأنها ليست محل نظرهم!! لأن محل نظرهم هو الله جلَّ فى علاه.

أما من يتحدث عن نفسه بالكرامات فمازال بينه وبين الرجال أهـل وراثـة رسول الله آلاف المقامات وذلك لأن أهل البداية الذين نريد أن نتوجهم بتاج العنايـة ونلبسهم جلباب الولاية نقول له أن أول شرط لك أن تضع نفسك تحت الأرض.

فلا تتكلم ولا تفرح عندما يكلمك أحد عن نفسك ولا تبتهج عنـدما يـثنى عليك أحد أو يشكرك على عمل أو فعل من الأفعال لأنك لو فرحت بـذلك فـإن نفسك مازالت حية والشيخ ابن عطاء الله السكندرى ﷺ قال :-

"إدفن نفسك فى أرض الخمول تشرق عليك أنوار الوصول فكما أن كل نبت لم يوضع فى بطن الأرض لا يثمر" فهو النبت الذى يخرج ساق وأوراق ويؤتى بالثمار.

أما البذرة التى على وجه الأرض ونبتت فمن السهل أن تميل من الـريح لأنـه ليس لها أساس وإذا مالت تذبل وتموت. إذاً الرجال الراسخين الذين يقول فـيهم رب العالمين:﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ [٧ آل عمران].

هؤلاء الرجال هم الذين زرعهم العارفون فى أرض الخمول ... بمعنى نزعـوا منهم حبَّ الشهوة وحبَّ السمعة وحبَّ الرياء وحبَّ الظهور والإعجاب بالنفس ... إلى أن زرعوه فى أرض الإخلاص، والإخلاص هو الذى ينبت للإنـسان فى قلبـه ... ويجعله من عباد الله الخواص :

{ قال الله الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحبُّ لا يطلع عليه ملكٌ فيكتبه ولا شيطانٌ فيفسده } ٣

٣ أورده ابن العربي في " المسلسلات، (فتح البارى) ج٤ ص٥٩٤.

لكن من صاحب الصالحين وأخذ بعض الماء من معارفهم ومشى بها فوراً عندما يلتف حوله بعض الناس يغتر بهم فيميل بهم فلو نظر لنفسه ووجد أنه أصبح بليــغ فى الخطابه و له معجبين وله سامعين فإنه يضيع ويميل مع من مالوا. لكــن يجــب علــى الإنسان أن يضع نفسه تحت التراب والتراب هنا هو تراب العبودية لله ﷻ. أى يجعل نفسه تحت مقام العبودية. فلا يريد أن يكون أمير جماعة ولا يريد أن يكــون ظــاهراً بالولاية ولا يريد أن تظهر على يده الكرامات ولا يريد أن يبهر الناس بما يقوله مــن العلم والكلمات ولكنه يريد رضاء الله جل وعلا.

وإذا استطاع أن يوحد هذا المراد فاز بكل مراد وأظهره الله بعد ذلك زهراً يانعاً ندياً يعجب الزراع كما يقول الله ﷻ فى أصحاب الحبيب الشفيع ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ففى (سورة الفتح آية ٢٩) قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾.

إذاً فكل جمال لمن وصلوا إلى مقام العبودية يرونه من حبيب الله ومــصطفاه .. ولذلك لا تجد عنده عصبية للشيخ فلان أو للطريقة الفلانية وذلك لأن كل العــارفين تأتى معارفهم من سيد الأولين والآخرين وكل الأنوار فى قلوب الصالحين والأبرار فإنها هى قبس من مشكاة النبى المختار وكل الكرامات والآيات التى أيد بهــا الله الأوليــاء والصالحين من البدايات إلى النهايات إنما هى بسر الإمدادات التى تفاض عليهم مــن سيد السادات ﷺ.

إذاً لما جمل الله كل العارفين السابقين والمعاصرين واللاحقين سواءاً بجمال البيان أو العلم أو بجمال الكشف أو بجمال الحال أو بجمال الآيات؟ جملهم الله لإظهار حبيبه ومصطفاه، وتأييد دين الله وشرع الله الذى جاء به من عند الله. فهم ليسوا مرسلين أو أنبياء ... لكن كل الغاية من ذلك كما قلت تأييد دين الله وإظهار جمال رسول الله.

إذاً كلهم يدعون لرسول الله، ورسول الله يدعو إلى حضرة الله ، فلم الخــلاف إذاً بين الصالحين والعارفين من عباد الله ...

وكلهم من رســـول الله ملتمـــسٌ رشـــفاً من البحـــر أو غرفاً من الديم

ولأن الله ﷻ أعطى لسيدنا رسول الله ﷺ وسعةً لا نهائيةً ... فإنه يُجمِّل كـــل رجل من الصالحين بخصوصية ... فكما جَمَّل الله ﷻ الأرض بالفواكه لأن كل أرض لها فاكهة ... فبلادنا هنا مثلا بها فواكه الموز والنخيل والعنب والبرتقال واليوسفي والمانجو وكذلك كل بلد من بلاد الله جعل الله لها ثلة من الفواكه المباركة وذلك لكى يكـــون لكل بلد خصوصية!! والفواكه كلها حلوة الطعم، لكن كل فاكهة لها شكلها وحجمها ولها نكهتها وكلها تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكـــل: ﴿ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾ [٤ الرعد].

كذلك على نفس الشاكلة جعل الله فى كل أرض وفى كل زمان رجـــالاً مـــن العارفين، وجعل لكل واحد منهم جماله !وله خصاله! وله وصاله! وله كماله!... والممدُّ للكل هو سيدنا رسول الله ﷺ ويمد كل واحد منهم على حسب الأرض التى نشأ فيها وميول المحبين الذين يحيطون به وأذواق السالكين الذين يتوجهون للأخذ على أيديهم

فكما أنك مثلا إذا كنت تحب الموز ولا تحب التفاح ووجدت رجـــلا بجـــوارك يحب العكس .. فانت لا تعترض عليه ولا يهو كذلك؛ وهكـــذا أحـــوال الـــصالحين الصادقين وأتباعهم الناهجين على نهج سيد الأولين والآخرين : فما لنا وهذه القـــضية ولم نقول شيخناً أفضل من شيخكم أو طريقتنا أفضل من طريقتكم؟! إنها كلـــها مـــن رسول الله! وكلها تدعو إلى رسول الله! ورسول الله يدعو إلى الله ..

لكن كل رجل له جماله وله كماله وله وصاله وكما قال سيدى عبد الوهـــاب الشعرانى ﷺ وأرضـــاه قـــال تعـــالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [٢٨٥ البقرة]، قال ﷺ وكما قال الله :﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [٢٨٥ البقرة] فكذلك نحن لا نفرق بين أحد من أوليائه.

فنحن لا نفرق بين الأولياء لكن هذه الخصوصية للأولياء أما الأدعياء فلا شأن لنا بهم وعلينا أن نزنهم بميزان شرع الله فمن سقط من ميزان الشرع فلـــيس لنـــا أن

نتعرف عليه أو نذهب إليه أو نتابعه أو نجالسه إلا إذا رجع لشرع الله جل فى علاه ولو كان من المجذوبين فلا نطلب منه حتى أن يدعو لنا لأن الله أعلم بشأنه وبحاله وربما إن طلبت منه أن يدعو لي يدعو علي لأنه يرى أن ذلك هو الصالح لي وذلك لأن المجذوب لا يرى الأكوان وقد أذهب إليه ليدعو لى بسعة الأرزاق وهو يرى أن الفقر أفضل من الغنى فيدعو لى بالفقر فهل أفرح بهذه الدعوة؟ ودعوته مستجابة فالأولى هنا أن لا تطلب منه الدعاء لك.

أما الأولياء الصادقين فلا نفرق بينهم ولا نحاول أن نعقد منافسات ومقارنات بينهم فتلك الدرجات وهذه المفاضلات لا شأن لنا بها وإنما لكل رجل خصوصية والخصوصية كما قال القوم لا تقتضى الأفضلية ... لكن الأفضلية فى الوراثة الأكملية للحضرة المحمدية لأن منهم من على قدم النبيين ومنهم من على قدم المرسلين وأعلاهم شأناً وأرفعهم قدراً من كان على قدم سيد الأولين والآخرين ﷺ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

المجلس الثالث

محمدٌ رسول الله .. والذين معه [4]

قرأ القارئ قوله تعالي:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ

٤ ترعة ناصر، الخميس ١٦ محرم ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨/١/٢٤م، درس بعد صلاة العشاء بمسجد الإمام الحسين.

سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح]

وكان الدرس تعليقاً علي هذه الآية:- بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أنزل علينا سكينته وملأ قلوبنا بمحبته وطمأن أفئدتنا بذكره وجعل جوارحنا وأبداننا هينة لينة فى خدمته وطاعته والصلاة والسلام على خير الأنام مصباح الظلام وبدر التمام والشفيع الأعظم لجميع الأنام يوم الزحام سيدنا محمد و آله الكرام وصحابته العظام وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين..

آمين .. آمين يا رب العالمين ... اخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين نحن جميعاً ما اجتمعنا فى أى يوم أو فى أى عام إلا لنحيي سنة خير الأنام أملاً أن نكون جميعاً تحت لواء شفاعته يوم الزحام وأن يدخلنا الله ﷻ فى قوله:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩ الفتح] وهذا هو غاية هنانا وكل منانا أن يضعنا فى الذين معه ومن فضل المتفضل ومن إكرام الكريم ومن عظمة العظيم ﷻ أنه لم يحدد فى الآية زمناً ولا مكاناً فلم يقل الذين معه فى زمانه وإلا حرمنا من نصيبنا فى هذه المعية ولم يقل الذين معه فى المدينة أو فى مكانه وإلا قد حرمنا أيضا من هذه المعية

ولكن الله أطلقها ولم يحددها. الذين معه فى هذه الصفات وهذه الأخلاق الباهرات التى نطقت بها الآيات إلى يوم الدين فكل من تجمل بهذه الأوصاف وتخلق بهذه الأخلاق فوراً أدخله الله فى معية الحبيب الأعظم ﷺ وهذه بغيتنا وأملنا جميعاً وقد ورثنا ذلك عن أصحابه الأولين فقد كانوا ﷺ به متعلقين ولا يستطيعون مغادرة مجلسه لأمر ضرورى إلا إذا أذن لهم وقد أعطاه الله ﷻ التصرف المطلق فقال له:

﴿ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ﴾ [٦٢ النور]

إئذن لمن تريد منهم ومن تأذن له استغفر له الله كأنه سيخسر كثيراً بمفارقة البشير النذير ويفوته حظ كبير لو ترك جلسة واحدة مع البشير النذير. فإن الجلسة مع رسول الله لا يعادلها ولا يساويها حتى العمل الصالح لو أمد الله عمر الإنسان وجعل

حياته من أول الدنيا إلى انتهاء الزمان فى طاعة الرحمن فإنها لا تعادل جلسة واحدة مع النبى العدنان ﷺ ... لماذا؟ ... لأن الجلسة الواحدة مع حضرة النبى فوق قدر الأرواح والعقول ولا تستطيع أن تخط ما فيها من خير وبركة وفتح وتأييد الكتب والنقول لأن فيها كلام وخير تعالى عن العقول ويكفى ما ذكره لنا الله فى مفتتح الآيات التى استهلها القارئ اليوم :

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢٦ الفتح]

يترل عليهم السكينة – ما السكينة؟ ومن أين نأتى بها بدون هذه الجلسات؟ هل هناك عمل صالح يعمله المرء يكون أجره وثوابه السكينة؟ لا وذلك لأن السكينة تتترل من علام الغيوب على القلوب المتعلقة بالحبيب المحبوب فى حال مجالسته لشغلهم بالله عما سواه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤ الفتح] من الذى يترل السكينة هل جبريل أم اسرافيل أم ميكائيل؟

لا يستطيع ذلك أحد من هؤلاء ولكن من يترلها هو الله ﷻ باسم هويته واسم الهوية هو الذى تتترل منه العطايا الإلهية على القلوب التقية النقية التى خلت من العيوب، واعلموا علم اليقين يا اخوانى أنه لا يستطيع إنسانٌ أياً ما كان أن يطهِّر قلبه من العيوب ويجعله صالحاً لحضرة الرحمن إلا إذا نظر إليه النبى العدنان ﷺ ، ولا يستطيع أحد أن يزكّى نفسه ويطهِّر قلبه بنفسه لأنه ﷺ الذى عليه هذه المهمة وكلَّفه الله ﷻ بها من ضمن هذه التكليفات التى لا عدَّ لها ولا حدَّ لها التى كلَّف بها الله حبيبه ومصطفاه حيث قال ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ [١٥١ البقرة] .

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ ﴾ ماذا يفعل لكم؟

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ – وهذا أولاً – ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ – هذا ثانياً – ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وهذا ثالثا – ﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ وهذا رابعاً – ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ وهذا خامسا – كم مرحله يتولى فيها الحبيب الأعظم تهذيب السالكين وتطويع المريدين إلى أن يجعلهم عارفين بالله ربَّ العالمين ؟ خمس مراحل ... وفى كتاب الله المحكم .

وكما فى الآية لا بد وأن يكون رسولاً منكم أولا منكم ثم مكلف بالرسالة ممن يقول للشئ كن فيكون، ومن يكلف حضرة الله؟

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ ﴾ [٣٩ الأحزاب]

ومن يبلغ كثير، منهم من يبلغ على المنابر ومنهم الآلاف من يبلغ على المقـابر ومنهم من يبلغ بالمحابر عن طريق الأقلام والكتب ومنهم من يبلغ فى القنوات الفضائية ومنهم من يبلغ فى المحطات الإذاعية لكنه تعالى يكلف من ؟ من عنده خشية رب البرية ﷻ وهذا هو شرط الشروط:

﴿ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ ﴾ [٣٩ الأحزاب]

لا يخافون أحداً إلا حضرة الله جل فى علاه وذلك لأن حياهم وأعمالهم ووقتهم كله من أجل رضاه جل فى علاه فهل فينا من يستطيع أن يرضى الخلـق؟ لا يـستطيع أحد. وسيدنا موسى بعد مناجاة حضرة الله يقول له الله " ألك حاجة يا موسى ؟ قـال نعم يا رب قال أذكرها ؟ قـال أن ترضى خلقك عنى قـال يـا موسـى ذاك شـئ لـم أرتضيه لنفسي". وما أكثر الساخطين على حضرة الله وأهل الرضى قليـل:

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾ [سبأ]

وكما تعلمون لو استطاع الناس أن يقدموا شكاوى فى حضرة الله فى المحـاكم لفعلوا ولكنهم يشتكوه للضعفاء وهم الخلق. حيث يجلس أحدهم مع واحد من الخلق ضعيف مسكين لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نـشوراً ويقـول. لماذا يفعل الله معى كذا وكذا؟ وماذا يفعل لك مثل هذا إنه ضعيف مـسكين مثلـك. أتشكو الله لخلقه؟ !!! فقال: يا موسى ذاك شئ لم أرتضيه لنفسى!

ولذلك أراحنا الصالحين وقالوا ((إرضاء الخلق غاية لا تدرك [٥])) أما ما يدرك هو أن ترضى الله ﷻ ورضاء الله هو العمل بما يحبه ويرضاه : إذاً مجالس الحبيب المختار ﷺ فيها مالا يحصى من تنزلات الفضل والأنوار من حضرة العزيـز الغفـار وأولهـا

٥ حلية الأولياء منسوبا إلى الإمام الثورى رضى الله عنه.

السكينة التى ينزلها الله بذاته فى قلوب الحاضرين والسامعين والمجالسين لسيد الأولين والآخرين ﷺ .. والسكينة يا أخوانى هى الطمأنينة ويسميها العارفون بيت الرضا عن الله .. يورث الإنسان إذا نزلت السكينة عليه الرضا عن الله؛ ومن يرضى عن الله يا هناه: { إِرْضَ بما قَسَمَ الله تَكُنْ أَغْنى النَّاسِ }[٦] ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ [٨ البينة] ومن يرضى عن الله يرضى عنه الله ﷻ .

والآيات التى استمعنا إليها اليوم نزلت فى هذا المقام – أخبر النبى ﷺ أصحابه بأنه رأى نفسه وأصحابه يطوفون بالبيت الحرام – فقال لهم استعدوا وتجهزوا – ثم ذهبوا ليطوفوا بالبيت الحرام وهم يعلمون أن رؤيا الأنبياء وحى.

وعلى أبواب مكة منعهم الكفار وقالوا لن تدخل علينا مكة هكذا عنوة. فأرسل النبى أحد أصحابه لأهل مكة ليعرفهم أن النبى و أصحابه جاءوا ليؤدوا العمرة وليس لحرب أو قتال– وكان عثمان بن عفان وذلك لأن عائلته كبيرة فى مكة وسوف تحمية عائلته منهم إذا تحرشوا به– وذهب سيدنا عثمان ولم يرجع، وانتشرت شائعة بأنهم قتلوه. ماذا يفعل حضرة النبى ﷺ ؟ جمع أصحابه وسألهم المشورة، فقال أصحابه سوف نبايعك على ما تريد! فنحن معك فيه، فليس لنا مراد إلا مرادك، وليس لنا رأي بعد رأيك، ولا تدبير لنا بعد تدبيرك... يعملون بقول الله تعالى فى سورة النساء:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾

وذلك لأنهم عرفوا أن مراده هو مراد الله، وأنه ﷺ لا يفعل شيئاً من قبل ذاته ولا يتصرف تصرفاً صغيراً أو كبيراً عن فكر بل عن وحى صحيح من عند الله، وما دام الأمر كذلك فلماذا يعترضوا؟ وبايعهم حضرة النبى ﷺ تحت الشجرة على ذلك فأعلن الله ﷻ رضاه وقال فى سورة الفتح :

﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ

---

٦ مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي عن أبي هريرة.

فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾

من هنا يجب أن نعلم أن السكينة قد نزلت على رسول الله وعلى المؤمنين لرضاهم عن الله. فالسكينة كتر مع أهل الرضا عن الله ﷻ وترفع المرء إلى مقام اليقين وتجعله من أهل اليقين الذين يتيقنون أن ما يفعله الله ﷻ هو الحق اليقين فلا يتبرمون من أى أمر قضاه الله لأهم يعلمون أن الخير كل الخير فى قضاء الله جل فى علاه.

هؤلاء القوم يا اخوانى أصحاب رسول الله ﷺ كان الرجل منهم إذا ترك مجلس رسول الله وذهب إلى بيته فبمجرد وصوله إلى مترله يقول لأهله: إشتقت إلى رسول الله ﷺ ردونى إلى رسول الله ﷺ، وأنتم تعلمون قصة الرجل الذى مرض وظهر عليه المرض فقال له رسول الله ما بك يا ثوبان ؟ قال يا رسول الله أنى أحبك حبا عظيماً ولا أستطيع فراقك لحظة فتذكرت الآخرة والجنة وأنك تكون فى منازل النبيين وأنا فى الدرجات الدنيا من الجنة مع عامة المؤمنين فذلك الذى أمرضنى " فطمأن الله قلبه وقلب أمثاله واشباهه إلى يوم الدين وأنزل تتريلاً يقرأ إلى يوم يبعثون:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [٦٩ النساء]

ومن يمشى على هذا المنوال يكون له هذا الحال فى الدنيا ويوم المآل وقد أكرمنا الله ﷻ ونحن فى آخر الأزمان أننا نستطيع أن نفوز بما فاز به الرجال المعاصرين لرسول الله والذين كانوا يرونه عياناً ويسمعون لسانه بياناً فجعلنا أوصاف نورنية وأخلاق قرآنية وليس أشكال جسمانية وأوصاف حسية وإلا كان هذا الأمر قاصر عليهم فقط لكنها أخلاق ربانية وأوصاف قرآنية كل من تخلق بها وتجمل بها واتصف بها فوراً دخل فى معية خير البرية فيراه إما مناماً وإما يقظة وإما يقظة ومناماً ويسمع كلامه ويشهد جماله ويتمتع بوصاله لأنه صار من أهل معيته ﷺ. .... فما الأوصاف التى نتصف بها لنكون مثلهم؟ إنها أوصاف سهله وبسيطة أولها وأهمها:

﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [٢٩ الفتح] ولو أن المؤمن اتصف

بهذين الوصفين فوراً تقع العين على العين.لأن مشكلة المجتمع الآن أننا أشداء على المؤمنين ورحماء على غير المؤمنين فقد تبدلت الأوصاف مع أن الرحمة بالمؤمنين هى أعلى أخلاق الربانيين والعارفين والروحانيين فى كل وقت وحين هذه الرحمة يلزمها إيثار الأنصار فكما تعلمون عندما كان الرجل يذهب مهاجراً إلى المدينة كان الأنصار يتقاتلون عليه وكل واحد يريد أن يفوز به وكان سيدنا رسول الله يحل المشكلة يعمل قرعة وتكون القرعة أحياناً بين تسعين واحد كلهم يريد أن يفوز بالرجل المهاجر.هؤلاء التسعين هل هم قادرين ويملكون القصور والبساتين ؟

أبداً بل أن واحداً منه قد نزلت فيه الآية أخذ الضيف عندما وقعت عليه القرعة وذهب إلى زوجته وقال هات العشاء ؟ قالت ليس عندنا إلا عشاء يكفى واحد.وإذا أكل الأولاد فلن تأكل أنت ولا الضيف ولا أنا.فماذا نفعل ؟ قال لها علليهم حتى يناموا وهات الطعام واجلسى معنا حتى يناموا وهات الطعام واجلس معنا حتى نشجعه على الطعام إكراماً للضيف، وعندما نبدأ نأكل معه وعندما نقل المعلقون والروحانيون والمصورون الملكوتيون هذه الصورة إلى الملأ الأعلى!، قال له حضرة النبى عندما قابله فى الصباح لقد عجبت ملائكة ربك من صنيعك أنت وزوجك فى تلك الليلة :

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [٩ الحشر]

وكان هذا حالهم مع سيد الأولين والآخرين.إن المحاكم الآن مملوءة من شكايات الإخوة الأشقاء لبعضهم على الميراث أماهم فكان عندما يجئ الغريب عن العائلة القريب فى الإسلام فيقولون تعالى نقسم البيت نصفين والأرض نصفين والمال نصفين واختر ما شئت.وإن كان أعزب يقول له عندى زوجتين اختر منهما ما تعجبك أطلقها وتتزوجها بعد العدة .... وهذه هى أخلاق الصديقين ومن يتخلق بها فوراً يصبح فى معية سيد الأولين والآخرين.لكن إذا كان به شح نفسى وعنده الأنا والأنانية وليس عنده إيثار لإخوانه المسلمين فماله وهذه المعية القرآنية ؟ فمن يقول كيف تذهب لبيت فلان وتترك بيتى ؟ فليس له نصيب فى هذا الخلق القرآنى.

إن أصحاب رسول الله من الأنصار بعد أن اقتسموا الدور والأموال مع المهاجرين بعدها .... فتح الله على حضرة النبى وعلى المسلمين فتح خيبر وجاءهم على أثر الفتح خير كثير، فجمع الأنصار والمهاجرين وقال للأنصار: ما رأيكم هل أقسم هذا المال بينكم وبين المهاجرين وما أخذوه منكم يظل معهم؟ أم أعطيهم كل هذا المال بشرط أن يردوا عليكم ما أخذوه منكم عندما دخلوا المدينة ؟

قالوا: بل أعطهم كل هذا المال أما ما خرجنا منه لله لا نعود ولا يعود إلينا أبداً.من يكون هؤلاء ؟ هم من قال فيهم الله: ﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [٢٩ الفتح]، رحمة وصلت بهم إلى درجة أن واحداً منهم أرسل لأخيه رأس أضحية فما كان منه إلا أن جلس مع زوجته وقال لها أنى أرى أن أخى فلان أحوج لهذا منى، فقالت أعطها له، ودارت الرأس على سبعة دور ثم رجعت للأول؛ فأين نحن منهم ؟ فإذا تخلقنا بهذه الأخلاق فإن جميع المشاكل تنتهى فى لحظة وسنصبح جميعا فى معية الحبيب المختار تحفنا الأنوار وتتنزل لنا السماء بالخيرات والبركات وتخرج لنا الأرض الثمار والزروع المباركات ويسخر الله ﷻ لنا كل شئ فى الأرض حتى الوحوش والحشرات والحيات فإنها تسخر للمؤمن إذا صلح حاله مع مولاه وتعينه على طاعة الله لأنه يسعى لرضاه.

وهذه هى أخلاق المؤمنين التى بها يكونون فى معية الحبيب.ومعية الحبيب ليست أنوار معنوية فقط لكنها أنوار معنوية وأرزاق مباركة حسية وحياة دنيوية طيبة هنية خالية من المشاكل والشواغل والهم والغم والنصب، وإنما فيها قول الله: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ ﴾ [النحل ٩٧]

من يحيا هذه الطيبة هل تكون له قضية فى أى محكمة أو تهمة فى الشرطة أو النيابة ؟ هل يكون له نصيب من تنغيص الجيران ؟ أو عنده ما يشغله من الأحقاد والأحساد من الأخوان أو من زملائه فى العمل أو هنا أو هناك – أبداً والله.

وهذه كانت حياة المدينة المنورة فكم دائرة كانت فى المدينة للحكم بين المتخاصمين ؟ دائره واحده فقط هى الابتدائية والكلية وهى الاستئناف والنقض والإبرام وهى كل الدوائر يحكمها قاضى واحد كم محامى وقتها كان فى نقابة

المحامين ؟ لا أحد وكان القاضى هو كاتب الجلسة وهو من معه الرول وكل شئ وكان القاضى يأخذ الراتب كل سنة وعندما جاء سيدنا أبو بكر ليعطيه راتبه رفض وقال لا أستحق هذا الراتب قال لماذا ؟ قال لم تعرض على فى هذا العام قضية واحد وذلك لأنهم عملوا بقول الحبيب **{لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ بِاللَّهِ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ}**[٧] ولو عملنا بهذا الحديث فقط لانتهت كل المشاكل فى كل البلاد.لكننا الآن ومع الأسف كل واحد فينا يقول " أنا " وليس لى شأن بأبى أوأخى أو بعمى والآن وصلنا إلى " ليس لى شأن بأبنى ولا بأبنتى ولا بزوجة أبنى ولا بزوجتى واصبحت المشاكل لا تطاق لأننا لم نتمسك بأخلاق الله التى أمرنا أن نتخلق بها لنكون فى معية حبيب الله ومصطفاه، ففى [٢٩ الفتح]: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾.

على من تكون الشدة والغلظة إذاً؟..أول الشدة يا أحباب لمثل هؤلاء تكون على النفس. من أعدى أعدائى وأعداءك ؟ نسأل الخبير، قال ﷺ: {**أَعْدَى الأَعْدَاءِ لَكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ**}[٨] وقد تركنا جهادها إلى أن استفحلت وأصبحت بعد أن كنا مأمورين أن نتحكم فيها هى التى تتحكم فينا .والنفس تريد الشهوات والأهواء والحظوظ والملذات وليس عندها صبر أن ينال الإنسان كل هذه الأشياء على شرع الله أو على سنة حبيب الله ومصطفاه وهذا هو الحاصل الآن نريد الدنيا – نريد المال – نريد المناصب – نريد المكاسب من حلال أو من حرام لا يهم ذلك.

ولذلك كثرت الآثام وانتشر الظلم بين الآنام وظهرت المكاسب الحرام، وعندما تتكلم مع أحدهم يقول كيف أعيش، مثلى مثل الناس وعندما تقول ألم تفهم الحديث:

{لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِن أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا}

ماذا نفعل يا رسول الله ؟ قال :

{ وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وإِنْ اسَاءُوا فَلاَ تَظْلمُوا }[٩]

٧صحيح ابن حبان عن أبي هريرة.
٨العسكري عن سعيد بن أبي هلال.
٩سنن الترمذي عن حذيفة.

وهذه كانت وصيته لنا فمن الذى يعمل بهذه الوصية الآن ثلة من الأولين وقليل من الآخرين " ولو عملنا بهذه الوصية فإن كل المشاكل تنتهى فى طرفة عين بين البرية وكل مشاكل أو هموم يحلها الحى القيوم لأنه قال فى كتابه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٩٦ الأعراف]

كل الموضوع أن نعمل حتى بوصية واحدة من وصايا رسول الله – نتخلق بمن نتشبه بهم وندعى أننا نسير على هديهم وهم أصحاب رسول الله ونتراحم بيننا وتكون الشدة على النفس وعلي الهوى ونعمل بقول الله: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾ [النازعات]

نسأل الله ﷻ أن يعيننا على أنفسنا، وأن ينصرنا عليها نصراً عزيزاً، وأن يفتح لنا قلوبنا فتحاً مبيناً .. وأن يتنزل لنا بالسكينة فى قلوبنا .. وبخالص الرحمة فى أفئدتنا .. وأن يجعلنا على أخلاق أهل المعية القرآنية رحماء فيما بيننا .. ويحلينا بجمال الأنصار .. ويجعلنا فى هذه الحياة من أهل الأيثار ... ويرزقنا دواماً استحضار صورة النبى المختار حتى يقشع عنا كل حجاب ويرفع عنا كل ستار ... فنتمتع بهذه الأنوار .. ونتملى بهذه الذات الطيبة ليل نهار ..ويكرمنا بأن نكون معه فى الدنيا وتحت لواء شفاعته يوم القرار ... وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس الرابع

سر الوصول وسبب السعادة [10]

الحمد الله الذى بدأ الوجود بنور حبيبه ومصطفاه وأودع نوره ﷺ فى كل قلب وجعله سبباً للإيمان بحضرة الله وجعله نور المقبلين وتوجه العابدين ورغبة الراغبين فى

١٠ ترعة ناصر، الخميس ١٦ محرم ١٤٢٩ هـ ٢٤ / ١ / ٢٠٠٨م، بعد صلاة العشاء بمنزل الاستاذ / حسين النابى.

طاعة الله فى كل وقت وحين هو النور الذى سكن فى مهجة قلوبهم من قبل القبل نـور سيد الأولين والآخرين والصلاة والسلام على نور البدء وسر الختام ومصباح كل قلب أضاء بنور الله فانمحى عنه الظلام سيدنا محمد خير الأنام والمبعوث من عند الله رحمـة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين وكل من اهتدى بهديه واستضاء بنوره إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين.آمين يا رب العالمين .

إخوانى واحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين :-

سر الوصول إلى الـجناب العـالى ... حـب النبـى محمـد والآل

من لحظة في الحـب تـشهد وجهـه ... وتفـوز منـه بـسره والآل

تعطى العلوم وتـشهدن فتترجـمن ... بلسان أهـل القـرب والأبـدال

تعطى الجمـال فلا يـراك مـصدق ... إلا ويـشهد نـوره المتـلالى

من أين هذا العلم والـنور الـذى ... أعطيتـه مـن لحظـة في الحـال

مـن حـب قلـبى للـنبى محمـد ... نلت المنى بل نلت كـل آمـالى

أنا يـا حبيـبى فى هـواك مـتيم ... وشهود وجهـك بغـيتى ونـوالى

واجه بهذا الوجـه مـضنى مغرمـا ... يرجو نـوال القرب والأيصـال

أنت الوسيلة أنـت نـور قـلوبنا ... أنت الشفيع بحـضرة المتـعالى

كلام مختصر حتى لا نطيل عليكم ... فإن سبب الوصـول وسـر الـسعادة وأكسير الحسنى والزيادة ... وكنز الجمال وكهف أهل الكمال .... والممدوح فى كل الخصال .... والمطلوب التأسى به فى كل الأفعال ... والذى بيده كل مفاتيح خـزن العطاء والنوال ... من لدن الواحد المتعال .... فى الدنيا وفى المآل ....

هو سيدنا محمد ﷺ .

علم العارفون هذه الحقيقة، فسلكوا هذه الطريقة، فلم يتوهوا مع السالكين فى ميادين العبادات، ولم يجهدوا أنفسهم ويأخذوها بأسواط المجاهدات وإنما أخذوها على قمر التجليات وبدر المشاهدات وأوقفوها بين يدى سيد الـسادات ﷺ فـإن سـرَّ

الوصول وسبب الحصول على كل مأمول هو تطهير القلب بالكلية لله ﷻ والقلب لا يطهر من خصاله ولا تشرق على أرضه أنوار وصاله إلا إذا أشرقت شمس الحبيب ﷺ على حوضه فطهرت خصاله والأمر أوضح من كل بيان تكون الأرض كلها فى ظلمة الأكوان فإذا أراد الله ﷻ إشراق النهار ظهرت الشمس وعندما تشرق الشمس بنورها ينقشع الظلام ويتبدد فتصبح الأرض كلها واضحة جلية وهذا مثال ضربه الله ﷻ لأهل الكمال ...

فإن القلب قبل إشراق نور الحبيب المصطفى يكون حالك الظلام ملئ بالخرافات والخزعبلات والأوهام وصاحبه يميل إلى الحظوظ والشهوات والبعد عن الله ﷻ فى كل الآنات فإذا أشرقت شمس الحبيب على القلب فوراً يغيب عنه كل ضلال وكل ظلام وكل جهل ويشرق عليه نور الحبيب بالعلم والوصل ليكون هذا الرجل من كبار العارفين ولو كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فى كتاب أو سجل أو كراس

ومن قبل كنا ظلاماً وجهلاً فصرنا بطه رجالاً فحولاً

هنا الناس تحسدنا والملائكة تغبطنا والكون كله يسر بنا وذلك كله لزينة الحبيب التى ظهرت فى قلوبنا وليس من أجلنا فما الذى معنا ؟ فنحن تراب و الجمال الذى جمل هذا التراب هو جمال حضرة الوهاب عندما تجلى علينا نور الحبيب ﷺ بعد التوبة والإياب وإسمع إلى إمام من أئمة أهل الوصال سيدى الإمام أبى العزائم ﷺ وهو يقول فى ذلك :-

من خمر نور جمالك ومن رحيق وصالك	شربت صرفاً فهمت وهام أهل كمالك
وأصبح القلب نوراً والقلب قد كان حالك	ومبشرى قال هيا فالحما لك سالك
فسرت وهو إمامى حتى وصلت هنالك	ناديت ياليت قومى قد يعلمون بذلك

هذه هى البداية يا إخوانى التى أجمع عليها الصالحون أجمعون أن القلب كى يتحلّى بالأنوار لا بد من إزالة ما به من أغيار، ولا تستطيع قوة فى الوجود أن تقضى على هذه الأغيار حتى ولو قام العبد بكل همة بكل ما وصل إليه من أذكار .. كذلك لا تستطيع الأذكار أن تزيل وتقضى على الأغيار .. ولا يزيل الأغيار من قلوب

الأبرار إلا إذا أشرق على القلب نور الحبيب المختار فهو وحده الذى يزيل هذه الأغيار ويفتح الباب للأطهار لكى يدلهم على حقيقة الوصل من حضرة العزيز الغفار.

ولذلك كان هناك رجل ذهب ليبحث عن العارفين الذين سيوصلونه إلى الله وظل يتقلب فى الأرض حتى ذهب إلى العراق وسأل عن أعلى العارفين شأناً فى وقته فى العراق؛ فدلوه على سيدى أبو الفتح الواسطى ﷺ وكان تلميذاً نجيباً لسيدى أحمد الرفاعى ﷺ عن الجميع : وأنتم تعلمون ما قاله عندما وقف فى الروضة

فى حاله البعد روحى كنت أرسلها تقبل الأرض عنى وهى نائبتى
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فمدت اليمين وقهر بحاله كل الحاضرين لأنهم لم يصلوا إلى هذا المقام فقهرهم بحاله .... فأشهدهم هذا المشهد العلي يد حضرة النبي وهو يسلم عليه ويقبلها وإن كان الحاضرون في ذلك الوقت بينهم وبين هذا المشهد آلاف من المقامات لكن همة العارف رفعتهم فى نفس إلى هذه الدرجة ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر] وأخفض جناحك هنا أى احملهم كلهم وارفعهم إلى المقام الأمين فى طرفة عين وأقل، وعندما تقابل الرجل مع سيدى أبو الفتح الواسطى نظر سيدى أبى الفتح فى الكشف الذى أخذه من حبيبه وقال إنك لست فى الكشف عندى ولا بتلميذ لى، فقال له أين أذهب ؟ قال انتظر حتى أرى بقية الكشوف !!!

وانظر إلى رفعة المقام ... ونظر فقال أنت تلميذ الشيخ عبد الرحيم القنائى بقنا فى بلاد مصر : وذلك لأن كل واحد من العارفين يأخذ كشوفاً من حضرة النبى .. فهل هناك مدرس فى الفصل يستطيع أن يضيف واحد فى القائمة من عنده بدون الرجوع إلى الإدارة؟ لا يستطيع أحد ذلك إلا الناظر الأعظم ﷺ ... فهو مدير أهل الغرام .. ومدير أهل العشق والاصطلام ... سيدنا رسول الله ﷺ ... فجاء الرجل ماشياً من بلاد العراق إلى أن وصل إلى قنا عند سيدى عبد الرحيم.

وهذه هى بداية الوصول فنحن فى دائرة المحبة.إلى أن تنبت بذرة المحبة فلا تبقى فى القلب لغير المحبوب حبة فينتقل الإنسان إلى دائرة الأحبة أى من محب إلى محبوب

ومن طالب إلى مطلوب ومن مريد إلى مراد وعندما تقابل الرجل مع سيدى عبد الرحيم قال له يا بنى هل عرفت رسول الله ﷺ المعرفة الحقيقية؟

قال لا، قال عندنا لا يخطو المريد قدماً فى طريق الله ﷻ حتى يعرف رسول الله ﷺ المعرفة الحقيقية

أما قبل ذلك فعليه أن يجهز نفسه لكن متى يبدأ السفر ؟ إذا لاح الحبيب للنظر وذلك لأنه سيمشى خلفه فإذا لاح الدليل فقد ظهر السبيل ويمشى مع هذا القبيل أما من لم يجد الدليل فأين الطريق لأن حبيبى ليس له جهات ولا يوصل إليه بالحركات ولا تلحقه العبارات ولا تشهده الإشارات وليس بينك وبينه مسافات ومن ظن أنه محجوب بالغطا فقد حرم العطا لأن الذى بينك وبين الله هو أنت.

أمحو أنيتك تجد وصاله فما بينك وبين الله إلا نفسك التى بين جنبيك. أمحو النفس وشهواتها وحظوظها وأهوائها تجد الله أقرب إليه من حبل الوريد : إذاً متى يلوح الطريق ؟ بعد أن يظهر نور خير المرسلين.فوقف المريد حيراناً. وأنظر إلى الجهاد! فلم يمليه روشته ويقول عليك أن تصلى بالليل ألف ركعة أو تصلى على النبى ألف مرة فمن يصلى ألف مرة أو عشرة آلاف مرة فإنه يعدُّ! ماذا يريد ؟ هل يريد الحسنة بعشرة أمثالها ؟ بل بسبعمائة .. !! ولم يعطه سيدى عبد الرحيم روشته من ذلك! ولكنه قال: يا بنى اذهب إلى بيت المقدس ونم تحت الصخرة فسترى الحبيب ﷺ

وهذا الكلام ليس من عند الصالحين وإنما حكم يعلمها لهم الله لا تكشف فحواها ولا يظهر مغزاها إلا فى حينها لمن وفقه الله.ولذلك قال: ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ ﴾.ولم يقل أَحْدثَ ولكن ﴿ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الكهف] فذهب المريد ونام تحت الصخرة وإذا به يرى رسول الله ﷺ ثم يراه يتسع ويتسع حتى ملأ الكون كله عاليه ودانيه فحقق بغيته ورجع فقال يا بنى هل لقيت رسول الله ﷺ بالصورة الحقية ؟ قال نعم قال عندنا لا يخطو المريد خطوة فى طريق الله حتى يرى رسول الله ﷺ فى الصورة الحقية لماذا قلت هذا الكلام يا إخوانى ؟ ذلك لكى لا تتعلق بالصورة البشرية عندما تسمع كلام المداحين

حين يقولون يا كحيل – يا أحمر الخدين – طوله كذا فما لنا وذلك فنحن نريد الجمال الذى خصه الله به لأهل الكمال وهو جمال معنوى يقول فيه الله لأحبابه وأصفيائه ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾ [المائدة١٥] ليس لكم شأن إلا بهذا النور ﴿ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾

والنور شئ والكتاب شئ آخر لأن الواو تقتضي المغايرة وهذا الكلام نقوله لكى نثبت أن النور هو سيدنا رسول الله لكننا نقول لأحباب رسول الله.هو النور وهو الكتاب المبين الذى فصل الله فيه كل شئ للأولين والآخرين ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس] فلم يقل فى كتاب.بل فى إمام وهو سيدنا رسول الله وهو كتاب الحقائق ولو تدبرتم معى فى القرآن تجدوا أن السيد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام عندما تكلم فى المهد قالَ ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [٣ مريم].مع أنه لم تأتيه النبوة بعد ثم ﴿ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ .

إذاً الكتاب هنا ليس الإنجيل ولكنه الكتاب الذى انتسخ من أم الكتاب ﷺ وهو الجزء الخاص به من أم الكتاب وأم الكتاب وهو ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف] إنه هنا إشارة لمن ؟ هى إشارة لسيدنا رسول الله:

﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف]

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف]

الرحمة هنا مؤنثة فيقتضى السياق اللغوى هنا أن يقول قريبة لكنه قال قريب ... إذاً الرحمة هنا هو سيدنا رسول الله ﷺ ، لكن لمن هذه الدرجة من القرب ؟

قريب من المحسنين وهم أهل مقام الإحسان.فسيدنا رسول الله ﷺ يا أحباب هو الذى عليه تخليص القلوب من الأغيار بمواجهاته إذا واجهك بالحقيقة المحمدية والحقيقة النورانية أو الحقيقة الروحانية أو الحقيقة النسبية أو الحقيقة الربانية فإذا واجهك بهذه الحقائق فوراً تجد أن كل ما فى القلب من أغيار تولى الأدبار ويمتلئ القلب بالأنوار فيأخذوا العبد ويتوجوه بتاج الصالحين والأبرار ويصبح عبد الله.ببركة النبى

المختار وذلك فى الحال.

والدليل على ذلك هو سيدنا عمر فعندما دخل الإسلام فوراً قال يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟ قال بلى ، قال فلم لا نجهر بالدعوة ؟ فخرج أمام صف والحمزة أمام صف ومشوا حتى دخلوا البيت الحرام.وهذه هى حجة الصوفية فى مواكب الصالحين وهذا هو أول موكب فى الصف الأول سيدنا الحمزة وأمام الصف الثانى سيدنا عمر وفى المؤخرة كان الحبيب الأعظم ﷺ.

وقد تكرر هذا الموكب مرة أخرى وهو يدخل المدينة المنورة وقد قيض الله له بريدة بن الحصيب الأسلمى فقد سمع عن المكافأة التى رصدها أهل الكفر لمن يأتى بالنبى حياً أو ميتاً وهى مائة جمل ومن يأتى بأبى بكر كذلك له مائة جمل فأخذ بريدة سبعين رجلاً من قومه متقلدين بالسيوف ولحقوا برسول الله، فقال رسول الله: ممن الرجل ؟ قال من أسلم فقال ﷺ :سلمت يا أبا بكر، قال ما اسمك ؟ قال: بريدة ، قال برد أمرك يا أبا بكر، فقال بريدة: ومن أنت ؟ قال: أنا محمد رسول الله! وكان ﷺ القمة فى الشجاعة فى الأولين والآخرين ولا مثيل له.

فقد فرَّ كل من حوله فى غزوة حنين وكان راكبا بغلة وليس فرساً فمشى يردد: أنا النبى ولا كذب أنا بن عبد المطلب! ما هذه الشجاعة وما هذه العظمة.فقال أنا محمد رسول الله فى الحال نظر لبريدة نظرة وهو لو نظرة حتى لابليس تنمحى عنه الشقاوة والنظرة ليست بالعين الحسية لكنها نظرة بعين القلب ولذلك قال لنا الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ نعم يارب ﴿ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ ماذا نقول يا رب؟ ﴿ وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾ [١٠٤ البقرة] من هنا الذى أمرنا أن نقول نظرة يا رسول الله؟ ربنا بذاته، ثم يأتى لنا بعد ذلك واحد من قليلى الفهم يقول أن كلمة (نظرة) حرام! .. مع أن الله هو الذى أمر بها :

لو نظرة منه لابليس انمحت عنه الشقاوة بالعطا المدرار

وكما قال سيدى على وفا ﷺ :

لو أبصر الشيطان طلعة نوره فى وجه آدم كان أول من سجد

أو شاهد النمروذ بعــض جمالــه عبد الجليل مع الخليل وما جحــد
لكن نــور الله جلَّ فــلا يُــرَى إلا بتخصيص مــن الله الــصمــد

فــأبشروا بفضـــل الله عليكم أمــا الآخرون فــإن الله يقــول لهــم ولــه: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [الأعراف] إنهم يرونه ولكنهم لا يرون ما فيه وما عليه من نور ... أما نحن ونحن فى آخر الزمان فإنه يقول عنا:

{ إِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى إِخْوَانِي، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا إِخْوَانُكَ؟ قَالَ: لاَ، أَنْتُمْ أَصْحَابِي، إِخْوَانِي قَوْمٌ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرُونِي }[11] هو بذاته مشتاق إلينا.

فنظر ﷺ نظرة إلى بريـــدة ومن معه، فقـــال بريـــدة: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. ثم قال بعدها: يا رسول الله وهل تدخل المدينة بهـــذه الهيئـــة! لا والله! وقسم السبعين الذين معه فى صفين، وخلع عمامته ووضعها كراية على رمحه ... وتقدم الصفين .. وقال: أنا هنا يا رسول الله وأنت تمشى فى مؤخرة الصفين.

وهذا هو الدليل الثانى على مواكب الصالحين ... فهذا هو الموكـــب والرايـــة أمامه وهذا هو الشيخ فى مؤخرة الموكب والمريدون على الناحيتين.أليس هـــذا ســـند شرعى يا أخوانى ؟ وقد ورد ذلك فى سنة رسول الله ولا خلاف فيه !!

فبريدة ومن معه من السبعين رجلاً كيف تحولوا ؟

تحولوا فى لمح البصر بنظرة نظرها رسول الله !!

وكذلك عمـــرعندما ذهـــب لرسول الله فقـــد هـــزَّه النبى ثـــلاث مـــرات وقال " أما آن لك يا بن الخطاب أن تسلم- وفى رواية أن تقول لا إلـــه إلا الله![12] " وفى هذه الهزة الأولى نفض بها عن قلبه غبار الشرك, والهزة الثانية ملأ الله بهـــا قلبـــه بالإيمان, والهزة الثالثة فاض الإيمان من قلبه على اللسان .. وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

---

١١ مسند أبي يعلى عن أنس بن مالك.
١٢ التحرير والتنوير لمحمد طاهر بن عاشور.

إذاً الموضوع كله عبارة عن نظرة من رسول الله، هذه النظرة كيف تأتى ؟

تأتى بالحب ... والحب الذى يوصل مع العطارين الذين أخذوا عطرهم من سيد الأولين والآخرين .. لأنه العطر الصحيح الصافى وليس العطر المزيف !! فالحبيب ﷺ له رائحة إذا شمها من يعرفونها عرفوا أنه حضر أين الرائحة ؟ غير موجودة إلا عند الصالحين إذا اكرموك وقووك وأعانوك اصلحوا مشام القلب فتشم رائحة الحبيب! ولا تشمه بالأنف، ولكنها مشام روحانية...

لكن إذا كان القلب مزكوماً بالدنيا والشهوات فماذا يشم ؟ لأنه مزكوم فإنه لا يشم لكن عندما يصحّحون المشام فوراً ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ [٩٤ يوسف] ولم يقل قميص يوسف كما قال الجاهلون ولكن ﴿ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ وذلك لأن يوسف له رائحة! وكذلك كل نبى له رائحة خاصة به! وكذلك آل بيت النبى والصالحون لهم رائحة مخصوصة. من أين يعرف أن هذا من آل البيت ؟ من رائحته المخصوصة وهى موجودة عند العطارين الذين عينهم حضرة النبى لكى يروجوا للعطارة المحمدية وذلك للمشتاقين إليها من البرية ، وعندما يعالجون المشام يشمُّ الإنسان رائحة حضرة النبى ويعلم أنه حضر .. وإذا عالجوا ما فى بصر البصيرة فإن الله ﷻ يكشف له الغطاء ويجعله ينظر نور الله المثبت فى الأشياء:

فنى من شاهد المجلى ونال السر وارتاح
وغنى بالحقائق من رأى الأشباح أرواح

عندما يتعالجون.وهذا العلاج غير موجود إلا عند رسول الله لأن الله قد قال له ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [الصافات] وهذا خاص بك يا رسول الله فقط فإذا تفضلت به على أحد الوارثين فإن ذلك من عندك ولك الخيار ﴿ فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ [ص].

لكن من يعالج عمى البصيرة ويجعل السريرة منيرة ؟ النور المحمدى.إذا ظهر ضياء الحبيب لأى قلب فى أى لحظة فإنه يطيب ويكاشف بالغيب ويرى ما لا يراه الناظرون لأن الله ﷻ كشف عن هذا الجمال.بسر الحبيب المأمون ﷺ.

إذاً نحن نحتاج أن نأخذ حب رسول الله من الصالحين الذين رزقهم الله محبة رسول الله كيف يأتى هذا الحب ؟ يأتى عدوى من حال الصالحين فإذا اصبت بعدوى الحال منهم فأبشر " حال رجل فى ألف رجل خير من كلام ألف رجل فى رجل " كيف يأتى هذا الحال ؟ يأتى تفضلاً من الله على سيدنا رسول الله وورثة رسول الله لمن يجتبيه من رجال الله ورجال الله يوزعونه على من يريدون أن يوصلوهم إلى دائرة محمد رسول الله والذين معه وإذا وصل الإنسان إلى هذا المقام فيا هناه حتى أن هؤلاء عندما يذهبون إلى المدينة ومنهم سيدى أبى الحسن الشاذلى عندما ذهب لزيارة المدينة بعد انتهاء مناسك الحج أمر بنصب الخيام خارج المدينة وقعد ثلاثة أيام وكلما قال مريدوه نريد الدخول للزيارة يقول حتى يأتى الإذن ألم تسمعوا حضرة الله وهو يقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾ [٥٣ الأحزاب]

إذا كنا نقول لا يزار ولِيُ إلا بإذنه فما بالكم بحضرة النبي، فهؤلاء لا يزورون إلا بإذن فيقرأ الرجل منهم علي الباب ويقرأ الآية فيقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾ [٥٣ الأحزاب] ولا يدخل روضة النبى إلا إذا أذن من حضرة النبى وقد يكون إذنه على قدره أن يشم رائحة النبى الزكية التى يعرفها وقد يكون من الفحول أهل الوصول فيسمع حضرة النبى يقول له أدخل يا فلان وإذا قال له أدخل يفتح له الرحاب حتى ولو كان المكان غاص بالأنام فإنه يرى له طريق وسط هذا الزحام لا يراه الأنام حتى يقف قباله وجهه ﷺ.

وقد ذهب الإمام أبو العزائم لزيارة الحبيب فى ليلة والنظام أن يغلق الحرم بعد صلاة العشاء بساعة – والحمد الله أبشروا فإنه من بعد موسم الحج هذا العام ١٤٢٩هـ قرر الحبيب ﷺ أن يظل الحرم مفتوحاً ليل نهار فلن يغلق بعد العشاء كما كان قبلاً – ودخل الإمام أبو العزائم يزور الحبيب وعندما فتش الخدم المكان قبل أن يغلقوا الأبواب ... لم يروه فبات هذه الليلة بين يديه.

وقال في قصيدة عصماء:

حـبيبى قد شـرح صـدرى
وآنـسنى إلى الفجـر

واطلـعنى علـى مـعنى
مـن الأحسان والسر

وناولـنى كـؤوس الـراح
صـرفا مـن يـد البـدر

وأسـعدنى بـرؤيـتـه
فنلـت الخـير بالبـشر

ورقـانى إلى أعـلى
مقـام القـرب والسـير

رأيـت الحـسن في مـجلى
رفيـع الـشأن والقـدر

فـأشـهدنى تجـليه
وأوصـلنى إلى الـدير

سـمعت حـنين رهـبان
لـدى نظـرى إلى الزهـر

وعـند شـهودهم حـسني
تمنـوا يقتفـوا أثـرى

فكـنت إمامـهم لـما
دعـانى ليلـة القـدر

أدرت الـراح مـن يـدى
ودار الـشرب مـن بحـرى

ونـادانى الإمـام هـيا
أتـاك الوصـل بالبـشر

فـقم للـدير يـا ماضـى
فـإنى قـد صـدر أمـرى

تـمل بى وشـاهدنى
ومـل عنـدى عـن الغـير

وأنـبئ مـن يريـد قـربى
بحـسنى حيـث لا يـدرى

المجلس الخامس

خطبة الجمعة: شاهداً ومبشراً ونذيرا[١٣]

قرأ قارئ الجمعة أيات من سورة الأحزاب وعلق الشيخ فى الخطبة علـى آيـة واحدة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب].

الحمد لله رب العالمين استوى بربوبيته على عرش رحمانيته واسـتوى بألوهيتـه على قلوب أحبته سبحانه سبحانه له الخلق والأمر وله النفوذ والقهر ولـه الـسلطان والإرادة وله العزة والجبروت وله العظمة والنعموت وله الأسماء الحسنى كلـها ولـه

[١٣] طفنيس، الجمعـة ١٧ محرم ١٤٢٩ هـ ٢٥/ ١/ ٢٠٠٨م، خطبة الجمعة بالمسجد العتيق.

الحياة الأبدية السرمدية فكل من سواه يموت ويفوت وهو وحده الحى الذى لا يموت

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كان ولا أفلاك ولا زمان ولا إنسان ولا أكوان ثم خلق الزمان و خلق المكان وخلق الملائكة وعوالم الجن وعوالم الإنسان وأراد أن يعرف فأرسل الرسل والأنبياء ليعرفوا الخلق بالله جل فى علاه

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله جعله الله ﷻ خاتم الأنبياء والمرسلين فهو واسطة العقد وهو لهم الإمام فى الدنيا ويوم الزحام ...

أرسله الله ﷻ على فترة من الرسل ثم أرسل إليه وقال يا محمد تعلم لم أرسلت إليك ؟ أرسلتك شاهداً ومبشراً ونذيرا والشاهد مطالب بحقيقة ما يشهد به فتعالى أريك جنتى لترى ما أعددت فيها لأحبابى وأوليائى وأكشف عن نارى لترى ما جهزت فيها للكافرين والمشركين والعاصين وأعدائى وأكشف لك عن جمالى لتعلم أنى منزه فى كمالى عن النظير والوزير والمشير وعن الضد والند فرآه ﷺ بالنور الذى قواه به الله إلهاً واحداً أحداً لا فى شئ ولا من شئ ولا مفتقر إلى شئ ولا محمولاً على شئ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك السراج المنير الذى أرسلته للخلق بشيراً ونذيراً سيدنا محمد إمام المرسلين وسيد النبيين والرحمة العظمى للخلق أجمعين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته المباركين وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين .. آمين يا رب العالمين.

إخوانى جماعة المؤمنين.استمعنا سوياً قبل الصلاة إلى خطاب التكليف الإلهى لحبيب الله ومصطفاه حيث اختاره الله ﷻ لنبوته وكلفه بحمل شريعته وتبليغ رسالته وبين له فى هذا الخطاب الجامع مهام نبوته فقال مخاطباً له بلسان التعظيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [٤٥ الأحزاب] ... ثم بين له حقيقة إرساله وأنه مرسل من عند مولاه وأنه مكلف بتبليغ الرسالة التى حملها له الله فقال عز شأنه ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ وخاطبه الله بلسان الجمع ولسان العظمة إنا! أى نحن حضرة الألوهية وحضرة الربوبية بكل أسمائنا وصفاتنا وبكل جمالاتنا وكمالاتنا أرسلناك،وأرسلناك معناها أننا أعناك على تبليغ

رسالة الله ﷻ، فإن الله لا يرسل رسولاً برسالته إلا ويعينه بكـــل الحقـــائق الظـــاهرة والباطنة على تبليغ دعوته وذلك لأن المرسل له هو من يقول للشئ كن فيكون.

ما مهام النبوة ؟ وما الشئون التى كلف الله ﷻ بها الخلق ؟ جمعها الله وذكرهـــا لنا فى كتاب الله لنعلم شيماً من القدر العظيم الذى جعله الله لحبيبه ومـــصطفاه فـــإن الحبيب يعلم ما كلفه به مولاه وقد أحاطه الله قبل القبل بكل ما كلفه به فى الدنيا بـــل بكل ما شرفه به يوم الدين وقال فى ذلك وهو أصدق القائلين (١١٣ النساء):

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

علمه الله قبل خلق الخلق كل ما كان وكل ما هو كائن وكل ما سيكون إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ويصيرون فريق فى الجنة وفريق فى السعير كـــل هذه الدورات والأطـــوار علمه بها العـــزيز الغفـــار قبل إيجاد هذه الدار التى أسكنها الله ﷻ لنـــا لكن الله أراد أن يعلمنا نحن مهام النبوة ووظائف حضرة النبى التى كلفه بها من يقول للشئ كن فيكون لنعلم شيماً من قدر هذا النبى العظيم وجاهه عند المولى الكريم ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [٤٥-٤٧الأحزاب]

خمس مهام رئيسية كلفه بها المولى ﷻ فى مقام النبوة ناهيـــك بما كلفه بـــــه فى مقام الرسالة وإليـــه الإشـــارة فى ســـورة البقـــرة ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ [١٥١ البقرة] تكليفات أخـــرى : ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [البقرة] كل هذه التكليفات تحتاج إلى إيضاح وإلى بيان تفصيلى أو موجز وفى لـــنعلم المهام التى كلف الله بها حضرة النبى فنقوم له بالأدب الواجب علينا نحوه ليكرمنـــا الله ﷻ بأن نحشر فى زمرته وأن نكون من أهل شفاعته أجمعين .

ويكفينا فى هذا المقـــام أن نلمح إلى التكليف الأول : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا ﴾ [٤٥ الأحزاب] ... شاهداً على ماذا ؟ أشهده الله ﷻ كل عـــوالم ملكـــه وعـــوالم ملكوته وكشف الله له الغطاء ورآها بعين القلب وعين الروح وعين البقاء حـــتى إذا

حدث يحدث عن عيان ويحدث عما رأى لأن الله ﷻ أمره بذلك وكلفه بذلك ولذلك كان ﷺ إذا حدث أصحابه عن الجنة يقول لهم {عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارُ آنِفاً فِي عُرْضِ هذَا الْحَائِطِ}[١٤] يرى الجنة بما كاشفه به الله لأن الله لم يخبئ فى الكون عاليه ودانيه حقيقة عالية أو دانية إلا وكاشف بها حبيبه ومصطفاه ﷺ وكان إذا تحدث عن الدنيا يقول ما معناه : جليت لى الدنيا جلياناً فى كفى هذا كأنى أنظر إليها، فقد جمع الله له الدنيا من أولها إلى آخرها فى كفه !! وقد حدَّث عن الغابرين وعن الأولين من النبيين والمرسلين وأممهم أجمعين، وحدَّث عن الآخرين وما يحدث لأمته وما يحدث فى الدنيا إلى يوم الدين!! فما من شئ ظهر فى الوجود أو سيظهر إلا وحدَّث عنه وكاشفنا بما سيدور فيه لأن الله كاشفه بذلك وأراه ذلك.

وحدَّث عن البرزخ والقبور وما يحدث فيها وما يدور من بدء الدنيا إلى يوم النشور وحدث عن القيامة ومواقفها كلها. كيفية تطاير الصحف وكيفية نشر الميزان وكيفية المرور على الصراط وكيف يتم الحساب لأمته ولسائر الأمم وحدث عن الجنة وأنواع نعيمها وألوان طرفاتها... وحدث عن النار وأصناف عذابها... وحدث عن الله وعن جماله وعن كماله وعن شريف خصاله وطيب معاملته التى يعامل بها المؤمنين:

لأن الله ﷻ كاشفه بكل ذلك فهو ﷺ يحدث بما يعاين ويكشف عما رأى هذا هو مقام الشهادة الذى أشهده الله ليكون فى تعليمه وانذاره وتبشيره لخلق الله عن يقين أحدثه له مولاه وعن رؤية عينيه كاشفة بها الله ولذلك قال الله له فى كتابه فى [١٠٨ يوسف]: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ .

فقد كان يدعو على بصيرة صلوات ربى وتسليماته عليه ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا ﴾ [٤٥ الأحزاب] أشهده الله ﷻ غيب السرائر وما يجول فى الخواطر وما يمر فى الضمائر ولذلك كان يحدث كل إنسان بما يراه فى ضميره ويكاشف كل إمرئ بما يطلع عليه فى سره ألستم تعلمون أنه فى رحلة الهجرة التى نحن فى أيامها لحق به سراقة ابن مالك وطلب منه الأمان وقال يا رسول الله اكتب لى كتاباً ؟ فأمر عامر بن فهيره

---

١٤ صحيح البخارى عن أنس بن مالك.

خادمه هو وأبو بكر أن يكتب له كتاباً فلما كان يـوم فتـح مـكة جاء سـراقة بالكتاب وقال يا رسول الله هذا كتابك الـذى كتـبت إلى " قال اليوم يـوم بـر و وفاء كيف بك يا سراقة ابن مالك إذا لبست سوارى كسرى إبن هرمز ؟ قال سراقة ابن مالك يلبس سوارى كسرى إبن هرمز ملك الفرس ؟ قال نعـم.

فلما كان فى زمن الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ وفتح الله على المسلمين بـلاد فارس وجاءوا بكل خزن كسرى على جمال أولها فى المدينة وآخرها بالمدائن، وكان من جملة الغنائم سوارى كسرى إبن هرمز فلما رأها عمر بن الخطاب ﷺ أخذها وانطلق بها من ساعته وخرج فى عز الظهيرة وأنتم تعلمون حرَّ مكة والمدينة وانطلق صوب مكة وأمر بحضور سراقة وجمع المسلمين وألبسه سوارى كسرى إبن هرمز وقال:

الحمد الله الـذى نـزع سوارى كسرى إبن هرمـز ملك الفـرس وألبسها سراقة ابن جشعم مـن صعاليك وفقـراء العرب تصديقاً لما رأه رسول الله ﷺ .. ألم يقـل لهم ﷺ فى بلـدنا : { **إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ** }[١٥] وقـد كان و فـتحت مصر – {**إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِصْرَ** – أى ليس فى زمنه ولكن فى زمن بعـده – **فَاتَّخِذُوا فِيهَا جُنْداً كَثِيراً، فَذلِكَ الْجُنْدُ خَيْرُ أَجْنَادِ الأَرْضِ**}[١٦] .

وحصر هذه الأحاديث إن كانت للأفراد أو كانت للقبائل أو كانت للمدن أو كانت للشعوب أو كانت للدول أمر يعجز عنه أى بيان ولا يطيقه أى لسان لأن النبى كان كما قال فيه الحنان المنان ... ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الجن].

وقد ارتضاه الله أميناً على وحيه وأميناً على شرعه وأمينا على غيبه فكاشفه بهذا الغيب حتى خرج النبى ﷺ على أصحابه يوماً ورفع يده اليمنى وقال هذا كتاب بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم إلى يوم الدين ورفع يده اليسرى وقال هذا كتاب بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم إلى يوم الدين فقد أعطاه الله كشوف الناجين وكشوف الهـالكين الذين سعدوا والذين شقوا أعلمهم الله لسيد الأولين والآخرين ﷺ وذلك عنايـة بـه

١٥ صحيح مسلم عن أبي ذر.
١٦ ابن الحكم فى فتوح مصر عن عمر بن الخطاب (جامع الأحاديث والمراسيل).

ورعاية له وإختصاراً له وقت دعوته واعانه من الله له على تبليغ رسالته.

ولذلك عندما آذاه أهل مكة وبالغوا فى إيذائه، ونزل ملك الجبال وقال: يا محمد أنا ملك الجبال وأنا طوع أمرك ! إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين (أى الجبلين المحيطين بمكة) فقال بما أراه الله : لا! إنى لم أبعث لعنة وإنما بعثت رحمة، إنى أطمع أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله ﷻ ...

فهى ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [١٠٥ النساء] ولم يقل بما علمك الله أو بالوحى الذى أنزله عليك الله لكنه قال ﴿ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ .. وذلك لأن الله أراه الحق الواضح الأبلج فى كل شأن وحال وموقع! قال ﷺ: { **أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا. لِوَاءُ الحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلاَ فَخْرَ**}١٧.

أو كما قال ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة

الخطبة الثانية:

الحمد الله رب العالمين الذى أكرمنا بالنبى المصطفى الأمين وجعله لنا نبياً وجعلنا له أتباعاً ونسأل الله ﷻ أن يتم علينا النعمة فيرزقنا جواره وشفاعته وأن يسقينا أجمعين من حوضه المبارك شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبداً ... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعز من أطاعه ولو كان عبداً حبشياً ويزل من خالف هديه واتبع هوى نفسه ولو كان شريفاً قرشياً.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله جعله الله ﷻ أماناً لأمته فى الدنيا وشفيعاً لهم وللخلق أجمعين فى الدار الآخرة اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وارزقنا أجمعين اتباع هداه ووفقنا أجمعين للسير على خطاه واجعلنا أجمعين ممن انتهج على شرعه وسنته إلى أن نلقى الله وارزقنا أجمعين جواره فى الجنة يا الله.

إخوانى جماعة المؤمنين إن الحديث عن مقام الشهادة يطول شأنه ولا نستطيع أن نوفيه قدره ولكن حسبنا أن نقف عند شئ خاص بنا فى هذا المقام فقد قال الله ﷻ لنا:

---

١٧ عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ فِي (سنن الترمذي)

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [١٤٣ البقرة]

فقد أعلمنا الله ﷻ أن الرسول سيكون شهيدا علينا أجمعين وليس شهيداً علينا فقط بل على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين وأممهم:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء]

فهو شـــهيد عـــلى الأنبياء والمرسلين وأممهم وهو شهيد على أفراد هذه الأمة منـــذ بعثته إلى أن يـــرث الله الأرض ومن عليها إن كان رجلا أو إمرأة شاباً أو شيخاً صغيراً أو كبيراً كيف ستكون هذه الشهادة ؟ وضحها ﷺ فى الحديث الشريف الذى رواه الإمام البزار والطبرانى وأبو داود رضى الله عنهم عن ابن سعد ، قال ﷺ:

{ حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ، فَإِذَا كَانَتْ وَفَاتِي خَيْراً لَكُمْ، تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَإِنْ رَأَيْتُ خَيْراً حَمِدْتُ اللَّهَ، وَإِنْ رَأَيْتُ شَرًّا اسْتَغْفَرتُ لَكُمْ } ...

كل ليلة يعرض عمل المؤمن على رسول الله وقد قال فى ذلك الله جل فى علاه آمراً كل المؤمنين بهذا الدين من عصره إلى يوم الدين .. ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة]، وحتى لا يقول البعض أن ذلك فى الآخرة قال الله عقبها : ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة] ... وسيرى هنا أى فى المستقبل إذاً سيرى إلى يوم الدين كل أعمال المؤمنين وكل أحوال المسلمين ...

حبيبى وقرة عينى يطلع على أحوال المسلمين الآن .. ويرى ما نحن فيه مـــن ذل وامتهان بين أمم الكافرين .. ويرى ما نحن فيه مع بعضنا من غش لإخواننـــا المـــؤمنين ومن خداع لإخواننا المسلمين ... ومن تقتيل للإخوة فى الدين ومن أعمال ســـردها

يطول كلها لا ترضى رب العالمين

وكلها يطلع عليها رسول الله ويراها !! فكيف يكون حالك يا أخى المسلم إذا استحضرت عند المساء أن الحبيب سيطلع على صحيفة أحوالك اليوم ويرى ما فيها من أعمال صالحة ويرى ما فيها من قبائح ؟ وعليك هنا أن تعلم علم اليقين أن الله ﷻ لا يكشف له الظواهر وحسب بل يكشف له الظواهر ومعها غيب السرائر فيعلم نيتك فى العمل ويعلم غرضك عند العمل ويعلم علتك التى من أجلها كان هذا العمل لماذا ؟ لأنه المحامى الأعظم عنا أجمعين يوم نلقى رب العالمين ﷻ والمحامى لا بد وأن يطلع على ملف القضية ويقرأ كل ورقة فيها قراءاة تفصيلية.

إذاً لا بد أن يطلع على ملف قضيتك ليدافع عنك أمام حضرة الله ويطلب لك العفو من الله أو يطلب لك درجة عظمى فى الجنة تستحقها بعملك عند الله لأنه ﷺ هو الذى قال له ربه فى هذا المقام:

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الاسراء]

يفتح الله ﷻ به الجنة فهو مفتاحها لكنه لا يدخل الجنة إلا بعد أن يطمئن على كل أفراد الأمة يقول سيدنا أنس ابن مالك ﷺ :-

{سألت نبيّ الله ﷺ أن يشفّع لي يوم القيامة قال: قال: «أنا فاعِلٌ بِهِمْ» قال: فأين أطلبك يوم القيامة يا نبيّ الله؟ قال: «اطْلُبْنِي أوّلَ ما تَطْلُبُنِي على الصِّراطِ» قال: قلت فإذا لم ألقك على الصراط؟ قال: «فأنا عِنْدَ الميزانِ» قال: قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فأنَا عِنْدَ الحَوْضِ، لا أخْطِيء هذهِ الثلاثَ مواطِنَ يَوْمَ القِيَامَةِ }[18]

فلماذا يذهب إلى الصراط ويذهب عند الميزان ويذهب عند تطاير الصحف وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ ليشفع فى المؤمنين ويثبت المؤمنين

---

١٨ رواه الترمذي والإمام أحمد.

ويطلب العفــو من الله ﷻ للمقصرين والمخطئين ويسأل الله ﷻ فى هذه الأمة أجمعين أن يشملهم الله بعفــوه وغفــرانه وأن ينزلهم منازل جنتــه ورضـــوانه فــإن الله قـــال فى قـــرآنه .

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾ [الضحى]

فقال كما قال سيدى جعفر الصادق ﷺ قال: ﷺ عند نزول هــذه الآيــة : { إذنْ لاَ أرْضَى، وأحدٌ مِنْ أُمّتِي في النّارِ } [١٩] فيشفع في أهــل الموقــف حــتي يطمئنون إلي انتهاء الحساب ثم يتجه بعد ذلك إلي من حكم عليهم بمدد من العــذاب فيشفع فيهم عند الله ﷻ ليحفض لهم المدد ويحصلوا على عفو مــن حــضرة العفــو ويهبط بين يدى الله ويسجد ويحمد الله سبحانه بمحامد يلهمه الله بها فى تلك الــساعة فيقول: { يَا مُحمّدُ ارْفعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمّتِي يَا رَبِّ أُمّتِي } [٢٠]

فيأذن الله ﷻ له فيترل ويخرج طائفة ثم يكرر هذا الأمر ويرجع ثانية ويخــرج طائفة، حتى يخرج طائفة من أمته صاروا حمماً فى النار ويلقيهم فى نهر الحياة ثم يأمر الله بهــم أن يــدخلوا ﴿ جَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣آل عمران] ... حتى أن آخر رجل من أمته سيخرج من النار يقــول فى شــأنه الكريم الرءوف الرحيــم ﷺ وآخر رجل مــن أمتى يخرج من النار ويــدخل الجنــة يقول الله ﷻ له تمنى؟ فيقــول يا رب أن تدخلنى الجنة! فيقول إن لك فى الجنة مثــل الدنيا كلها من أولها إلى آخرها عشر مرات! فيقول الرجل أتــسخر بى وأنــت رب العالمين؟ فيقول أن لك فى الجنة مثل الدنيا كلها من أولها إلى آخرها عشــر مـــرات ومثله معــه، وفى رواية ومثليه معه، فضلاً من الله ونعمــه ببركــة الحبيــب المختــار الشفيــع الأعظــم لجميــع الأخيــار والأطهــار والأبــرار.

نســأل الله ﷻ أن يرزقــنا شفاعتــه وأن يوفقنا للعمل بشريعته وأن يجعلنــا من خيار المتبعين والعاملين بسنته وأن يعيننا على نشر المودة والمرحمــة بــين إخواننــا

---

١٩ تفسير الثعالبي ، وأضواء البيان وغيرها
٢٠ صحيح البخارى ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة.

المؤمنين وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

اللهم أرنا الحق حقاً ورزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل زاهقاً وهالكاً وارزقنا اجتنابه. اللهم حبب إلينا فعل الخيرات واستباق الباقيات الصالحات وعمل الخير وكل المبرات واحفظنا وأبناءنا وبناتنا وزوجاتنا بحفظك من الفتن والمعاصى والسيئات، اللهم اغفر لنا ولوالدينا والمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين.

اللهم تعطف علينا وعلى المسلمين أجمعين وانظر إلينا نظر عطف وحنان تبدل به حالنا إلى أحسن حال ،ترفع به عنا الغلاء وتذهب به عنا الأمراض والأسقام والوباء وتعز أمة لا إله إلا الله وتذل الكافرين والمشركين وتملك اليهود ومن عاونهم أجمعين، واجعل هذا العام عام نصر وفتح وتمكين على المسلمين أجمعين يا خير الناصرين، اللهم حرر هذا العام بأيدى جندك بيت المقدس من اليهود الغادرين، وأصلح بين فئات المسلمين المتصارعين فى فلسطين والصومال وأفغانستان، واطرد جند أمريكا من العراق وحررها وأجعل أهلها فى أمان.واجعل دائرة أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله فى حمايتك وصيانتك يا حنان يا منان.

المجلس السادس

المخرج والسبيل لما نعانيه من مشكلات[٢١]

ما المخرج والسبيل من الأحوال التى نحن فيها الآن من المعضلات والمشكلات التى زادت عن الحد فيما بيننا ؟

المخرج فى بند واحد يحل كل هذه المشاكل وهو فى كتاب الله ويقول فيه حضرة الله ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ [٥٤ النور] إذا أطعتم هذا

٢١ طفنيس، الجمعة ١٧ محرم ١٤٢٩ هـ ٢٥/ ١/ ٢٠٠٨م، درس بعد صلاة الجمعة بالمسجد العتيق.

النبى فإن كل شئ سيحل. فيم نطيعه ؟ فى كل صغيرة وكبيرة وفى كل عمل وفى كل حركة وفى كل سكنة وذلك لأن الله قد جعله قدوة لنا كلنا وقال لنا و لمن قبلنا ولمن بعدنا : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [٢١ الأحزاب] هذا هو قدوتكم فلا تأتوا بنموذج من الغرب ولا نموذج من الشرق لأن هذا هو النموذج الأعظم الذى رباه واصطفاه واجتباه وأقامه على عينه مولاه جل فى علاه وهو رسول الله ﷺ فقوله وحى وعمله وحى وحركاته وحى وكل سكناته وحى وقد قال الله فى ذلك كله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ [النجم] سواء إن كان نطقاً باللسان، أو فعلاً بالجوارح والأركان، أو سكوناً! فكل شئ عمله حضرة النبى هو وحى مؤيد من السماء.

ومع أننا فى العصر الحديث إلا أن العلوم العالية والعلماء والأكابر عندما يبحثون عن الأحاديث الموجودة فى السنة فإنهم يقولون إن آخر صيحة فى العلم الحديث هى التى يقولها هذا الحديث فما الذى يجعلنا ويدفعنا إلى أن نشتت أذهاننا ونذهب إلى هنا أو إلى هناك ما دمنا نعلم أن ما جاء به ﷺ هو الصحيح وهو ﷺ لم يترك شيئاً صغيراً أو كبيراً لأى مسلم إلا وبينه حتى كيف نجلس فى الشمس ؟

علمنا ذلك وقال: { **استدبروا الشمس ولا تستقبلوها فإن استدبارها دواء، واستقبالها داء**} [٢٢] أى اجعل ظهرك للشمس وصدرك للهواء لماذا ؟ قال العلماء أن البرد يدخل إلى الجسم من الظهر عن طريق الكليتين وعندما يكون ظهرك للشمس لا يأتيك البرد أما إذا استقبلت الشمس بوجهك فسيأتيك الصداع والسخونة لأن الوجه قد خلقه الله لا يتحمل سخونة وحرارة الشمس، فحتى الجلوس فى الشمس عرفه لنا رسول الله، كذلك كيف ننام وكيف نأكل ونشرب وكيف نتعامل مع الزوجة والأولاد! وكيف نتعامل مع الجيران! وكيف نتعامل مع بعضنا فى السوق، وكيفية قواعد البيع والشراء والكيل والميزان، فلم يترك رسول الله شيئاً إلا وبينه ووضحه ومع ذلك نترك كل ذلك ونمشى على حساب حظنا وهوانا ونريد من الله أن يعطينا منانا .. ونقول لماذا رفع الله الأسعار وبالأمراض ابتلانا؟

---

٢٢ الأزمنة والأمكنة للمرزوقى.

ذلك كله لأننا فى إعراض عن سنة النبى ﷺ وكل واحد منا يريد أن يمشى بفكره أو بنفسه ويترك سنة النبى خلف ظهره ويأتى لنفسه بتأويلات وتبريرات وتفسيرات فإن أصحاب حضرة النبى الذين أيدهم الله ونصرهم وفتحوا العالم كله وبعد أن كانوا صعاليك صاروا أمراء وملوك وبعد أن كانوا حفاة عراة اصبحوا يملكون القصور والعبيد والخدم وذلك لأنهم سمعوا قول الله

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ ومن لم يفعل ذلك ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ ﴾ [الحشر] سيتزل العقاب لمن؟ لمن خالف سنة النبى الأواب – فما العقاب الذى نحن فيه الآن؟

يكفى الهم! قال ﷺ فى معنى الحديث { **الهمُّ جند من جند الله يسلطه الله على من يشاء من عباده** } فهناك همُّ المعيشة ، هم الولد أين يعمل وكيف يتزوج؟ هم البنت التى لم يأتيها العريس كل هذه الهموم هل كانت موجودة عند السلف الصالح؟ كلا وذلك لأنهم كان معهم مفتاح أعطاه لهم الفتاح ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ ﴾ [الطلاق] لا أملك الأرض ولا الزرع ولا أملك أى صنعه ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾ [٣ الطلاق] طبق الله كل ذلك معهم ومع ذلك فهو عند وعده ويستطيع أن يطبقه معنا ولكن إذا صرنا مثلهم فى هديهم وسمتهم وأخلاقهم وأحوالهم فى اتباعهم لنبيهم ﷺ.

حتى أن الله قد وجه للأمة كلها من البداية للنهاية إنذار شديد به وعيد يقول فيه ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ [٦٣ النور] عليهم أن ينتبهوا ماذا يا رب؟ ... ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣ ﴾ [النور] إذاً قد حذرنا الله من مخالفة رسول الله ومن يخالفه يستحق ما يجرى عليه.وما أنزله الله من بلاءات وابتلاءات ليس عقاب لنا ولكنه محبة لنا لأن ربنا لا يتزل بالعقاب على الأحباب لكنه يتزل أدب لطيف على الأحباب ليرجعوا إلى الطريق المستقيم خلف النبى الأواب لأن العقاب الحقيقى كان يتزل على الأمم السابقة:

﴿ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾[٤٠ العنكبوت]

وهذا كان العقاب أما نحن فإنه يترل علينا أدب خفيف من الرب اللطيف لنرجع إلى سنة النبي الشريف ولأن أصحاب رسول الله كانوا يعرفون ذلك كان الواحد منهم عندما يتأخر عليه شئ يريده من الله يفتش فى نفسه ويسأل نفسه ماذا تركت من سنة رسول الله وكان السبب فى تأخر الفتح؟ فقد حاصر الصحابة حصن بابليون وهو مكان القاهرة الآن وكان من عادة الله معهم أن يكونوا فئة قليلة ومع ذلك يغلبون فئة كثيرة لأهم لم يكونوا يغلبون بالعدد ولا بالعدد وإنما يغلبون بالمدد يأتى من الواحد الأحد وقد ظل حصارهم للحصن مدة ستة أشهر وكان فيهم شاب جديد من الأكابر الذين عاصروا النبى السعيد ﷺ فجلس الأكابر مع بعضهم وقالوا لم يحدث من قبل أن بلدة استعصى علينا فتحها لمدة ستة أشهر فماذا فعلنا أو ماذا نسينا مع أننا نحافظ على الفرائض والسنن القبلية والبعدية للصلاة وكذلك سنن الصلاة نقوم بها خير قيام ؟ قالوا نبحث عن المستحبات وماذا نسينا منها ؟ فوجدوا أهم نسوا إستعمال السواك الذى أمرهم به النبى فقال :

{ فَضْلُ الصَّلاةِ بِسِوَاكٍ على الصَّلاةِ بِغَيرِ سِواكٍ سَبْعِينَ صَلاةً }[٢٣]، وقال فيه أيضا: { لَولا أن أَشُقَّ على أُمَّتي لأمرتُهمْ بالسِّواكِ عندَ كلِّ وُضوء }[٢٤]

وكان صلي الله عليه وسلم بذلك حريص على أصحابه من البداية.فإن معجون الأسنان والفرشاة عند الغربيين المحدثين مازالت حديثة العهد!! أما الذى ينظف أسنانه من الأزل فهم أصحاب حضرة النبى لأنه عندما رآهم قال لهم { تَدْخُلونَ عَلَيَّ قُلْحاً ولا تَسْتَاكُونَ، إسْتَاكُوا. لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ على أُمَّتِي لفَرَضْتُ عليهِمُ السِّواكَ كما فَرضْتُ عليهِمُ الوضوءَ»، وقالَتْ عائِشَةُ: ما زالَ النبيُّ ﷺ يَذْكُرُ السِّواكَ حتّى خَشِينَا أَنْ يَنْزِلَ فِيهِ قُرْآنٌ }[٢٥]

وقلحاً أى صفر الأسنان – إستاكوا فالسواك يبيض الأسنان ويطيب رائحة

---

٢٣ رواه أحمد والبزار وأبو يعلى عن عائشة رضى الله عنها.
٢٤ صحيح البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه.
٢٥ رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الكبير عن العباس رضى الله عنه.

الفم وقد قال فيه ﷺ { السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ للفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِ }[٢٦]

ولم يفعل الغـــرب مثـــل ذلك إلا فى العصر القريب عندما عرفوا فائدة ســـنة الحبيب من الناحية العلمية ... فأحضر الصحابة السواك واستخدموه وعنـــدما نظـــر إليهم الأعداء من فوق الحصن قالوا إن المسلمين قد أتاهم المدد وهـــذا المـــدد يأكـــل الخشب فإذا كنا لم نقدر عليهم قبل ذلك فـــلا قبـــل لنا بمـــن يـــأكل الخـــشب وأعلنوا التسليم فـــوراً.وكان ذلك بعـــد إنتـــهاج جنـــد المـــسلمين لـــسنة الـــنبى الحكيم.وكذلك كان أصحاب حضرة النبى مثلاً إذا بحث واحد منهم عن عـــروس له ولا يرضى أحد أو يجد من تناسبه فوراً يفتش نفسه ويقول ماذا نسيت من سنة رسول الله ؟ فى ماذا قصرت من فرائض الله.

لأن المسلم إذا أتم فرائض الله وأتى بسنن رسوله فإن الله ﷻ يفتح له الباب فى الحال ويـــأتى له بواحـــدة فى الصـــفات والخصـــال كالحـــور العـــين وهو عطـــاء الله مـــن بـــاب قوله تعالى فى سورة [الطلاق]:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

وكان هـــذا هو النهـــج الذى يمشى عليه أصحاب رســـول الله.

أما نحن الآن فقد تركنا نهج رسول الله وكل واحد منا يمشى على حسب حظه وهواه ومع ذلك يطمع أن يأخذ مناه وإذا لم يأخذ مناه يشتكى الله لخلـــق الله ويقـــول لماذا لا يعطينى الله ما أريد ؟ لماذا يأتينى بالمرض الفلانى ؟ لماذا لم أوفق فى العثور علـــى زوجة صالحة ؟ وهكذا.

مـــع أن السبيـــل واضـــح { ارجـــع إلى السنة تكـــن فى جـــنة } تكـــن فى عنايـــة الله ورعايـــة الله ﷻ على الـــدوام ..... أما إذا تركنا الـــسنة كالحـــادث الآن فإن الله ينبهنا وإياكم أن تظنوا أن عناية الله تخلت عن المسلمين أو أن امـــداد الله إنقطع عن المؤمنين.أبـــدا لكن الموضوع إن صلة الله بـــنا– ولله المثـــل الأعـــلى – كصلة الوالد بأبنه .. فإذا كان أبنك مستقيماً ويمشى على النهج الحكيم فإنك تعطيـــه

---

٢٦ رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها.

ما يريده، أما إذا وجدته سهى ولعب وتريد أن ترجعه إلى النهج الصحيح فماذا تفعل؟

مثلاً إذا كان يجلس على المقاهى وينفق كل نقوده عليها فإنك تقلل المصروف وذلك لكى يرجع عما فيه من غى ... وإذا كان يمشى بغير حكمة فإنك تقلل عنه البر والخير ، حتى النظرات! و الكلمات والمقابلات، وتشيح عن وجهه ولا ترد عليه السلام! لكى يشعر أنه مخطئ كذلك يكون حال الله مع المؤمنين، فإن الله يريد أن يشعرنا أننا غير منضبطين فيترل علينا بعض الغلاء لكى نرجع له وإذا رجعنا له رجع لنا بكرمه وعطفه ورفع عنا ما نزل بنا !

سيدنا إبراهيم وهو يحفر قواعد الكعبة وجد ثلاثة أحجار مكتوب على الحجر الأول أنا الله رب البيت أملاء الأسواق بالأرزاق ولو كانت الخزائن فارغة، أى إذا انصلحت أحوال المؤمنين فأنه يملاء الأوقات والأرزاق فى الأسواق وفى البيوت ويضع فيها البركة وإذا وضعت فيها البركة إنتهى الأمر فما يكفى واحد يأكله خمس وما يكفى خمس يأكله عشر وهكذا !! والجلباب الذى يبلى فى عام يمكث سنين ولا يبلى إلى أن يتصدق به صاحبه على فقير.

ابني يأخذ دروس خصوصية بخمسين جنيه فى الشهر يلهمه الله ﷻ تحصيل وفهم العلوم ويوفر هذه النقود – المبالغ التى أدفعها فى العلاج يوفرها لى رفيع الدرجات لأنه سيصحح جسمى بمدد من عنده ولا يحوجنى إلى طبيب ولا إلى مراهم وأدوية كتبها الطبيب، لماذا ؟ لأننى أصلحت حالى مع الله ﷻ واسمعوا إلى الله ﷻ وهو يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ ماذا يحدث ؟

﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [٩٧ النحل] حياة طيبة ليس فيها هم ولا كرب ولا خوف ولا سقم وأمراض وإنما يعيش في عناية الله ورعايته وكفالته على الدوام، وليس معنى الحياة الطيبة هنا أن يعطيه الله الألوف والملايين وإنما يعطيه ما يكفيه لأن تعامل الله مع المؤمن أن يعطيه ما يكفيه وما يغنيه ولا يزيده بما يلهيه! فإذا كانت هذه الزيادة ستلهيه عن طاعة الله فإنه لا يعطيها للمؤمن لأنه حريص عليه .. أما الكافر فإنه يعطيه لكى يلهيه ...

إذاً كل ما يحدث لنا الآن فهو تنبيه من الله ﷻ لنا ولو رجعنا وما أسهل الرجوع إلى الله فقط يلزمها توبة نصوح إلى حضرة الله وعزم وإصرار على متابعة رسول الله وعدم العودة إلى الذنوب والأعمال التى تغضب الله فيقلب الله جميع أحوالنا فى طرفة عين إلى ما نحبه فى هذه الحياة ولا يستطيع أحد من الشرق أو الغرب ضررنا أو التحكم فى مصائرنا ولا فى أرزاق أولادنا وإنما نكون فى غنى شامل لأننا فى عناية وفى حصانة الله جل فى علاه

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس السابع

أرزاق الدنيا والآخرة، وأرزاق المقربين [٢٧]

يرزق الله تعالى أرزاق الدنيا .. والآخرة .. وأرزاق المقربين ...

وقسم الله ﷻ الأرزاق على هذه الكيفية فى هذه الآيات القرآنية فهناك قوم آثروا أخراهم فيزيد الله حسناهم ويضاعفها لهم ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ [٢ الشورى] يربيها وينميها حتى يجدوها أضعافاً مضاعفة.

وهناك قوم آثروا دنياهم! وكل همهم هو ما يحصلونه من دنياهم لدنياهم .. هؤلاء أعلن الله على الملأ أنه يعطيهم ما يريدون لكن ليس لهم فى الآخرة ولا عند حضرته من نصيب ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الشورى].

وهناك قوم آخرون إختاروا مولاهم ..... وعملوا على رضاه .... فأعد الله لهم الدرجات العلا فى الجنة ... وخيرهم فيها .... فقال سبحانه تعالى فى كتابه فى شأهم ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ﴾ [٣٥ ق] .... وكثير من الناس عندما يقرأ هذه الآية والتى

---

٢٧ طفنيس الجمعة ١٧ محرم ١٤٢٩ هـ ـ ٢٥/ ١/ ٢٠٠٨ درس بعد صلاة الجمعة ديوان أبو حميرة .

تشابهها ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾[٣٤ الزمر] الآيــة الأولى ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ﴾ [٣٥ ق] أى فى روضات الجنات وما يشاءونه فيها من نعيم الجنات.

والآية الثانية ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ [٣٤ الزمر] أى من عطايا رهم لأهل الخصوصية فى طاعة رهم وكثير من الناس يفسرون ذلك على أن الصالحين لهم ما يشاءونه من أمور الدنيا والمعاش وما شابه ذلك لكن الآية لا تشير ولا تلمح من قريب أو من بعيد إلى ذلك.

فأما عن أهل الدرجات العلا فى الجنة فـ ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ﴾ [٣٥ ق] أى كما قلنا من نعيم الجنة الذى أعدَّه الله لأهل الجنة، أما المقربون والــذين يطلبــون وجه الله ... فهؤلاء لا يصلون إلى هذا المقام إلا إذا تركوا الــدنيا والآخــرة خلــف ظهورهم، فكيف يكونون فى مواجهة محبوهم ويطلبون أموراً دنية لم ينظر الله ﷻ إليها منذ خلقها!! ولو نظر إليها فلن يسقى الكافر منها جرعة ماء؟

فكيف يطلبون الدنيا الدنية من ربِّ البرية وهم فى هذه المواجهات العلية؟

فإهم لا يطلبون إلا قربه ورضاه، أو يطلبون دوام الإنــعام والتنعم بــالنظر إلى وجــه الله، أو يطلبون التجليات التى يتجلى عليهم ها على حسب تترلات الــصفات أو يطلبون أسرار الأخيار والمقربين والأبرار التى فتح الله كنوزها لأهل هــذه المنــازل العالية فى مواجهة العزيز الغفار، يطلبون طلباً يليق بالمقام الذى قرهم فيه وأجلسهم فيه الملك العلام .... وأول مقعد لهم:

﴿ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ ﴾ أين ؟ ﴿ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر] فلا بــد وأن يكون الطلب لائقاً للمقام، وهناك قــوم أعلى وأغــلى خصهم الله ﷻ بالإنعــام وهم الذين قال فيهم الله لحبيبه ومصطفاه عنــهم: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [٢٣ الشورى] .

والمعنى هنا أهم يودوا أهل القرب من حضرة النبى الأمــين، وكلمــة القــرب تشمل القرابة الروحانية وهى الأعلى والقرابة النسبية إذا كان فيها الأغلى والأعلــى أى إذا كانت روحانية ونسبية لأها بذلك جمعت الحسنيين، ومودة هؤلاء يقول فيهــا

بعض الصالحين: { لأن تقف بين يدى ولى من أولياء الله قدر شيّ بيضة أو سلخ شاة خيرٌ لك من أن تتقطع إرباً فى سبيل الله }.

ولما سئل رجل من الصالحين حين قال له بعض المريدين والطالبين والراغبين: كيف نصل إلى الله؟ فقال للسائل: ابحث عن رجل قريب من الله وتقرَّب إليه! فإن الله ينظر فى قلوب المقربين سبعين مرة كل يوم وليلة! فإذا نظر فى قلبه ووجدك فيه-أى إذا أحبك الرجل الصالح وحللت منزلة فى قلبه – أحبك الله وإذا أحبك الله رفعك وبالعمل الصالح وفقك وهداك لأن محبة الله سابقة ومحبتنا لاحقة.

بقى أن نقول أن القرب لهؤلاء ليس كما يظن بعض الجاهلين! فالتقرب إليهم ليس بالمأكولات ولا بالملبوسات! ولا بالأموال الكاسدات الفانيات! ولا بالأشياء الدنيويات! وإنما التقرب إليهم بالتشبه بهم فى أخلاقهم, فى أصولهم التى تشبهوا فيها بحبيبهم ﷺ ، أما الدنيا فقد أغناهم الله عنها وتكفَّل بهم ولم يجعل لهم حاجة لأحد غيره.

وليست هذه هى القربات التى يظنها أهل الغفلات لأنها بذلك تقرب إلى الله لأنه الذى يعطى الأجر والثواب على هذه القربات هو الله وليس الرجل الصالح فأنت إذا فعلت ذلك فإنك تتقرب به إلى حضرة الله.والله يثيبك ويعطيك الأجر والجزاء على هذا العمل لكن التقرب للصالحين هو التشبه بأخلاقهم والتخلق بأخلاقهم فإذا جاز يعاونهم فى نشر رسالة ربهم ابتغاء وجه الله ورسوله.

أما القوم الذين آثروا دنياهم ويعطيهم الله ما يريدونه وليس لهم فى الآخرة من نصيب هم الذين يريدون الدنيا ، والدنيا من الدنو ومن الدناءة وذلك للعلو فى الأرض وللظهور وللغرور وليس طلباً لمرضاة الله ونهج حبيب الله ومصطفاه.

فهم إما يطلبون الدنيا ولا يريدون بها العمل الصالح الذى يحبه الله، وإما يطلبون الدنيا بغير الطرق الشرعية التى أباحها الله فى شرع الله من المكاسب الحرام والذنوب والآثام، ولكن يطلب الدنيا لله يقول فيه ﷺ: {**مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلاَلاً اسْتِعْفَافًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَسَعْيًا عَلَى أَهْلِهِ وَتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَوَجْهُهُ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا مُكَاثِرًا بها حَلاَلاً مُرَائِيًا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ**

عَلَيْهِ غَضْبَانُ}[28] وهو الذى يقول فيه الله ﴿ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ [٢ الشورى].

ومن جعل له وقتاً إذا فرغ من المعايش وأعمال الدنيا لذكر الله والإقبال على الله والأعمال الصالحة التى تقرب إلى الله تأسياً بقول الله لحبيبه ومصطفاه: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝ ﴾ [الشرح] فأقبل على تلاوة القرآن أو الصلاة على النبى العدنان أو على قيام الليل أو صلاة الضحى أو على أعمال البر والخير أو الصلح بين المؤمنين أو صلة الأرحام وغيرها من العبادات والنوافل والقربات جعله الله فى روضات الجنات وهؤلاء هم أهل الدرجات فى الجنات: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝ ﴾ [الشورى].

وفوق الجنات والجنان رضوان من الله أكبر هذا الرضوان خصه الله ﷻ لمن أعانوا الحبيب المصطفى وورثته الكرام والصالحين فى كل زمان ومكان على تبليغ دعوة الله ونشر شريعة الله لا لطلب دنيوى ولا لشهوة نفسية كحب التمشيخ أو الرياسة أو العلو فى الأرض بالمناصب حتى ولو كانت أخروية ولا يرجون بذلك إلا وجه الله.

هؤلاء جعل الله ﷻ لهم أعظم الدرجات والمنازل وهى منازل الرضوان ويقول فيها فى حديثه القدسى {**يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ. رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى؟ يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي. فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً**}[29].

ولذلك قال الله فى قرآنه ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا ﴾ من أحسن من هذا: ﴿ مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ الدعوة هنا أولاً ... ومع إنشغاله بالدعوة والعمل الصالح .. لا يرى لنفسه فضلاً على أحد من المسلمين: ﴿ وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾ [فصلت].

---

٢٨ عن أبي هريرة (مصنف ابن أبي شيبة).
٢٩ عن أبي سعيد الخدري (صحيح البخاري ومسلم).

فلن يتباهى ويقـول أنـا أحسـن من فـلان أو أفضل من فـلان أو يـري حتي في نفسه أنه خير من فلان أو فلان فإن من رأي في نفسه أنه خير وأفضل من فلان حتى ولو كان من أدنى المسلمين فأنه يحتاج إلى التقويم فى دار التقويم ويحتاج إلى تربيـة فى حجور المربين الذين أقامهم سيد الأولين والآخرين لتربية السـالكين والمريـدين، ولذلك يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ : { بحسب إمـرء مـن الشـر أن يـرى الخـير فى نفسـه والشر فى إخـوانه }.

ويحدث ذلك عندما تسيطر النفس بشهواتها وحظوظها وسطوتها على الإنسان فينظر الإنسان بعين النقد إلى الإخوان فلا يعجبه أحد ويذكر لكل واحد منهم نقيـصة فإذا نظر هذه النظرات ونطق لسـانه بهذه العبارات فليعلم أنه في أسفل الـدركات فالدرجـات للصـعود والدركات للـنزول ولـذلك قـال الله عـن المنافقـين: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [١٤٥ النساء].

أى آخر دركة فى سلم النار وبعد هذه الدركة تكـون الهاوية والـتى فيهـا الكافرين والمشركين وهم خالدين فيها أبدا.وقد يقول بعض إخـواننا الغـير منتبهين أن المنافقين فى قـاع النار أكثر من الكافرين والمشركين وهذا قول مغلوط لأن المنافق نطق بالشهادتين.أمـا الآخـر فسيأتى يـوم عليه ويقول كما قال الله:

﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝ ﴾ [الحجر]

فهؤلاء لهم سلم وكل مـن على دركة من دركات السلم سيأتى عليه وقـت ويخرج أمـا من ينزل فى الهاوية فلن يخرج وهم الكافرون والمشركون الـذين ماتـوا على ذلـك حتى لقـوا رب العالمين ﷻ وهـم خالـدين فيها أبـداً

إذاً فإن أعلي مقام لمن يريد أن يكون فى أعلى مقاما القرب عند الملك العـلام هو العمل على نشر شرع الله ووصايا حبيب الله ومصطفاه ونشرها لا يـتم فى هـذه الحياة كما ينبغى إلا إذا كان المرء فى ذاته صورة مجملة للبضاعة التى يدعوا إليها فعندما يراه الناس يرونه فيه الجمال والكمال والخصال والخلال التى يحبها أى قلـب مطهـر يرجو رضا الواحد المتعال فيقبلون عليه ليتشبهوا بهذا الخصال أو ليتشبهوا بهذا الجمال

الذى رأوه فيه وهو جمال الحبيب المختار فهو وحده صاحب الشمائل العالية والأخلاق الرفيعة الغالية الراقية التى أثنى بها الله عليه فى الآيات القرآنية وقال فيها:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم]

فهو ﷺ أعلى من الخلق العظيم وأرفع شأناً من الخلق العظيم.فنحن نتخلق بالخلق العظيم من أين؟ ..تشبهاً بالسيد السند الرءوف الرحيم ويكفيه أن الله قد جمله بأوصافه فحضرة الله رءوف وخلع عليه اسمه الرءوف، الرحيم وخلع عليه اسمه الرحيم، وهو الكريم وخلع عليه وصفه الكريم وهكذا كل أسماء الله الحسنى جمل بها حبيبه ومصطفاه فهو وحده الذى يتصف بهذه الصفات فى أعلى الكمالات وأبهى الجمالات وأرقى الغايات كما يحبه الله.

أما نحن فنتشبه على قدرنا، ويموت الإنسان منا ويغادر الدنيا ولم يكمل فى التشبه باسم من أسماء الله، أو يتصف بكمال وصف به حبيب الله ومصطفاه فإن الكمال لله وحده، وخلعه على عبده وحده. وباقى الخلق كلهم مازال فى مقامات النقص. إذاً على المؤمن أن يرى نفسه دائما فى نقصان ومن يرى نفسه دائماً فى نقصان ويحتاج إلى الكمال فإن هذا هو المقام الذى يحبه الله ويقبل على أهله ويخلع عليهم خلع الرضوان، ولذلك قيل للسيدة عائشة رضي الله عنها:

{ متى يكون الرجل مسيئاً؟ قالت: إذا ظن أنه محسن }[٣٠].

وبالقياس على ذلك نسأل : متى يكون المرء محسناً ؟ إذا رأى نفسه مسيئاً، ولذلك تجد أن كل الصالحين السابقين واللاحقين شعارهم الأساسي أن يهتموا أنفسهم دائما بالتقصير والتأخير، بل أنهم يذهبون فى هذا المقام إلى أن بعضهم يتهم نفسه بالظلومية وبالجهولية وبالغفلة ، وذلك لأن إتهام النفس هو الأساس فى نفي اللبس وفى بلوغ الإنسان إلى درجة الأنس، وإذا نسي الإنسان اتهام نفسه فقد وقع فى اللبس لأنه بذلك ظن أنه وصل إلى الكمال !! فيبحث عمن حوله وينتقد هذا ! ويعيب على ذاك! وهنا يكون والعياذ بالله كما قال القائل:–

---

٣٠ إحياء علوم الدين، والدر الثمين والمورد المعين.

... الجـاهــل مــن الأكــوان منــاه وهــو يظــن أنــه يعبــد الله....

نسأل الله ﷻ أن يعيننا على أنفسنا وأن يفتح لنا فى قلوبنا عيناً منه نرى منــها قصورنا وتقصيرنا حتى ندخل على الله ﷻ بجهلنا وتقصيرنا فيعلمنا بعد جهالة ويحلمنا بعد سفاهة ويجعلنا من أهل دوام الإقبال عليه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس الثامن

إعجاز الله فى القرآن [31]

قرأ القارئ آيات من سورة الأعراف وعلق الشيخ علي قوله تعالي منها:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف].

فقال: الحمد الله الذى اختصنا بخير كتاب أنزله لخلــق الله فــشرح صــدورنا بسماعه وملأ أفئدتنا بمعانى كلامه وتعهد فى كتابه بذاته أن يجلى لنا غــوامض علومــه وإفهامه وقال لكل مؤمن كريم قارئ أو غير قارئ عالم أو جاهل وأعلم علم اليقين أن الذى يعلم القرآن ويتنزل بعلومه فى قلوب الصادقين هو رب العالمين ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرحمن]، والصلاة والسلام على أمير البيان وإمام أهل الشهود والعيان سيدنا محمد و آله وصحبه وورثته والناهجين على طريقه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

---

٣١ طفيس، الجمعــة ١٧ محرم ١٤٢٩ هــ ٢٥/ ١/ ٢٠٠٨ م، درس بعد صلاة العشاء بمسجــد الشيخ أبودوح .

إعجاز الله فى القرآن لن ينتهى حتى مع إنتهاء الزمان فالكل يتحدث والكل يفسر والكل يأول والكل يبين فإذا كان يوم القيامة وكما ورد فى الأثر { **يأتى القرآن يوم القيامة بكراً لم يفض بكارته أحد** } ، أى لم يصل أحد لحقيقة المعانى ولا خلاصة العلوم وحقيقة الفهوم التى أودعها فيه الحى القيوم ﷻ .

وإياكم أن يقول أحدكم ليس عندى كتاب تفسير فكيف أعرف معانيه ؟ أو يقول لا أعرف القراءة فكيف أصل لمغازيه وفهومه؟ لأن الذى أنزله قال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر]

يسر الله فهم القرآن وعلوم القرآن كما يسر تلاوة القرآن لأمة النبى العدنان ومن ذهب منكم إلى الحرمين الشريفين يجد العجب حيث يجد أخواننا المسلمين من غير العرب يقرأون فى كتاب الله بلسان عربى مبين وعندما تسمعه وتراه يقرأ فى كتاب الله تعتقد أنه يتكلم العربية وعندما تفاتحه وتتكلم معه تجد أنه لا يعرف كلمة عربية واحدة، فكيف يقرأ القرآن إذاً ؟ ناهيك عن أنه أثناء القراءة تنحدر الدموع على وجنتيه !! وهذا معناه أنه متأثر ويفهم ما يقرأ وليست كقراءة التسجيل قراءة صماء ولكنها قراءة فيها تمعن وتدبر لكلام الله ﷻ فكما قال الله ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ [١٧ القمر] لمن ؟ العربى والإنجليزى والأمريكى والإيطالى والأفريقى والآسيوى ولغيرهم، كل واحد من هؤلاء يقرأ ويفهم كتاب الله من الذى يترجم له ؟

الذى أنزل القرآن، من الذى يجعل اللسان ينطق بهذا البيان ؟ الذى أنزل القرآن هو الذى يجعله ينطق بهذا البيان ويفهمه أيضا هذا البيان وذلك لأن القرآن حجة الله ﷻ على العالمين .

وفى هذا المقام و نحن نستمع مع بعض لتلاوة القرآن ورد فى خاطرى أثناء التلاوة أن الله ﷻ بجلاله وكبريائه وعزته وقهرمانه يعلم عباده ويتنزل لهم فى كل أمر من الأمور فإن كلامه ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [٤٩ الكهف] ... والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، فإذا طلب منا أمر فى آية واحترنا فى كيفية تطبيق هذا الأمر على نهج أهل العناية فإن الله يشرح لنا ما نريد فى موطن

آخر من كتاب الله ... مثلاً يقول الله لنا جميعا ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [٦ غافر] ، و نحن نريد أن ندعوه ويجيب ...

فكيف يدعو المؤمن مولاه فيلبيه الله ويجيبه ؟ علمنا ربنا الكيفية التى بها تتم الإجابة فى كتاب الله فمن يريد أن يستجيب له الله عليه أن يسبق الدعاء بما قاله لنا الله هذه الليلة ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [١٨ الأعراف]، فلا تدعوه مباشرة إلا إذا قدمت شيئا قبل الدعاء وهى أسماء الله الحسنى.

وعندما ننظر فى نظام القرآن نجد أنه وضع ترتيباً لكل لفظة فى بيان الرحمن ﷻ، فمن يريد الدعاء عليه بأسماء الله الحسنى ... كم تكون أسماء الله ؟ذكر منها حضرة النبى على قدر العقول تسعة وتستعين اسما وقال لهم كما قال فى صحيح الترمذى: { إنَّ للّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً. مِائَةً إلاَّ وَاحِداً. مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ }[٣٢]

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ [٢٣ الحشر] إلى نهايتها وهو اسم الله الصبور، وعاد مرة أخرى عندما كان يدعو الله فيقول: { اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى ما علمنا منها وما لم نعلم } وذلك لكى لا تقول أن التسعة والتسعين هى الأسماء فقط! لكنها هى التى على قدرنا، والأسماء التى لا نعلمها كم اسم؟ فصلها حضرة النبى وقال: { اللهم إني أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ }[٣٣].

وهم بذلك أربعة أصناف من الأسماء، والأسماء التى سمَّى بها نفسه هى التى فى القرآن مثل ﴿ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الاسراء] ، ﴿ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام] ، ﴿ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات]، وكل الأسماء الموجودة فى القرآن وهى التى عدَّها حضرة النبى فى التسعة والتسعين، وهناك أسماء أخرى فى القرآن لأنه ﷺ قال { أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ } لكن مع أنها فى القرآن وكلنا يقرأ

٣٢ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (صحيح البخارى ومسلم)
٣٣ عن ابْن مسعود (مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان)

القرآن ومع ذلك لا يعلمها إلا من قال فيه الرحمن ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [٧ آل عمران] ومن يعلم الله تلك الأسماء؟ ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [٧ آل عمران]، هؤلاء الراسخون يكشف الله لهم أسماءاً في القرآن لا تنكشف لغيرهم من الذين يقرأون القرآن ليل نهار! كالذي يبحث عن الشئ وهو تحت قدميه ولا يراه.

من هم الراسخون في العلم؟ ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [٧ آل عمران] حضرة النبى وصفهم لنا لأنه ربما يعتقد البعض أن الراسخين فى العلم هم من حصلوا على الدكتوراه أو الماجستير أو غيره وقد قال ﷺ { مَنْ بُرَّتْ يَمِينهُ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ، وَاسْتَقَامَ قَلْبُهُ، وَعَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ فَذَاكَ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ }[٣٤] وهذا لا يستوجب ماجستير أو دكتوراه أو مكتبة ولا حتى تستوجب القراءة! ... لكن يلزمها العمل، .. فمن يمنع لسانه عن الكلام الحرام .. ويمنع بطنه عن اللقمة الحرام والشراب الحرام .. وكذلك يمنع عن فرجه المساس الحرام فإن الله ﷻ يعطيه رتبة راسخ فى العلم ويأتي يوم القيامة من الراسخين فى العلم، وإن كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب لكنه أصبح راسخاً فى العلم كما قال صاحب البيان الأعظم ﷺ :

{ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيتَ بِهِ نَفْسَكَ.. }[٣٥]

وهذا لا نعرفه ولا شأن لنا به !! فهى خصوصية لا يهبها الله ﷻ إلا لأهل الخصوصية !! وهى عطية من الله لأولى العطية !! { أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ }.

إذاً هناك أسماء يعلمها الله للخلق.من هم؟

هم من يهيموا فى ذكر الله ويقبلوا بقلوبهم وأجسامهم وكلهم على حضرة الله، لأن الله ﷻ عندما يرى شدة إقبالهم وصدق نياتهم و أخلاقهم فى قصدهم يتفضل عليهم فيعطيهم إسماً من عنده خاصاً بهم يقرب لهم المسافات ويطوى لهم الجهات ويجعلهم فى كل نفس وأقل مع رفيع الدرجات ﷻ.

---

٣٤ ابن جرير وابن أَبي حاتم (طب) عن أَبي الدَّرداء وأَنس وأَبي أُمَامَةَ وواثلةَ
٣٥ عن ابن مسعود (مسند الإمام أحمد وصحيح ابنَ حبانَ)

وبالمثال يتضح المقـــال فقد أرسل ســيدنا رســول الله ﷺ رجـــلاً مـــن أصحابه أســـمه العلاء بن الحضرمى لفتـــح البحرين ومعـــه كتيبة من جيش المسلمين وكان مــع العـــلاء ســيدنا أبي هريرة ﷺ الذى قال عن العلاء: شهدنا من العـــلاء ثلاثاً لا تكون إلا فى نبى!، أولها ونحن فى الطريق نفد الماء فأخبرناه وكلنا قد أوشـــكنا على الهلاك ولم يعد معنا ماء! فقال: ولم لم تخبرونى من قبل؟ ألم يبقى معكم ماء يكفـــى لوضوء رجل واحد؟ قلنا بلى معنا قلة فيها ماء يكفى وضوء رجل واحد، قال ائتـــونى بها ؟ فتوضأ ثم صلى ركعتين لله وإذا بالوادى يسيل ماءاً، وكان ســـيدنا أبـــو هريـــرة صحفى متثبت ولا يذيع أى خبر إلا بعد أن يتثبت منه عملاً بقول الله ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [٦ الحجرات]، فما كان منه إلا أن ملأ دلواً بالمـــاء ووضـــعه بجوار الماء وبعدها ساروا مرحلة، قال: رجعت لآخذ الدلو فوجدت الدلو مملوءا بالمـــاء ولم أجد فى الوادى كله قطرة ماء واحدة .. وهو بذلك يريد أن يتثبت أن هذه كرامة وآية لهذا الرجل الصالح .

قال ثم وصلنا إلى شاطئ البحر – والمسافة بين البحرين والسعودية ماء حـــوالى خمسين كيلو متر– وإذا بلغ بالأعداء عندما رأونا جمعوا السفن وجعلوها عندهم فكيف نعبر؟ وإذا بالعلاء يقول وهنا كشف الاسم الذى تفضل به عليه الله وجعلـــه ســـر الإجابة عنده إذا به دعاه، قال قولوا: "يا على يا عظيم يا حليم يا كريم بسم الله توكلنا على الله حسبنا ونعم الوكيل " وألقوا بأنفسكم فى اليم وامشوا ببركة الله إن شـــاء الله وكان من معه مؤمنين مسلمين فلم يقولوا كيف نمشى على الماء ؟ لا بل إن ما يقولـــه ينفذوه وذلك لأنهم يعرفون أنهم مؤيدين من رب العالمين ومادام النبى ﷺ أمرهم عليهم فإن الله لابد وأن يعينه ويقويه ويبلغه كل أمانيه لأنهم إذا أقاموك أعانوك.

قال فمشينا على الماء ومعنا جمالنا حتى سرنا إلى البحرين ولم تبتل أخفاف الإبل لأن الله جمد الماء بهذا الدعاء، والماء إذا تجمد يصبح ثلجا ولا يستطيع أحـــد المـــشى عليه، لكن الله جعله ثلجاً فى مظهره! حاراً ودافئاً فى جوهره! حتى لا يؤذى من يمشى عليه استجابة لدعاء هذا الرجل الصالح.

قال فلما رآنا الأعداء قالوا هؤلاء إما جن وإما ملائكة ولا طاقة لنـــا بحـــرب

الجن أو الملائكة فسلموا واستسلموا ودخلنا البحرين بدون حرب.

وقد جئت بهذه القصة لكى أقول أن هذا الرجل أعطاه الله اسما نسميه اسم الله الأعظم له خاصة إذا دعا به أجاب وكذلك كل واحد من الصالحين يعطيه الله اسما أعظم لله خاصاً بـه إذا دعاه به يجيبه به مولاه ﷻ:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [١٨ الأعراف]

فإذا كنت مثلا محتاجا إلى الأرزاق عليك أن تقول يا رزاق فتجد أن الأرزاق تأتيك بغير حساب، وإذا كنت محتاجا إلى الولد لأنك لم تنجب فعليك بالاسم الذى خص به النسل والذى قال فيه :

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ﴾ [الشورى]

إذاً مفتاح هذا الكتر هو (يا وهـاب) ، يذكر اسم الله الوهاب. والوهاب يرزقك الولد والذرية بغير حساب وبغير أسباب.لأنه مسير الأسباب ومسبب الأسباب فإذا رضى عن عبد رزقه ما يريد بغير أسباب.وإذا كنت مريضا عليك أن تذكر: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء] تنادى الشافى وتقول: يا شافى !، وهو ﷻ كما قال حضرة النبى ﷺ:

{إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي أَنْ يَرْفَعَ الْعَبْدُ يَدَيْهِ فَيَرُدَّهُمَا صِفْراً}[٣٦]

فلا يقف أحد على بابه ويسأله إلا ويرجع مجبور الخاطر ولكن المشكلة فى أننا ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [٣٧ الأنبياء] متعجلين أريد أن أدعو الآن وتتم الإجابة فى الحال، وذلك معناه والعياذ بالله أننى أحكم على رب البرية الذى لا يسأل عما يفعل !! لأننى مثلا لو طلبت من والدى ألف جنيه ووافق فإنى أنتظر إلى أن يدبرها إن كان بعد يوم أو يومين، وكذلك ولله المثل الأعلى فإن الله كما قال سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى ﷺ : " يستجيب لك – ولا فصال فى ذلك– " فى

٣٦ رواه الطبراني عن ابن عمر.

الوقــت الذى يريد وليس الوقت الذى تريــد."

هــو الذى يختار! ويستجيب لك كما يريد لا كما تريد " لأنه أعلم بمــصالح العبيد، فموسى حبيب الله الذى قال الله له وفى شأنه :

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه]

عندما يئس من فرعون وقومه أتى بأخيه هارون وقال تعالى لندعو سوياً وذلك لأن الدعاء عندما يكون فى الجماعة فهو أقرب للإجابة وهذا هو المثل فلــو أردت أن يكون الدعاء مستجاب إنتدب أحد يدعو معك هنا لو أن عندك أســباب تــستوجب عدم القبول فإن الآخر قد يكون لديه أسباب تستوجب القبول فيكون الدعاء مقبــول إن شاء الله وهذا هو السر أن الله فرض صلاة الجماعة وإلا كان كل واحــد يــصلى وحده فى أى مكان لكن الجماعة قالوا فيها.إذا واحد تقبل منه الله الصلاة فإنه يقبــل صلاة الجماعة كلها من أجل هذا الرجل.

إذاً الجماعة مضمونة القبول لأنه لابد وأن يكون فيها واحــد صــالح قــد لا نعرفــه ولكــن الله ﷻ يعرفــه. فعندما جاء سيدنا هارون لسيدنا موسى قال تعــالى ندعوا مع بعض فقالوا: ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يونس]، فقال لهم حــضرة الله: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ [٨٩ يونس] وأنتظر سيدنا موسى حتى الصباح

وذلك لأن الدعــوة قــد أجيــبت بالفعل، ثــم اليــوم الثانى أو بعد شــهر أو بــعد عام ولــم تجــب وقــد تحقــقت إجابــة الدعــوة بعد أربــعين ســـنة وذلك لكى يعلمــنا الله الأنـــاة:

﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأنبياء]

إياك وأن تدعو الله وأنت متعجل وقد قال فى ذلك حضرة النبىﷺ:

{ يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ }[٣٧].

٣٧ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ في (صحيح البخارى ومسلم).

ومن يتعجل ويريد الإجابة فورية فإنه لم يلتزم الأدب مع رب البرية لأنه يريد أن يحكم على الله ﷻ وحاشا لله أن يعطيه الله مناه فى الوقت الذى يريده لا فى الوقت الذى يحدده ويرتضيه الله جل فى علاه.

إذاً عندما أريد أن أدعو الله يجب ألا أتعجل فى الإجابة وكذلك أحضر معى إخوانا صالحين ليكون الدعاء أقرب للإجابة أبداً باسم من اسماء الله الحسنى.هل تنفع الدعوة بلا إله إلا الله ؟ لا لأن الله قد فصل فى كتاب الله.وإذا سألنا حضرة الله وقلنا لا إله إلا الله لأى شئ يا رب ؟ قال ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [١٩ محمد].

إذاً فهى علم ناتج عن فكر أى فكر نفسك وفى الآيات والمصنوعات حولك وفكر فى كل آلات الله تمتدى بها إلى أنه لا فاعل فى الوجود إلا الله ولا رزاق إلا الله ولا معين إلا الله ولا ضار ولا نافع إلا الله وهذا هو العلم الذى يريد الله أن يعلمه لنا علم يقين وهو أن نعلم أنه فعال لما يريد وأنه لا يشاركه فى فعله أحد سواه.

إذاً إذا أردنا أن نذكر ربنا فبم نذكر ؟ نسأل كتاب الله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الأحزاب]، أى نذكر بلفظ الجلالة (الله) وهو الاسم الذى خصه الله بالذكر ولما لقنه حبيبه ومصطفاه الذكر فمن لقنه هو حضرة الله أما نحن فيلقننا الصالحين وقد لقن سيدنا النبى أصحابه المتقين وقد لقن الله الحبيب وقال ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام]

إذاً فإنه الاسم الذى به ذكر الله لأنه الاسم الذى يجب أن يتعلق به المرء فهو الاسم الجامع لكل الجمالات والكمالات التى هى لحضرة الله جل فى علاه أما بالنسبة لأسماء الله الحسنى فإما ندعوه بها كما قال كتاب الله وإما أن نتخلق بها كما قال حبيب الله ومصطفاه حيث قال: { إِنَّ للّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً. مِائَةً إِلاَّ وَاحِداً. مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ }[٣٨]، ولم يقل هنا من ذكر بواحد منها، بل من تخلق! فقال أبو بكر: أفى واحد منها يا رسول الله ؟ قال: بل فيك كلها يا أبا بكر.

---

٣٨ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .(صحيح البخارى ومسلم)

إذاً فأسماء الله الحسنى ينبغى التخلق بها... فربنا اسمه العفو وهو يريد منى بالنسبه لإخوانى المؤمنين أن أكون عفوا واعفو عن الزلات ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [١٥٩ آل عمران]، كذلك فإن الله اسمه الكريم ويريد منى أن أكون كريما مع عباد الله المؤمنين:

{ إن الله يحب من خلقه من كان على خلقه }، إذاً لكى ندعو الله فيستجيب لنا الله كما قلت لا نعجل فى استجابة الدعاء ثم نجمع المؤمنين وندعو فى جماعة ونقدم أسماء الله الحسنى قبل الدعاء أو نقدم اسم الحبيب الأعظم ﷺ ونتوسل به إلى الله فإن الله فوراً يجيب دعاء من ناداه ونتوسل إليه بحبيبه ومصطفاه ومن ارتكب كثيرا من الذنوب ويريد الله أن يتوب عليه فماذا يفعل ؟ نسأل حضرة الله:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء]

وقد أعطانا الله المثال بأول إنسان خلقه الله وكان من حكمة الله أن وقع فى خلاف لأمر الله، وذلك لكى يعلمه التوبة ويعلمنا كذلك كيف نتوب إلى الله إذا وقعنا فى ذنب يغضب الله وهو سيدنا آدم فعندما هبط إلى الأرض أخذ يبكى ويضرع بلا فائدة لمدة ثلاثمائة عام إلى أن نزل سيدنا جبريل وذكره بما رآه فى الجنة فتذكر وقال:
{ يَا رَب أَسْأَلُكَ بِحَق مُحَمَّدٍ إِلاَّ غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالى: وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً وَلَمْ أَخْلُقْهُ بَعْدُ ؟ قَالَ: يَا رَب لأَنَّكَ خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ، وَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ مَكْتُوباً: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلى اسْمِكَ إِلاَّ أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلاَهُ يَا آدَمُ مَا خَلَقْتُكَ}[٣٩] ... إذاً من يسأل الله بحق حضرة النبى يغفر له كما غفر لآدم فيقول مثلاً: اللهم بحق حبيبك ومصطفاك أو بجاه نبيك ومصطفاك أو اللهم بسر حبيبك ومصطفاك، ويدعو الله بما يريد ... فيستجيب له مولاه فوراً كما

٣٩ رواه الإمام الحاكم في المستدرك عن عمر ﷺ.

استجاب لآدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام .

وحتى لا يشكك أحد فى هذا الحديث أقول أن من روى هذا الحديث هو سيدنا عمر بن الخطاب وقد رواه الإمام الحاكم فى المستدرك والحاكم لها مصطلح عند علماء الحديث، فأعلى رتبة بين رجال الحديث رتبة الحاكم، فالحافظ فهو من حفظ مائة ألف حديث مسلسلة بأسانيدها، ولكن الحاكم هو من حفظ ثلاثمائة ألف حديث مسلسلة بأسانيدها، وقد وصل الإمام الحاكم إلى هذا المقام ولذلك جمع كتابا على شروط البخارى ومسلم سماه المستدرك على صحيح البخارى ومسلم أى الأحاديث التي علي شروط البخاري ومسلم ولم يأتيا بها، لكنه لسعة علمه وإحاطته بالأحاديث جاء بها ومن ضمنها هذا الحديث الذى ذكرناه والذى يرويه عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ .

إذاً علينا أن نتوسل برسول الله لكى يستجيب لنا الله ﷻ : اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى ما علمنا منها وما لم نعلم ونسألك بجاه حبيبك ومصطفاك لا تترك لواحد منا ذنباً إلا غفرته، ولا عيباً إلا سترته، ولا هماً إلا فرجته، ولا كرباً إلا كشفته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا ولداً إلا هديته، ولا زوجة إلا أصلحتها، ولا فقيراً إلا أغنيته، ولا حاجة من حوائج الدنيا هى لك رضا ولنا غنى إلا وقضيتها ويسرتها بفضلك وجودك ورحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس التاسع

مقام الوارث الفرد الجامع: حقيقة ذي القرنين[40]

قرأ القارئ آيات من سورة الكهف وهي قوله تعالي:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا

٤٠ الجمعة ١٧محرم ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨/١/٢٥ لدرس ديوان البلابكة طفنيس

مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا
قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ
أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا
مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾
ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ
نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾ ثُمَّ
أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا
يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ
مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ
سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ
رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ
حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن
يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ
رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ﴾ [الكهف]

وقد قال الشيخ معلقاً علي هذه الآيات : أرى من التلاوة أن إخواننا يريدون قصة ذى القرنين، ونحن فى هذه الجلسات الخاصة نريد أن نعلو عن الأكوان و نتناول الراح الشهى من حضرة الرحمن، فلا داعى أن نعيش مع ظاهر القصص والروايات التى ذكرها القرآن، وحتى أن الرحمن ﷻ كى لا ننشغل بها زيادة عن الحد لم يذكر أسماء ولا أماكن، وذلك حتى يأخذ المؤمن منها العظة والعبرة وينتقل إلى غيرها، لكن لكى يجادل ويقول من هو ذى القرنين ؟ هل هو الإسكندر المقدونى؟

إن ذى القرنين رجل مؤمن، والإسكندر لم يؤمن، فكيف يكون هو الإسكندر ؟ أو يقول نرى هل هو سابور ذو الأكتاف الفارسى؟ هذا الرجل أيضا غير مؤمن، والآية تقول أنه رجل مؤمن فلماذا يا أخى تقف عند ذلك؟ كل ما عليك هو قول الحق:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [١١١ يوسف]

والحقيقة يا أحباب أننا عندما دخلنا روضات الصالحين علمونا الكيفية الصحيحة لتلاوة كتاب رب العالمين، ولما استخدمنا هذه التلاوة وكنا نتلو ويتفضل المتفضل علينا بمعانى إلهامية عليَّه لا توجد فى الكتب التفسيرية ولا تطيقها العقول ولا الأسماع البشرية ... وهذه هى القضية الحقيقة فى ذاتها ... فيلزمها القلب ... ووسائل المعرفة التى ذكرها الله وقال فيها فى كتابه الحكيم المحكم:

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الاسراء]

فهناك معارف يتلقاها الإنسان بالسمع من العلماء أو من الحكماء أو من العرفاء وهناك معارف أخرى يتلقاها الإنسان بالبصر إما بالنظر فى الكتب المطبوعة بمطابع البشر وإما بالنظر فى طباعة خالق البشر ﴿ قُلِ انظُرُوا ﴾ فى كتاب الله ؟ ﴿ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [١٠١ يونس] ... انظروا لما فى السماء وما فى الأرض إنه نظر آخر ... وذلك بعد تطهير القلب من الشغل بعالم المبانى، وملأ تجاويف القلب بالبيان الروحانى القرآنى، من فرد قرآنى، تلقاه وهو فانى، يعاين فيه الإنسان ما لا يستطيع أن يذكره اللسان، وهذا علم خاص به ويبتهج به القلب والجنان، حتى أن الحبيب ﷺ وضح لنا هذه القضية عندما اقترب من قاب قوسين أو أدنى وليس قرباً من رب البرية لأن قربه من الله وهو على الثرى كقربه من الله وهو فوق العرش لأن القرب إلى الله ﷻ بالقلوب !!! وليس بالمبانى والرسوم !!!.

قال: فوضع الجبار يده على ظهرى، وإياك أن تحيز وتحدد فكل ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك، وإياك حتى أن تقول يد القدرة فلا شأن لك بهذا الموضوع، وسلم تسلم، وعليك أن تقول كما قال الله فى الراسخين فى العلم: ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [٧ آل عمران] فليس معنا أجهزة ولا أدوات

تستطيع أن تتدارك هذه الحالات.

وضع الجبار يده على ظهرى، حتى شعرت ببرد أنامله فى صدرى، كذلك نـزه عن الكيفية وإن شئت رذاذاً فى هذه القضية فأعلم أنه برد التجليات الإلهيـة النازلـة على قلب الحقيقة المحمدية، قال ثم علمنى الله علوم الأولين والآخرين، وأطلعنى علـى ثلاثة علوم : علم أمرنى بتبليغه وهو الشرع،وعلم أمرنى بكتمه، وعلم خيرنى فيه .

كذلك نفس الحقيقة فالبصر بصر القلب إذا فتحه الفتاح يدرك حقائق لا تعيها عقول الأشباح ولكن تدريها القلوب وتشهدها الأرواح، أما الفؤاد فقد خصه الله ﷻ بتنزلات القرب والوداد من كنوز فضل المنعم الجواد ﷻ ، فكل عطاء وكـل فـضل وكل هبة وكل خير وكل تجلى وكل سر يتزل من الله لأهل السر وأهل البر أين يتزل ؟

يتزل على القلوب والقلوب هنا ليست القلوب التى فى الأجسام لكن الحقـائق التى لا يعلم مستقرها إلا الملك العلام والتى بها أنت إنسان.وقلـب الشئ أى حقيقته وقـد علمنا العارفون رضى الله عنهم أن من أرد أن يقرأ كلام الله لا بد أولاً أن يفك أقفال قلبه لتلمع الخزانة الإلهية النورانية التي استودع الله فيها لك كـل مالـك مـن الحقائق الإلهية النورانية والحياة الروحانية البهية لكن إذا كانت الأقفال موجودة

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد]

والمانع من التدبر هنا هى الأقفال التى على القلوب والأقفال هى الجوارح التى تجنى بها من عالم الدنيا فطالما أن العين تنظر بها إلى السائرين والراحين والغادين فكيـف تفتح عين القلب لتنظر إلى نور الله ﷻ المشرق فى السموات و الأراضين فـلا بـد أن تغض عين الحس لتفتح عين القلب.

غض عين الحس وأشهد بالـضمير تشـهدن يا صب أنـوار القـدير

فماذا ترى عين الحس ؟ لا ترى إلا المبانى فعين الحس للمبانى وعـين القلـب للمعانى ولا يمكن للعبد أن يشهد المبانى والمعانى إلا إذا تحقق بقصة ذى القرنين بعـد أن يقرأ كلام الله فى حضرة مولاه كيف تسمع أسرار الكائنات وتسبيحها لخـالق الأرض

والسموات وأنت تتحسس بها وتجسس بها وتتصنت بها على كلام البشر فى الأماكن والحيطات ؟ وإذا أردت أن تسمع بالأذان الواعية ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحاقة] لا بد أن تغلق الأذان اللاهية أو الأذان التى دوماً إلى الخلق صاغية هناك يفتح لك الفتاح الأذان الواعية التى تستقبل المعانى العالية والعلوم الراقية والمفاهيم السامية من حضرة ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٢٨٢ البقرة]

وإن كانت هذه الآية حيرت علماء اللغة لأن كلمة علم ويعلم تنصب مفعولين المفعول الأول هو الله فأين المفعول الثانى ؟ فى يعلمكم الله - يعلمكم الله الحقائق التى يجب أن تعلمها وتعرفها عن حضرة الله والتى تليق بمقامك وتوافق قدرتك حتى تعرف الله وتكون من العارفين بالله ﷻ. كيف تتحدث مع الملائكة والعوالم الدانية والعالية بلسان القلب والفؤاد ولسان رأسك وفمك لا يكل من الكلام آناء الليل وأطراف النهار مع العباد وقد علمك العليم ﷻ أن الذى أورثه الله مقام النبوة لكى يرث هذا المقام قال كما أخبر الله ﷻ فى خير الكلام ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا ﴾ [٢٦ مريم] والصوم هنا عن ماذا ؟ ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم] مع من تتكلم إذاً؟ مع الملائكة ومع الحقائق العالية ومع المكونات الإلهية الراقية وهذا هو جهاد العارفين الذى يبدءون به مع السالكين ليتنعموا بكلام رب العالمين فإذا فتح القلب ووضع الله فيه اليقين وكان صاحبه كما قال سيد الأولين والآخرين { **إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْراً فَتَحَ لَهُ قُفْلَ قَلْبِهِ وَجَعَلَ فِيهِ الْيَقِينَ وَالصدْقَ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ وَاعِياً لِمَا سَلَكَ فِيهِ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيماً، وَلِسَانَهُ صَادِقاً، وَخَلِيقَتَهُ مسْتَقِيمَةً وَجَعَلَ أُذُنَهُ سَمِيعَةً، وَعَيْنَهُ بَصِيرَةً** }[٤١]

يسمع الكلام من منزله وإن كان التالى فلان أو فلان لا يسمع أصواتاً أو نغمات وإنما يرى حقائق منبلجة فى قلبه عند تلاوة الآيات.

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء]

---

٤١ (أبو الشيخ) عن أبي ذَرٍّ ﷺ.(جامع الأحاديث والمراسيل)

وقد علمونا أن الواحد منا فى هذا الطور يسمع القرآن على أنه كلام الرحمن وهو المخاطب به دون سواه هذا الخطاب لملكتى وحقائقى الدانية والراقية لكى أعمل به وأنال علومه وأسراره ثم أعبر ذلك كله وأصل إلى شهوده.أين هذه القراءة ؟ ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ [العلق]

والواو هنا واو المعية.واقرأ وربك أى اقرأ مع ربك.

فأى آية يسمعها فهى خطاب من الله له والقرآن فى الحقيقة يا أحباب الله ورسوله فيه خطاب لكل عبد من بدء نبوة الحبيب المختار إلى يوم الدين فهى نفس الكلمات لكن المعانى التى تتنزل لك غير المعانى التى تتنزل لى وعندما اقرأ مرة أخرى فإن مقام المعانى التى ستأتى فى المرة الثانية فى المقام الذى ارتضيت إليه غير المقام الذى كنت فيه لكل مقام مقال ولكل مقام حال ولكل مقام علوم وأسرار تتنزل على قلب العبد من الواحد المتعال

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ [١٧ هود]

يقرأه كما يرى فيلم فإذا قرأ آيات الجنة تظهر له كل أرجاء الجنة فهل هذا كلام يستوى مع تفسير المفسرين وتأويل المؤولين ؟ كلا وإذا قرأ آيات القيامة يعاين القيامة وقد قال الحبيب فى ذلك من أرد أن يعاين القيامة رأى العين فليقرأ ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ ﴾ [التكوير] و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ ﴾ [الإنشقاق] وعندما يقرأها بهذا الحال يعاين القيامة ويرى كل المواقف فيها كما يطلع الإنسان على بروفات مسرحية ستعرض على المسرح فى حياتنا الدنيوية والبروفات موجوة وقد إطلع عليها الحبيب وعلمنا بما ستصير إليه الأمور وكذلك الإنسان بنفسه يحصل إذا وصل إلى هذا المقام وعندما يقرأ آية آية يأخذ الآية على نفسه فإذا سمع الله يقول له.

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان]

يعلم أن هذا الخطاب له ويقول لنفسه إسمعى وعى أى نفذى ذلك فى هذه

الحياة واعملى بما أوصاك به الله، أما نحن فنقول أنه لقمان كان يقول لأبنه كأنه لا شأن لنا بهذه الآية، وعلى الإنسان حتى قصص القرآن أن يمثلها على مسرح نفسه ويجد لها تصوراً إلهياً فى نفسه قد لا يخطر على البال ولا يمكن أن يشير إليه بالمقال ولكنه شراب يشربه بنفسه من الواحد المتعال: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإنسان].

ذو القرنين وما أدراك ما ذو القرنين !!!!

كل عبد جمع بين الظاهر والباطن فى حقائقه، فأصبح ظاهره يطيع الله وحقائقه الباطنة تشهد الجمال الذى يليحه له الله، فينظر بالعينين بعد أن إكتمل له المشهد فى الحالين، ومكن الله ﷻ له فى أرض نفسه، وجعله يتصرف فى مملكته بإذن ربه لا عن هوى ولا عن شهوة ولا عن حظ ولا عن فكر كسبى وإنما عن وارد إلهى رحمانى ربانى يورده الله على قلبه فينفذه ليكون طائعاً لربه ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ وهى أرض النفس ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾[الكهف] أعطاه الله ﷻ علم تصريف الأسباب لأنه من أهل التصريف لكنه لا يتصرف إلا عن تعريف من العلى الكبير حتى لا يكون التصريف فيه حظ فان أو هوى نفسانى ومكنه الله بأن أعطاه عزيمة كالحديد يجعل بين نفسه السفلية الشهوانية وحظوظه الطبيعية وأهوائه النفسية وقلبه الربانى وروحه النورانية سداً منيعاً حتى يسير بصدق إلى رب البرية ﷻ .

بالطبع فإن الكلام الذى أقول معانى وإخواننا يقولون أنه يتكلم فرنساوى أو إنجليزى أو طليانى لكن كما قلت فإن هذه المعانى يجب أن تدركها بنفسك وتتنزل لك كى تعيش فيها وتعلم أنك المراد بالخطاب من رب العباد فى كل آية من كتاب الله جل فى علاه ولا شأن لك بالمراد الذى ذكره الله لابن كثير إلا على سبيل التيسير أو المراد الذى ذكره الله للطبرى إلا على سبيل الإحاطة بالعلم والعقل البشرى.

أما أنت فلك علم مكنون خصك به من يقول للشئ كن فيكون إذا قرأت كتاب الله ﷻ بعد فناء بشريتك وشهود روحانيتك وقرأته مع الله وكنت تسمع خطاب الله وأنت فى حالة كأنك فيها تسمع كلام الله جل فى علاه وهذا كله لمن يريد أن يفهم معانى القرآن، واسمع لقول أبى العزائم ﷺ :-

إن رمت تدرى مقامى ... فأفهم معانى كلامى
وأشرب بذوقك راحى ... تشفى من الآلام
وأدخل رياض جنانى ... وأجنِ ثمار طعامى
وأعلم بأن نورٌ ... يخفى عن الظلام
لكن يراه مريدٌ ... قد جنَّ بعد غرام

وللتوضيح أكثر ... من الناس من يقوم بالشريعة ويكون له نصيب قليل فى عالم الحقيقة، ومن الناس -وهم المجاذيب- من يختصه الله بالحقيقة ويكون له نصيب قليل فى العمل بالشريعة مما لا غنى له عنه، وهناك فرد واحد فى الوجود الوارث الفرد الجامع وهو أكمل الناس قياماً بالشريعة وأكرم الناس عملاً بالحقيقة، جمع الله له قرن الشريعة وقرن الحقيقة، فأصبح يعمل بالحقيقة والشريعة وينظر بالعينين، ولا يشغله شئ عن شئ، ينظر بعين الخلق إلى الخلق، وينظر بعين الحق إلى جمال الله المتجلى فى الخلق، فلا يغيب عن مشهد الخلق بما يراه من جمال الحق، ولا يغيب بجمال الحق عن النظر إلى الخلق، فتجده يعرف هذا واسمه وكل شئ عنه مع أنه فى الحقيقة يرى الوجود علواً وسفلاً يتجلى فيه الله بنور السموات والأرض، وهذا ما يسمونه أبو العينين أو صاحب المشهدين، أو كما قال الله عنه فى القرآن ﴿ ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ [٨٣ الكهف] .. جاهد وشاهد حتى بلغ مطلع الشمس ووجد هناك أقواماً من العارفين والصالحين .. والشمس هى شمس رسول ﷺ ...

لم يجعل الله لهم من دونها ستراً ! يرون الحقيقة المحمدية جهاراً ! فلا يوجد غطاء ولا نقاب ولا حجاب يحجبهم عن النبى الأواب ﷺ !! هذا العبد يطوف مشارق الأرض ومغاربها بروحه! لأن الله ﷻ يمد منه الأولياء والصلحاء فى كآفة أرجاء الأرض! بل يمد ملائكة السماء! فالمدد يتزل من الله على قلب حبيبه ومصطفاه .. ويتزل من قلب حبيب الله ومصطفاه على قلب الوارث الفرد الجامع .. ومنه يوزع العطاء والمدد على جميع الأرواح النورانية فى العوالم الملكوتية والعوالم الجنانية ... والعوالم العرشية ... والعوالم اللاهوتية.... والعوالم الأرضية.

وهذا هو من يقول فيـــه الله ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس] إمام مبين أى يبين معه البيان الذى يقول عنه الله فى القـــرآن ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة] يبين الله على لسانه بعد العيان، فيبين عن الله ما يـــستطيع أن يتحمله كل قوم من علوم كتاب الله جل فى علاه، ولذلك تجد أن هذا العبد يـــذهب إليه السالك بالمسائل فيجيبه بالإجابات التى تتحملها قواه ، فإذا جاءه سائل ثان بنفس أسئلة الأول تجد أن الإجابة تتغير لأنها بحسب قوى السالك، فإذا جاءه ســـائل ثالـــث بنفس أسئلة الأول والثانى تجد أن الإجابة تختلف وإذا جاء الأولون والآخرون سائلون فإنه يغترف لكل واحد منهم من العلم المكنون ما به يرتاح القلب والفؤاد، ويحـــصل عند السماع منه المـــراد لأنـــه يبـــلغ عـــن رب العبـــاد ﷻ.

وهذا هو فرد الرجال الذين يقـــول فـــيهم الله فى كتـــابه ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ ﴾ وهو القرآن آيات مبينة واضحة, أين؟ وفي تفسير من؟ ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[٤٩ العنكبوت] ... أيـــن يا أخـــوانى ؟

فى صدور وليس فى سطور! فى صدور الذين أوتوا النور! وقذف الله فى قلوبهم من محيطات القرآن معانٍ لا تعد ولا تحصى ليقربوا الخلق إلى حضرة الرحمن ﷻ.

هذا باختصار شديد ما نستطيع أن نلمح به فى هذا المعنى الفريد، وهذا لنفسك إن أردت أن تنهض بنفسك وأردت أن تكون من هؤلاء الرجال لكـــن ذي القـــرنين كحقيقة فهـــى موجـــودة كحقيقة تاريخية ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه] ما اسمه ما شكله ما بلده؟ لا شأن لنا بهذا الموضوع!

فكل ما أريده " ذى القرنين " الحقيقة التى تنهض بها روحى وتجاهد بها نفـــسى لكى أصل إلى مراد ربى، وأصبح من الرجال الذين أثنى عليهم الواحـــد المتعـــال ﷻ وهكذا فى كل قصة من قصص القرآن يجعل المؤمن عندما يتلو القرآن تتترل معـــانى لا يستطيع ذكرها لكنه يعيش فى أحوالها وتعينه على الجهاد ليبلغ المراد ...

فمثلاً.. إذا قرأ قصة يوسف وأخوته, ويوسف كان موجود حقيقـــة وكـــذلك أخوته حقيقة، لكن عبرتى أنا من القصة ماذا تكون؟

عبرتى هنا هى أن يوسف هو قلبى لأنه هو الذى فيه سر الوراثة عن حبيبى وفيه تتجلى أنوار قربى من ربى وامرأة العزيز هى نفسى الأمارة بالسوء التى تراود القلب لتشغله عن الله وتريد أن تهبط به فى أودية الشهوات والحظوظ والهوى لتبعده عن حضرة الله جل فى علاه فيجاهد نفسه بهذه المعانى ليصل إلى مقام القرب والتدانى.لكن من يعيش فى المعانى الظاهرة وفقط فإنه سيظل واقفاً على ساحل البحر ولن يستطيع العوم ولا أن يغوص مع القوم ليأتى باللؤلؤ المكنون .

من الذى سيغوص إذاً؟ من يخلع ملابسه الظاهرة ويظل بمعانيه الباطنة وهذا الذى يأتى باللؤلؤ المكنون.لكن طالما أن الإنسان متمسك بالمظاهر.وأنا بذلك لا ادعو إلى ترك المظاهر فنحن نهتم أول ما نهتم بالمظاهر لكن اهتمامنا بالمظاهر لا يخفي ما بها من جواهر فالأولى بالرعاية هى الجواهر المكنونة التى يقول فيها الحبيب المحبوب ﷺ:.

{ إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كلُّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كله، ألا وهِيَ الْقَلْبُ }[٤٢]

وكل نبى له مقام فى القرب والتدانى من الملك العلام تعيش فى هذا المقام على قدم هذا النبى وتفوز بعلوم هذا النبى وأنوار هذا النبى إذا صرت صفى وهكذا تظل ترقى على أقدام الأنبياء والمرسلين حتى تقع على قدم سيد الأولين والآخرين

إذاً مثل هؤلاء الرجال يعتبرونها مقامات قرب يجاهدون فيها أنفسهم وأهواءهم ويعلون فيها بقلوبهم ويسمون فيها بأرواحهم ويتجاوزن هذه المقامات ويتجملون بهذه الكمالات كمالات الأنبياء والمرسلين حتى يفوزا بالكمال الأعلى وبالنور الأبهى والأجلى وهو نور سيد الأولين والآخرين وكما الزعيم الأوحد لجميع النبيين والمرسلين وإذا وصل الإنسان إلى هذا المقام فهو الوارث الفرد الذى من جاءه يبلغ المراد ومن وصل عنده يصل إلى الله بسلام وعنده عين الحياة التى من شرب منها لا يموت قلبه أبداً حتى يحظى بالقرب من حضرة مولاه وهذه هى بعض المعانى لأهل القرب والتدانى.

نسأل الله ﷻ أن يجملنا بهذه الأحوال وأن يدخلنا هذه الحضرات وأن يجعلنا

---

٤٢ عن عامرٍ في (صحيح البخارى ومسلم).

من وراث هذه النفحات وأن يجعلنا من المقبلين به عليه ومن المغرمين بحبيبه ليفوزون به بما لديه وأن يوصلنا بالفضل منه به إليه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس العاشر

الخصوصية لا تقتضى الأفضلية [٤٣]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد الله على جميع نعمه وعطاياه، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى والرسول المجتبى الذى صافاه مولاه وصفاه وقربه وحباه وأدناه وجعله خيرته من خلقه وصفوته من بريته سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من أنتمى إلى شرعه وعمل بهديه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين.آمين يا رب العالمين.

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين.الذى أدام على أصحاب حضرة النبى مودهم وحفظ لهم ألفتهم أهم علموا علم اليقين أنه لا تجتمع أسرار حضرة النبى فى أى فرد لا من الأولين ولا من الآخرين وبحسب كل رجل منهم أن يجتبيه الله بقطرة من كمالاته أو غيثاً من عطاءاته أو فيضاً من هباته فمنهم من أفاض الله ﷻ عليهم علم الشرع فى باب واحد منه وإن كان يعرف سواه ومنهم من فتح الله ﷻ عليه باب الفرائض أى المواريث وفيه قال النبى ﷺ {**أَفْرَضُكُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ**} [٤٤]

ومنهم من خصه الله ﷻ بعلم القراءات القرآنية وكان هذا تخصصه الذى فاز به من خير البرية وفيه يقول ﷺ: { **أَقْرَأَكُمْ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ**} [٤٥]

ومنهم من وهبه الله ﷻ الشفافية والنورانية لمعرفة المستفتين والسائلين فيجيبهم

---

٤٣ السبت ١٨ محرم ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨/١/٢٦م درس بعد صلاة الظهر بديوان الحوامد الغربى بطفنيس.
٤٤ عن أنس ﷺ(أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالأَرْبَعَةُ، سوَى أَبِيْ دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ)
٤٥ عن أَبِي إِدريسِ الخَولاَنِي (رواه أبو داوك).

على قدر ما فى قلوبهم من شرع رب العالمين فخص بمقام الفتوة عن بصيرة ونور يقين وتمكين وفيه يقول ﷺ { أقضاكم على } ومنهم من أحاطه الله ﷻ علماً فى باب واحد من فقهه وليس من شرعه !! وهو علم الحلال والحرام مع علمه بسائر الأحكام، لكن هذا هو العلم الذى أختصه به الله ووهبه مزاياه من حبيبه ومصطفاه وفيه يقول :{ أعلمكم بالحرام والحلال معاذ ابن جبل } [46] وكل رجل من الرجال خصه الله ﷻ بعلم على قدره من شرع الواحد المتعال.

إذاً فالذى أدام عليهم ألفتهم وحفظ عليهم محبتهم أنهم علموا علم اليقين أن لكل رجل منهم خصوصية وأن الخصوصية لا تقتضى الأفضلية فلم يتباهى على سواه بما خصه به الله ولم يدعى أنه وصل فى هذا الباب من العلم إلى الكمال لأنه عرف أن الله قال لحبيبه ومصطفاه ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه] وإذا كان يقول للحبيب ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ ... وإذا كان الحبيب يقول ﴿ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ فمن نكون نحن بالنسبة لعلوم رب العالمين ؟ ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [٢٥٥ البقرة] ولم يقل لا يحيطون بعلمه لأن ذلك مستحيل لكنه قال بشئ من علمه كذلك إلا بما شاء ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الاسراء] وقد رأوا فى القرآن أمثلة جعلها الله برهاناً لأهل الإيمان.

فهذا كليم الله موسى يسأل من أعلم الناس يا موسى ؟ فيقول للسائلين أنا فكأن الله يعاتبه فى ذلك فيأمره أمراً إلهياً أن يذهب إلى عبد مغمور وليس نبياً ولا رسول ليتلقى منه العلم وذلك ليعلم أن العلم كله فى العالم كله ويذهب إليه ويقول له العبد يا موسى أنت على علم علمك الله لا أعلمه وأنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت ثم جاءات عصفورة وشربت من البحر أمامهما ليضرب بها المثل فقال له وما علمى وعلمك فى علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر.

وهذا سليمان ابن داود عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام الذى علمه الله منطق الطير وسخر له الجن وسخر له الرياح تجرى بأمره رخاء حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص ومن يعترض منهم ينطرد ويقرنه فى الأصفاد فقد آتاه الله

---

٤٦ أخرجه الترمذي وغيره من حديث أنس.

القدرة فى التسليط على الشياطين ومع ذلك عندما يتفقد الطير المحيطة به فـلا يجـد الهدهد فيأتى الهدهد فيسأله عن سبب غيبته فيقول ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ عرفت الذى لم تعرفه ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) ﴾ [النمل]

وقد عرف أصحاب رسول الله هذه الحقائق وعلم كل واحد منهم أنـه علـى قدره آتاه الله علم قليل فلا يتعاظم علي إخوانه ولا يتكبر ولو في نفسه علي خلانه ولا يري في نفسه أنه أعلم أهل زمانه أو أنه صاحب أعلى مقام فى إخوانه لأنه لو ظن ذلك فإنه والعياذ بالله هالك، وستضيق عليك المسالك ولن يجد مسلكا يهتدى به إلي فـضل الله وكرم الله ورضوان الله ﷻ ولا يظن أن ما آتاه الله هو أفضل عطاء خص به بـين أصحاب رسول الله .....

فلم يقل مثلاً صاحب علم الفرائض أن علمى هو العلم الذى لا قبله ولا بعده ولم يقل المفتى أنا صاحب النفوذ فى الفتوى ولا يفتى إلا أنا فلم يتباهى أحد منهم بمـا آتاه الله لأنهم سمعوا الحبيب ﷺ يقول { مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ فِي الْمَجَالِسِ لَمْ يَرُحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ }[٤٧]

فلماذا إذاً نحصل العلم؟

نحصله للعمل لكى ننال الأمل ونفوز برضاء الله ﷻ وقد حفظ عليهم أحوالهم أنهم عرفوا حقيقة نفوسهم فلم يصابوا بداء الغرور فلم يغتر واحد منهم بما آتـاه الله ويظن حتى فى نفسه أنه أعظم من اخوانه من أصحاب رسول الله بل إن كتب الـسنة تأتى لنا بالمطولات عن الذين كانوا يقفون ساعات ليصطفوا واحد منـهم يـؤمهم فى الصلاة فيقول عمر يا أبا بكر أنت أفضل منى لأنى سمعت الرسول يقول فيـك كـذا وكذا فيقول أبو بكر وأنت يا عمر أفضل منى لأنى سمعت رسول الله يقول فيك كـذا وكذا وكل واحد يرى فى أخيه أنه أفضل منه.

عمر وما أدراك ما عمر كان إذا جاءته مسأله يجمع أهل بدر لسألهم فيها وذلك من ورعه وخوفه من الله يخاف أن يفتى فيها بخطأ فيتحمل الوزر، ولذلك قال الحـسن

٤٧ (طب) عن معاذ ﷺ.

البصرى ﷺ عندما ما رأى السفهاء يتجرءون على العلم فى البصرة فى زمانه { إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُفْتِي فِي الْمَسْأَلَةِ، وَلَوْ وَرَدَتْ عَلى عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ ﷺ لَجَمَعَ لَهَا أَهْلَ بَدْرٍ }[٤٨] وذلك لأنه كان يقصد السلامة خائفا من الملامة من الحق وليس من الخلق:

﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ [الصف]

والإمام مالك ﷺ كانت تعرض عليه المائة مسألة فلا يجيب إلا فى أثنين ويقول فى الباقى لا أدرى الله ورسوله أعلم ويقول من قال لا أدرى فقد أجاب.

فلم يرى واحد منهم أنه بسر هذا الفضل له خصوصية وحتى إن رأى الخصوصة لا يرى بها أن له على أخوانه وعلى أصحاب رسول الله أفضلية أو مزية ولا يرى أن ما خصه الله ﷻ به من عطاء هو أفضل اجتباء وخير عطاء لأنهم يعلمون أن ما أتى به الله لحضرة النبى كله خير وكله بر وكله فضل وكله نور و هداية ولكن لما كانت مواعين القلوب لا تتحمل كل البضاعة الإلهية التى أتى بها الحبيب المحبوب فكان لا بد من توزيع هذا الميراث.

فمن منا يستطيع أن يحمل كل تركة رسول الله ؟ لا أحد فمنهم من يحمل الأقوال ومن الذى يستطيع أن يحمل كل أقواله ؟ فقد روى كل واحد منهم على قدره قدراً من هذه الأقوال فهل جمع واحد من أصحاب رسول الله كل هذه الأقوال ؟ كلا، فكل واحد روى على قدره وكانوا يذهبون إلى إخوانهم من أصحاب النبى يسمعون منهم مالم يستمعون إليه فى حضورهم جلسات الحبيب المختار ﷺ من منهم يستطيع أن يتحمل تركته من الأعمال ؟ من الذى يستطيع أن يقوم الليل ويصوم النهار ويداوم على ذكر الواحد القهار ويعمل العبادات التى كان يداوم عليها المصطفى ليل نهار ؟

لا يستطيع أحد ولكن من الممكن أن يأخذ شئ كقيام الليل مثلاً وعلى قدره أو يأخذ الصيام على قدره أو يأخذ الذكر والتسبيح أو الاستغفار على قدره لكن لا

---

٤٨ جامع المسانيد والمراسيل عن أبي حصين.

يستطيع أحد أن يتحمل الكل كل الأعمال التى كان يقوم بها الحبيب فلا يتحملها إلا أمة فأعماله وحده ﷺ حملتها أمة من العاملين وأقواله حملها أمة من الرواه المجدين والأذكياء والمجتهدين وليس واحد فقط وكذلك أحواله حملتها أمة منهم الزاهدين ومنهم الورعين ومنهم المتوكلين ومنهم المفوضين ومنهم المسلمين ومنهم المحبوبين ومنهم العاشقين ومنهم الواجدين ولم يصل أحد منهم حتى فى حمله الخفيف إلى قدر ولو قليل مما كان عليه سيد الأولين والآخرين ﷺ

فمن حمل منهم حتى عبء المحبة فمن الذى يستطيع أن يحب الله كحب حبيب الله ومصطفاه لحضرة الله ؟ فلن يبلغ أحد مداه فى حبه لله ومن أصطفاه الله بمقام الزهد كيف يكون أحد فى الأولين أو فى الآخرين على قدم ولو قليل فى سيد الزاهدين ؟ حتى فى النبيين هل يوجد فى النبيين من بلغ كمال سيد الأولين والآخرين؟ كــــلا

ولما عرفوا هذه الحقائق كان كل واحد منهم يذهب ليتكمل من إخوانه ويتجمل من أحبابه وكان عمر ﷺ إذا جاءته الفتوى يقول أين أبو الحسن وذلك مع أنه يعرف ولكنه يحترم التخصصات التى وضعها سيد السادات ﷺ وكان عندما يفتى يقول فتوى ولا أبا الحسن لها

وذلك لأن الرسول هو الذى أقامه فاحترم إقامة رسول الله ولذلك عندما خطب سيدنا أبو بكر فى أصحاب النبى رضى الله عنهم أجمعين، واسمعوا الحكمة من الحكماء أول خطبة بعد البيعة ماذا قال؟

{ أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ وُلِيتُ أَمْرَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، وَلَكِنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ، وَسَنَّ النَّبِيُّ ﷺ السُّنَنَ فَعَلَّمَنَا فَعَلِمْنَا، اعْلَمُوا: أَنَّ أَكْيَسَ الكَيسِ (التَّقْوَى)، وَأَنَّ أَحْمَقَ الْحُمْقِ الْفُجُورُ، وَأَنَّ أَقْوَاكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى آخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ، وَأَنَّ أَضْعَفَكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ حَتَّى آخُذَ مِنْهُ الْحَقَّ، أَيُّهَا النَّاسُ، إنما أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي وَإِنْ زِغْتُ فَقَوِّمُونِي، أَقُولُ

قَوْلِي هذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ }[٤٩].

فهو هنا الذى يشترط الشروط وهذه كانت السنة التى سنها الصديق للعلماء الأجلاء ولخلفاء الطريق فلا يأتى خليفة من خلفاء الطريق ويقول للمريدين أعمل بما أقول ولو كان خطأ كيف يكون ذلك ؟ أيخالف شرع الله ونطيعه فى ذلك ؟ يأبى ذلك الله ورسوله والمؤمنون وعلينا هنا أن نعمل بما قال الخليفة الأول حيث قال: { فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي وَإِنْ زِغْتُ فَقَوِمُونِي } لأننا شركاء !!! (فقوموني) .

إذاً من يتكبر على التقويم ويستعلى على سماع آراء الآخرين ويرى أن رأيه فوق آراء جميع الحاضرين فقد طغى طغياناً مبيناً واستبدت به نفسه استبداداً عظيماً وفعل مالم يفعله الأولون ولا الآخرون لأن الحبيب المصطفى نفسه كان يشاور أصحابه فى كل أمر من الأمور وعندما خالفوه بعد أن مشى على رأيهم ونزل عن رأيه فى غزوة أحد وقد كان رأيه ألا يخرج من المدينة ولما تمسكوا بالخروج من المدينة وافقهم على رأيهم وجاءات ثمار المعركة على أن رأيهم لم يكن صائباً ومع ذلك قال الله ﷻ له:

﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ ومع ذلك ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾
[١٥٩ آل عمران]

أى لا تترك مشورهم لكى يتعلموا ولكن ترسي هذا المبدأ العظيم وهو مبدأ الشورى فلا يوجد فى الإسلام الحاكمية المطلقة حتى لصاحب الرسالة المعصوم ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى ولا الخلفاء من بعده الذين دعا لهم وقال:

{ رحم الله خلفائى }[٥٠]

الذين ساروا على دربه وكذلك الأئمة الذين اهتدوا بهداه والعلماء الذين ورثوه وبلغوا عنه .،صلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٤٩ عن عروةَ ﷺ (ابن سعد والمحاملي في أماليه خط في رواه مالك).
٥٠ (فيض القدير، وشرح الزرقاني)

المجلس الحادي عشر

السعادة فى الآداب لأهل العقل و[illegible]

الحمد لله الذى خلق الإنسان وأنزل على سيد المرسلين القرآن وعلمه البيـــان الذي بـــه ينتشلنا من هذا الكيان ويرفعنا إلى عالم القرب والتدان ويجعـــلنا نـــرى الحقائق عيـــان ونشاهـــد وجه الله ﷻ فى كل وقت وآن .

والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى سيدنا محمد علم الدلالة على وجه الله ونور الهداية إلى طريق الله ونبراس الصالحين للوصول إلى مراقي حضرة القرب من الله ومفتاح جنان القرب المعنوية والحسية ﷺ وعلى آله المغرمين بذاته وصحابته المحـــيطين بحضرة ذاته وكل من تشبه بحضرته وعمل بسنته إلى يوم الدين وعلينا معهـــم أجمعـــين آمين.آمين يا رب العالمين .... إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين .

اعلموا علم اليقين أن الوصايا النبوية فيها سعادة الدنيا وفيها الفلاح والفـــوز يوم الدين فإن الحبيب المصطفي ﷺ لم يترك صغيرة ولا كبيرة تواجهنا فى حياتنا ســـواء فى بيوتنا او فى سيرنا أو فى زياراتنا لإخواننا أو فى سفرنا أو فى أى أمر من أمور حياتنا إلا ووجهنا للكيفية السديدة والهيئة الرشيدة التي إذا عمل بـــها المرء كـــان أمـــــره صـــالحاً فى دنياه وكان سعيداً يـــوم يلقى الله ﷻ وخاصـــة بـــــاب الآداب فهـــو الباب الأعـــلى الذى يقـــف عليه النابغين من الطلاب والذين يطلبون المواهب العالية من حضرة الوهـــاب والذين ســـماهم الله فى القـــرآن ﴿ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [١٧٩ البقرة] فهؤلاء بغيتهم العالية هى الآداب الراقية التي كان عليها سيدنا رســـول الله أو التي أوصي بها صحابته وأمر بها أتباعه إلي يوم الدين وهذه الآداب هي الـــتي عليهـــا مقامات القرب من الله فان العبادات لنيل الجنات وثوابها حسنات ولكن الآداب هـــي

---

٥١ السبت ١٨ محرم ١٤٢٩ هـــ ٢٠٠٨/١/٢٦م درس بـــعـــد الغداء بديوان الحوامد الغربي بطفنيس.

التي بها المقامات و القربات وبها يرتفع المرء درجات عند رفيع الدرجات

ولذلك إذا نظرنا إلي حضرَة النبي ﷺ في رحلته إلي قاب قوسين أو أدني نجد أن الله ﷻ أثني عليه عندما جال فى عالم الملكوت وتجول في عالم الجبروت وخاض في عالم العظموت أثني عليه فى الآيات وقال ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النجم] وكانت الثمرة ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم] دخل دار ضيافة الله وهي عوالم الله العليا الراقية وعلم أن مراد صاحب الضيافة وهو حضرة الله ﷻ ألا يلتفت نظره عن جمال مولاه مهما يعرض له من جمالات ومهما يعترض طريقه من مفاتن وكمالات روحانية وليست شهوانية ولا أرضية إلا أن صاحب البيت يريد منه لكي ينال سر الخصوصية.

ألا يلتفت عن حضرته بالكلية إلي أي شئ ولذلك مدحه الله علي حسن أدبه فقال في شأنه ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النجم] أي أن بصره كان دائماً وأبداً متوجهاً إلي حضرة الله ولا يريد منه سواه ولا يرجو إلا وجه الله فلم يغره نعيم الجنان ولم يلفته ما رآه فى اللوح المحفوظ مما خطه فيه قدر الرحمن ولا بهرته الكنوز الروحانية العالية في العوالم الراقية وهي كنوز ما تحت العرش وكنوز قاب قوسين أو أدني ، كل هذه الكنوز ما التفت إليها الحبيب ﷺ بل إن العرش كما قال بعض الصالحين تمسك بأذياله وناداه بلسان حاله وقال يا محمد أنت في صفاء وقتك آمن من مقتك وأنا الظمأن إليه اللهفان عليه لا أدري من أي وجه آتيه خلقني أعظم مخلوقاته فكنت أعظمهم له هيبة فكتب علي قائمتى لا إله إلا الله فزدت لهيبة أسمه ارتعادا وارتعاشاً فكتب محمد رسول الله فسكن لذلك قلقي وهدأ روعي يا محمد كل ما أطلبه من حضرتك إذا كان إسمك عندما كتب علي قائمتي سكن لذلك قلقي وهدأ روعي فإذا كانت هذه بركة إسمك على فكيف إذا وقع جميل نظرك إلى.

فقال ﷺ أيها العرش إليك عني لا تشوش على خلوتي ولا تعكر على صفوتى فما أعاره طرفا ولا أعطاه مما علمه مولاه حرفاً لانشغاله بالكلية بحضرة رب البرية ﷻ وهي آداب علية بداياتها من الآداب الأرضية فإذا راعي العبد الآداب الأرضية رقاه الله وعلمه بذاته الآداب العلوية وبداية هذه الآداب أن يتعلم العبد آداب الضيافة وآداب

الضيافة أن يجلس حيث أجلسه المضيف لا يختار لنفسه مكان عند مضيفه ويجلس فيه يطلع منه علي عورات بيت أخيه فلا يجلس مقابل الباب ليرى الداخل والخارج بل يجلس حيث أجلسه صاحب الضيافة وينام في المكان الذي حدده صاحب الضيافة ولا يخرج إلا إذا استأذن صاحب الضيافة ولا يعمل عملا صغيراً أو كبيراً حسياً ظاهرياً إلا إذا رأى أن هذا العمل يروق لصاحب الضيافة ولا يعكر عليه صفوه ولا يغير طبعه ووده حتى أن الحبيب ﷺ أمر أن تكون الصلاة إذا حضرت جماعة تكون الإمامة لصاحب البيت إلا إذا تنازل عن حقه .

وهذه هي الآداب العالية التي حرص عليها الحبيب ﷺ وكذلك أنظر إلي تعليمه للمهاجرين والأنصار فقد علم الأنصار أن هؤلاء إخوانكم في الدين والإكرام واجب علي المتقين وقال لهم: {**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**}[52] فحفظوا الدرس وتلقنوه ووصلوا إلي الغاية العظمي ف الإكرام حتى أنهم اقتسموا معهم الدور والأموال وكل شئ وعلم المهاجرين العفة فلا تمتد أعينهم إلي متاع الدنيا التي عند إخوانهم ولا إلي زهراتها التي في بيوت الأنصار وإنما يتعففون ويتخلقون بقول الله ﷻ:

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [٢٧٣ البقرة]

فكان الرجل من المهاجرين لا يزيد عن الثلث إذا أكل عند إخوانه من الأنصار وذلك ليتحلي بصفة العفة فلا يأكل ويملأ بطنه حوائج أحدهم كما قال النبي المختار كانت تتخلل في صدره ولا يذكرها لإخوانه عفه وتعففاً واعتماداً علي فضل الله ﷻ في علاه وعندما عرضوا عليه كما أخبرهم حبيب الله ومصطفاه كل ما عندهم من متاع الدنيا قالوا : { **بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي على السُّوق** }[53]

---

٥٢ صحيح البخارى ومسلم عن أبي هريرة.
٥٣ عن أنس ﷺ في (صحيح البخارى).

وكان اليهود يسيطرون علي السوق ولم يكن في المدينة سوق إلا بعد هجــــرة المهاجريــــن لأن أهل مكة كانوا هم المهرة بالتجارة في الجزيرة العربية كلها وهم الذين أسسوا سوق الإسلام في بلدة الإسلام المدينة المنورة ولذلك وسع الله عليهم العطــاء وأعطاهم الخير الباقي والرزق الفاني وجعلهم أغنياء لأنهم صاروا بالله ﷻ أغنياء هــذا الأدب العالي جعل الرجل منهم بأمة يساوي أمة كاملة في الأدب الذي أدبه له حبيب الله ومصطفاه نسأل الله ﷻ أن يؤدبنا جميعاً بالآداب العالية وأن يخلقنا بالأخلاق الراقية وأن يبلغنا المقامات السامية

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس الثانى عشر

بيان مقام ﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾ [54]

قرأ القارئ آيات من سور الأحزاب وعلق الشيخ علي احداها وهي قــول الله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾[الأحزاب]

الحمد لله الذي أكرمنا بهداه .. وأتم علينا نعمته ... فجعلنا مــن أمــة حبيبــه ومصطفاه، وزاد في اكرامنا فاختصنا بخير كتاب أنزله لخلق الله ... ثم أعلى شأننا ورفع قدرنا وأعطانا وسام الخيرية ... فجعلنا بفضله ومنه وكرمه وجوده لا بعمل عملناه ولا بشيء قدمناه ولا بمال وزعناه ... خير أمة أخرجت للناس ... فاللهم أعنا علي شكرك علي هذه النعم العظام واجعلنا من عبادك الشاكرين الذاكرين الفاكرين الحاضرين بين يديك في كل وقت وحين.

والصلاة والسلام علي مصدر الرحمات وسر العنايات الذي جمع الله فيه كــل الكمالات وجمع له كل الآيات وأكرمه ﷺ بخير مقام تفضل به علي رســله الكــرام

[54] أصفوان يوم السبت ١٨ محرم ١٤٢٩ هـــ ٢٦/١/٢٠٠٨م بالمسجد العتيق بأصفوان بعد صلاة العشاء.

سيدنا محمد إمام النبيين ... وتاج المرسلين ... وسراج قلوب الموقنين ... ونور بصائر وأبصار الموقنين ... والرحمة العظمي لخلق الله أجمعين .... صلي الله عليه وعلي آله الطيبين وصحابته المباركين .... وكل من اهتدي بهديه إلي يوم الدين .... وعلينا معهم أجمعين ... آمين آمين .... يا رب العالمين.

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين تحدث أخي فضيلة إمام المسجد بارك الله فيه عن خيرية الأمة واستمعنا إلي أخي القارئ الكريم لآيات طيبات كريمات من سورة الأحزاب كل آية منها تحتاج إلى أيام وشهور ودهور لكي نفقه علومها ونفك رموزها ونعلم الخير الذي ساقه الله ﷻ لنا في آياتها وحروفها فكل حرف تحته علوم لا يستطيع أحد من البشر أن يحيط به إلا بأذن من الحي القيوم ﷻ وقد خص الله ﷻ نبيه ﷺ بخصوصيات نبوية وجعل له مزايا إلهية في مقام النبوة وفضائل ربانية في مقام الرسالة وذكر ذلك في قرآنه.

والقرآن يا إخواني هو سر سعادتنا ولو عملنا به أو بآية منه في حياتنا لرفع الله ﷻ عنا كل عناء وبلاء وجعلنا به ﷻ أغنياء ونصرنا بكرمه وإمداده علي جميع الأعداء ولم يشمت فينا أحداً من السفهاء لأننا عملنا بكتاب الله خير كتاب أنزله الله إلي الأرض فالقرآن كما قال في شأنه منزله ﷻ ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [٤٩ الكهف].

ولو أننا كلنا احتكمنا إلي القرآن في أمر من أمور الدين أو أمور الدنيا بعد أن نجرد أنفسنا من الأهواء ومن الأنانية ومن حب الذات والانتصار لها فلن تكون هناك مشكلة بين أى أمة من الأمم الإسلامية سواء في قرية أو في مدينة لا بين العلماء ولا بين الجهلاء لأن الكل قد احتكم إلي كتاب السماء فالله ﷻ فصل فيه كل ما تحتاجه الأمة إلي يوم الدين، وسهل ذلك وقال لنا فيه ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧ ﴾ [القمر] ولم يقل هل من تالٍ!

فهو سبحانه يريد التلاوة ومعها تمعن وتدبر وتفكر في معاني الآيات! لكن التلاوة وفقط صحيح أن لها ثواب والم الألف بعشر حسنات واللام بعشر حسنات

والميم بعشر حسنات لكن إصلاح الدنيا وسعادة الآخرة يتوقف علي التدبر في معـاني الآيات للعمل بهذه الكلمات فقد كان أصحاب رسول ﷺ لهم موقف من القرآن غير ما نحن فيـه الآن، وانظـروا معـي إلي حال السابقين الأولـين إذ يقـول الحـسن البصرى ﷺ: { **إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار** }[55] كل آية رسالة من الله لنا و لخلـق الله وكل آية تحتاج إلي أن نتدبر ما فيها !! ونعمل بها !! لنكون من أهلها ... ويكشف الله ﷻ بفضله لنا علومها.

وقد يكشف القناع عن قلوبنا فيرينا أنوارها فان القرآن له أنوار، فكان هـذا شأنهم مع كتاب الله حتى كانوا يقولون: كان من يحفظ سورة البقرة مـن أصـحاب رسول الله ﷺ يدعي عظيماً لماذا ؟ لأنه لا ينتقل من آية إلي آية إلا إذا عمل بالآية التي قرأها وتدبرها، فعندما يعمل بسورة البقرة فهو من عظماء الدنيا عند الله ومن عظماء الآخرة يوم لقاء الله، والذين ينظر إليهم عمار الملكوت الأعلـى ويتزلـون لـتلاوتهم ويستمعون إليهم وهم يقرأون كتاب الله.

وقد كان أصحاب رسول الله عندما يقرأ واحد منهم القرآن تـتزل الملائكـة وأنتم تعلمون ذلك وقد كان رجل منهم يقرأ القرآن في بيته بجوار ابنه النائم وبجـوار فرسه وعندما استرسل في القراءة وجد الفرس يتحرك حركة شديدة فخاف علي ابنـه من الفرس فقطع القراءة ونظر فإذا به يرى مصابيح في سقف الحجرة مثل الظلـة أى نجفة كبيرة تضئ له المكان.

فذهب إلى رسول الله ﷺ وحكي له ما رآه وهذا الرجل كان سيدنا أسيد بـن حضير ﷺ فقال ﷺ تلك الملائكة تنزلت لتلاوتك القرآن ولو واصلت التلاوة لرآهـا الناس صباحاً إذاً تنزل الملائكة لكي تسمع القرآن من أهـل القـرآن :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [٣ فصلت]

---

٥٥ مختصر التبيان في آداب حملة القرآن

ولم يقل الله تترل وإنما ذكرها بالمضارع المستمر تتترل أى باستمرار ماذا يفعلون عند نزولهم ؟ يحادثوهم ويؤانسوهم ويكلموهم ويعلموهم ويعلنوا أهم مع أهم جند الله المقربين في خدمة هؤلاء الصالحين:

﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [فصلت]

وأولياؤكم أي نحن الخدم الخاص بكم مرونا بما شئتم نكن طوع أمركم ورهن إشارتكم وذلك لأهم عملوا بما قرأوا من كتاب الله جل وعلا فالقرآن فصل أحوال النبي العدنان لكي نعرفه علي قدرنا من بيان ربنا ﷻ وليست المعرفة الكاملة فلا يستطيع أحد في الوجود أن يعرف حقيقة سيد الوجود ﷺ ولذلك فان الأمام ابن الفارض ﷺ الذى ملأ الدنيا بقصائد فى الثناء على الحضرة الألهية بعد أن مات رآه أحد إخوانه من الصالحين فى المنام فقال يا سيدي لما لم تمدح النبي ﷺ بقصائدك وجعلتها كلها فى الثناء علي ربك؟، فأجابه مناماً وقال:

أرى كل مدح فى النبي مقصراً ... وإن بالغ المثني عليه وأكثر
إذا كان الله أثني عليه بما هو أهله ... فما مقدار ما يمدح الورى

بعد ثناء الله وتشريف الله في كتاب الله بأوصاف وأخلاق حبيب الله ومصطفاه فمن يستطيع أن يبين بعد بيان الله ؟ ولذلك علينا أن نرجع لبيان الله الذي بين أوصاف النبوة وبين أعمال الرسالة – له نبوة وله رسالة ونبوته ﷺ ثابتة قبل خلق الخلق قال ﷺ في الحديث الصحيح: { **إِنِي عِنْدَ اللَّهِ فِي أُم الْكِتَابِ لَخَاتِمُ النَّبيينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ** }[٥٦]

إذاً فنبوته سابقة لخلق آدم أى قبل القبل وقد بين القرآن ذلك ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ أى قبل التكليف بالرسالة وهم مازالوا أنبياء ﴿ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ [٨١آل عمران]

٥٦ (حم طب ك حل هب) عن عرباض بن سارية ﷺ.

ولم يقل نبي لأنه رسول المرسلين أجمعين ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ لابد أن يؤمنوا به لأنه رسول المرسلين.. وكيف ينصره أى نبي؟

بأن يبشر أمته بأوصافه و كمالاته ويأمرهم أن يتبعوه إذا عاصروا رسالته في حياته ﷺ ﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾ أى عهدى ﴿ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران] ناهيك عن التحذير الذى بعدها ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ [٨٢ آل عمران] تحذير شديد للنبيين والمرسلين فرسول الله ﷺ نبوته قبل خلق الخلق ورسالته بعد تكليفه عند نزول الوحي عليه من الحق ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ ﴾ [٦٧ المائدة] ... وهذه كانت بداية الرسالة، والنبوة لها وظائف، والرسالة لها تكليفات وأعمال، وقد بين الله أوصاف النبوة فى الآيات التي إستمعنا إليها اليوم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ [٤٥ الأحزاب] عظمه ربه وخاطبه بلسان التعظيم لكي نتعلم الأدب مع هذا النبي الكريم، فإذا كان المولي الكريم عظمه فى الخطاب فما علينا إلا أن نتجمل بهذا الأدب مع هذا الجناب مع رسول الكريم الوهاب ﷺ ، ولذلك عندما جاء العرب وقالوا يا محمد يا محمد! عاتبهم الله وقال لهم ولنا ولكل المسلمين الأولين والآخرين ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [٦٣ النور] ماذا نقول إذاً؟ نقول يا نبى الله .. يا رسول الله ... يا صفى الله ... يا حبيب الله ....

بذلك نناديه بالأوصاف التي اختصه بها الله ﷻ فى علاه، وقد خاطبه ربه هنا فى مقام النبوة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ [٤٥ الأحزاب] فما وظائف النبوة هنا : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ ماذا تفعل؟

﴿ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب]

خمس وظائف كل وظيفة منهم يلزمها أوقات واسعة لنبين ما فيها من مهام حضرة النبي ﷺ الواسعة، أما الرسالة فقد ذكرها فى سورة البقرة: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ ما وظيفته ؟

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [البقرة]

خمس وظائف أخري للرسالة ...بخلاف وظائف النبوة الخمسة ... وذلك لأن سلطاته واسعة فقد أعطاه الله سلطات روحانية ونبوية واسعة ... وأيضاً كل وظيفة من وظائف الرسالة تحتاج إلي وقت طويل لشرحها أو بيان بعض ما فيها من مهام الرسالة ومن تكليفات الله لحبيبه ومصطفاه ...

وسنتعرض سريعاً إلي أوصاف النبوة لكي نأتي إلي الوصف الأخير ونحاول أن نفصل فيه تفصيلا صغير علي قدر الوقت – أرسله الله شاهداً علينا وعلي النبيين وعلي أممهم ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء] بالنسبة للأمم.

أما بالنسبة لنا ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [١٤٣ البقرة] فهو ﷺ شهيد علي الأولين وشهيد علي الآخرين، شهيد علي البشر أجمعين من بدء الدنيا إلي يوم الدين، وهو كذلك شاهد علي جمالات الله و كمالات الله التي يخبر عنها خلق الله، شاهد علي النعيم الذي جهزه الله في جنة الله ولذلك أخذه الله إليه وأراه وذلك لكي لا يتكلم عن شئ لم يره، وشاهد علي الجحيم الذي جهزه الله للعصاة والكفرة والمشركين لكي إذا حدثهم يحدثهم عن يقين.

وشاهد لأسرار الكائنات والمخلوقات .... ولذلك فانه لم يحدِّث بحديث إلا وجاء العلم الحديث بعد ألف وأربعمائة عام يثبت صحة ما قال المصطفي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام كخصائص الطيور، وخصائص الحشرات – وخصائص الأرض وغير ذلك الكثير حتي أن سيدنا عبد الله ابن مسعود ﷺ قال تركنا رسول الله ﷺ وما من طائر يطير بجناحيه في السماء إلا وذكر لنا عنه علماً، فمن الذي علَّمه ؟ قال تعالى فى (١١٣النساء):

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

علَّمه ربُّ العزة ﷻ.

ومبشراً للمؤمنين... ونذيراً للكافرين ..وهذه واضحة.

وسراجاً منيراً للمقربين والأتقياء والصالحين .. فهو الذى يبين لهم فجاج الطريق وهو الذي يكشف لهم أنوار التحقيق وهو الرفيق الذي يأخذ بأيديهم حتى يصلوا إلي كمالات أعدها الله ﷻ للمتقين و بشريات جهزها الله ﷻ للصالحين.

وهو الداعي الذي أمره الله أن يدعو بإذنه وما دام بإذنه فلا بد وأن يكون الكون كله طوع أمره يعينه علي تبليغ الرسالة؛ فإذا أشار للقمر أنشق نصفين! وإذا أشار للشمس ترجع بعد غروبها من أجل أن يصلي سيدنا علي فريضة العصر! لأنَّ الحبيب كان نائماً علي رجله، وإذا قال يا أرض خذيه تنشق الأرض وتأخذ سراقة! يا أرض دعيه تأتمر بأمره وتتركه! وإذا قيل له لا نؤمن لك حتى تأتي هذه الشجرة وتسلم عليك! فيقول للطالب اذهب إليها وقل لها رسول الله يدعوك فتخط الأرض حتى تصل إليه وتسجد بفروعها بين يديه! فيقول ﷺ يكفيك هذا! يقول حتى ترجع إلي مكانها فيقول ارجعي! فترجع!وما أكثر مثل هذه الأمور.

ولكن علينا أن نعلم علم اليقين أن كل الكون كان طوع إرادته لأنه يبلغ رسالة ربِّ العالمين ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [٦٤ النساء] لا بد وأن الكل يطيعه حتى عتاة الجن ، حتى الشياطين وذلك لأنه داعي بإذن الله وبعد ذلك قال له: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤٧ الأحزاب] وقبل هذه الآيات بشرنا بأننا إن شاء الله عندما نقف فى أرض القيامة وببركة أعمالنا الصالحة سنسمع التحية من الله ونري ما جهزه الله لنا من أجر كريم، ففى سورة الأحزاب:

﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾

فهناك جماعة فى القرآن جهز الله لهم أجر عظيم فيعظم لهم الأجر والثواب ويزيده أضعافاً مضاعفه فى القصور وفى الحور وفى النعيم الذى سيأخذه فى الجنة أما

الجماعة الآخرة فقد قال فيها أن لهم أجر كريم والأجر الكريم سيكون تكريم أمام الخلائق فى الموقف العظيم وينادي الله ﷻ عليهم ليرى الخلائق حسن حالتهم وما أعده الله ﷻ لهم من مقام كريم .

مثلا إذا كان يوم القيامة ينادى منادى الله أين أهل البلاء فيقومون فينصب للقوم لواء فيؤمر بهم إلى الجنة فلا ينصب لهم ميزان ولا حساب ولا يمرون على صراط قال حبيبى وقرة عيني ﷺ فيتمني أهل الموقف أن لو كانوا قرضوا بالمقاريض!! وكانوا من أهل البلاء لما يرون من حسن حالهم وقتها ... والدليل:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر]

يطيرون من القبور إلى القصور – من يحافظون علي صلاة الفجر– نحن الآن نمشى والشوارع مضيئة لكن أجدادنا كانوا يمشون والشوارع مظلمة.هؤلاء يأتون يوم القيامة كما قال فيهم حضرة النبي ﷺ: { بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[57].

كم يكون هذا النور؟ قالَ النَّبيُّ ﷺ:

{ إِنَّ الْمُتَحَابِينَ فِي اللَّهِ لَعَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، فِي رَأْسِ الْعَامُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ، إِذَا أَشْرَفُوا عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ أَضَاءَ حُسْنُهُمْ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءِ الشَّمْسُ لأَهْلِ الدُّنْيَا }[58]

وكما تعرفون فان القيامة ظلمة تامة إلا لمن أضاء له عمله:

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور]

فهناك أناس في الدنيا مبصرون ويأتون يوم القيامة عمياناً ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه] لكن هؤلاء ليسوا من المسلمين.

وقد قال حضرة الله لرسول الله: "بشر أمتك بأن لهم غير التكريم والأجر الكريم

٥٧ عَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ (سنن الترمذي وأبي داوود)
٥٨ الحكيم وابن أبي الدُّنيا في كتاب الإخوان وابن عساكر عن ابن مسعود ﷺ.

وغير الثواب العظيم من الله – فضـــل كبير من الله لا بعمل ولا بشيء قـــدموه إنمـــا تفضل عليهم بـــه المتفضل ﷻ ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب] لا شـــأن لـــذلك بالعمل ولكنه من دائرة الفضل.

هذا الفضل يا إخواني الذي أعطاه الله للحبيب وأمته لـــو أطال الله في أعمارنا ومكثـــنا في بيت ربنا إلي يوم الدين ما استطعنا أن نبين عشر معـــشاره.لأن ربنـــا قـــال فضل كبير وكلمة كبير من الله ما الذي يساويها ؟ ليس لها حد ولا عد لأنها من الكبير ﷻ لكننا سنبين بعض الفضل لكي نفرح أننا من أمـــة حبيـــب الله ومـــصطفاه ومـــن الفضل الـــذي بشـــر به النبي وأمته أن الله يحاسب الأمـــم كلـــها بالعـــدل ويحاسب هذه الأمة بالفضل – آدم وأمته – نـــوح وأمتـــه – كل أنبيـــاء الله وأممهم بالعدل لكنه يحاسبنا بالفضل – كيـــف؟

أولاً جعلنا في آخر الأمم وجعلنا في المحشر أول الأمم في الحساب فـــنحن قـــد جئنا في الآخر فمن المفروض أن يكون حسابنا أيضـــاً في الآخـــر لكن بفضل الله فإن حسابنا قبـــل جميـــع الأمم ولذلك فإن حضرة النبي يقول يا رب لم جعلت أمتي آخر الأمم ؟ قـــال حتى يطلعوا عـــلي مساوئ الأمم ولا يطلع علي مساوئهم أحد غـــيري أما نحن فنقرأ ونسمع فى القـــرآن أن موسى فـــعل معه اليهود كـــذا ولـــوط عملوا معـــه كـــذا ونـــوح عملوا معـــه كـــذا فمـــن الذي ســـيأتي مـــن بعـــدنا ويعـــرف ما عملناه؟ لا أحـــد

وكـــذلك حتى لا يطـــول مكثهم في القبـــور فتكون فترة القبور بالنسبة لنـــا لحظات قليلة.وفي يـــوم القيـــامة يقـــول حضرة النبي: {نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[٥٩]

وأول الحساب يبـــدأ بأمة النبي الأمين لماذا ؟ لكي لا نمكث في أرض القيامـــة ولا نجد عناءً في القيامة واسمع إلي الحبيب وصلي عليه بقلبك حتى يطيب فقد ورد أنـــه { يَخِفُ عَلَى الصَّالِحِينَ حَتَّى يَكُونَ كَصَلاةِ رَكْعَتَيْن }[٦٠] مع أن يوم القيامـــة

٥٩ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ في صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد)
٦٠ الفواكة الدواني شرح رسالة القيرواني،

يقـول فيه ربنا ﴿ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾ [المعارج] لكنه سيمر علينـا بمقدار صلاة ركعتين خفيفتين وكذلك سيحاسبنا ربنا بيننا وبينه فلا يـري أحـد ولا يكاشف أحد ولا يطلع أحد من فقط الذي يري حسابه بقية النـاس ؟ مـن تبـاهوا بالمعاصي وافتخروا بفعلها ولم يتوبوا إلي الله من ذلك حتى توفاهم الله وهم مـن قـال فيهم حضـرة النبي: {كُلُّ أُمَّتِي مُعَافىً إلاَّ المُجَاهِرُونَ}[61]

كيف يكون العفـو هنا ؟ أن يكون الحساب بينك وبينه قـال ﷺ:

{ يُدْنَى الْمُـؤْمِنُ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ. حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ. فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ. فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ: هـؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللّهِ}[62] .

وهذا يا إخواني أكبر ستر يتولى الله ﷻ به هذه الأمة لأن أكبر عذاب في الموقف هو عذاب الخزى أن يحاسب الإنسان أمام الكل ولذلك فـإن سيدنا إبراهيـم خليل الرحمن كان كل دعاءه ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الشعراء] حتى أنه لم يقل أنا وابـني أو أنا وزوجتي أو أنا وعائلتي بل أنه قال أنا فقط أما الله فقد قال للحبيـب: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ ﴾ [٨ التحريم] هل وحـده ؟ .. اسمعـوا .. ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ [٨ التحريم] وليس فى زمانه وحسب بل إلى يوم القيامة وهى أكـبر بشـرى بشـرها لنا الله علي يـد حبيب الله ومصطفاه وهى أن يحفظنا ربـنا مـن عذاب الخـزى حتى أنه لو كان سيلومنا أو يعاتبنا فسيكون ذلك بيننا وبينه ولن يرانا أحد من الخلائق لأنه هـو الذى وعـد وإذا وعـد وفى.

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ [٨ التحريم]

---

٦١ رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن أبي قتادة ﷺ
٦٢ صحيح البخارى ومسلم عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ.

فالخلق لها نور واحد وهو نور العمل أما نحن فلنا نورين نور أمامنا وهو نور الحبيب الأعظم ﷺ ونور أعمالنا ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [٨ التحريم] وهو نور رسول الله – وبأيمانهم – وهو نور العمل الصالح – الخلق فى كرب الحساب وفي شدة أهوال العذاب ونحن نقول ﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٨ ﴾ [التحريم] كيف يتم علينا النور ؟ أن يكشف لنا عن جمال وجهه فنتمتع به ونراه ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ [القيامة] وهو تمام النور.

ومن البشريات العظيمة التي بشر بها هذه الأمة علي النبي الكريم أنه سيأتي للآخرين يحاسبهم حساب دقيق على أعمالهم حتى أن معظمهم سيأخذ قرار ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣ ﴾ [الفرقان] ... ويضرب وجهه بالعمل وذلك لعدم الصدق والإخلاص فيه أما نحن فيأتى إلينا ويقول:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ ﴾ [١٦ الأحقاف] نرى العمل الحسن ونأخذه أما العمل السيئ .. ﴿ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝١٦ ﴾ لماذا ؟ لأنه وعد الله ﴿ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝١٦ ﴾ [الأحقاف]..كيف؟

لأنه جل شأنه كما ورد فى الأثر أول ما خلق الأمم وجاء اللوح وجاء القلم ليكتب فقرر الله القرار الإلهي لكل أمة من الأمم اكتب يا قلم؟ أمة آدم! ما قرارها ؟ من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار... وهذا حساب بالعدل ، أمة نوح.. من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار، وكل الأمم كانت كذلك .. إلى أن جاء عند أمة محمد ﷺ فظن القلم أنها كسائر الأمم والقرار واحد فهم أن يكتب نفس القرار فقال حضرة الله { اسكت يا قلم } فانشق القلم من هيبة الله ﷻ ، فقال القلم ماذا اكتب ؟ قال اكتب: { **أمة مذنبة ورب غفور** }[٦٣]، وذلك من

---

٦٣ وردت هذه العبارة الشريفة فى حديثه ﷺ الذى فيه: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ في عَارِضَتي الْجَنَّة مَكْتُوباً ثَلاَثَةَ أَسْطرٍ بالذَهَبِ: السَّطْرُ الأَوَّلُ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، وَالسَّطْرُ الثاني: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَبِحْنَا، وَمَا خَلَّفْنَا خَسِرْنَا، وَالسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ» الرَّافعي وابن النَّجَّار عن أَنَسٍ ﷺ.

فضل الله علينا جماعة المؤمنين أما الآخرون فالهم سيهربون من بعضهم :

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس]

أمـــا عنـــدنا فقـــال ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المدثر] ما لهم ؟ قـــال ينفعون بعض، ويشفعون لبعض، ويرفعـــون بعض .. فمن يمت منهم يصلون عليه ومن يصلون عليه فقد شفعوا إلي الله فيـــه فـــإذا صلي علي المتوفى أربعون فياهناه فقد فاز بالجنة والنعيم لقول سيد الأولين والآخـــرين: {مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مِائَةٌ شُفعُوا فِي أَحِبَّتِهِمْ، وَالأُمَّةُ أَرْبَعُونَ إِلى مِائَةٍ }[٦٤]

وقال اشهدوا لبعضكم، ومع ذلك يقول إخواننا الغير منتبهين لا يشهد أحـــد! كيف يا أخي والحديث فى صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس بن مالك ﷺ، قَالَ:

{ مُرّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرَاً. فَقَالَ نَبِيُّ اللّهِ: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ» وَمُرّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرّا. فَقَالَ: نَبِيُّ اللّهِ: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ». قَالَ عُمَرُ: فِدَى لَكَ أَبِي وأُمّي! مُرّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتُ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ. ومُرّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرّا فَقُلْتُ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنّةُ. وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرّا وَجَبَتْ لَهُ النّارُ. أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللّهِ فِي الأَرْضِ. أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللّهِ فِي الأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللّهِ فِيي الأَرْضِ.}

لمن نشهد يا رسول الله ؟ قال إذا رأيتم الرجل يعتاد المـــسجد فاشـــهدوا لـــه بالإيمان وفى رواية فاشهدوا له بالصلاح وقد يقول قائل نحن خائفون لعدم علمنـــا بمـــا فعل – لماذا وقد وضح النبي الصورة والهيئة يوم لقاء رب العالمين حتى لو كان عمـــل كذا وكذا فقد شهدنا له، وسيأتي الله يوم القيامة ويقول لم شهدتم لعبدى بهذا وعملـــه

٦٤ (طك، عن أبي المليح ﷺ).(جامع الأحاديث والمراسيل)

غير ذلك؟ فنقول يا رب – وهذا حديث حضرة النبي بالمعني – أنت الذي أخبرتنا قلت لنا في كتابك : ﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [يوسف] قال ﷺ وانتبهوا للحديث ؟

قالَ رسولُ الله ﷺ: {إذَا مَاتَ العَبْدُ والله يَعْلَمُ مِنْهُ سِرّاً، وَتَقُولُ النَّاسُ: خَيْراً، قالَ الله ﷻ لمَلاَئِكَتِهِ: قَدْ قَبِلْتُ شَهَادَةَ عِبَادِي على عَبْدِي، وغَفَرْتُ لَهُ عِلْمِي فِيهِ}[65] ، فأهل الاستقامة لا تلزمهم شفاعة! فلمن تلزم، قال ﷺ :

{ شَفَاعَتِي لِاهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَتِي }[66]

وعندما وزع الشفاعات ماذا قال فيها ؟ قال الشهيد يشفع فى سبعين من أهله كلهم قد أستوجب النار والعالم يشفع فى سبعين من أهله كلهم قد استوجب النار وقارئ القرآن يشفع فى عشرة من أهله كلهم قد استوجب النار وهناك آخرون قال فيهم ﷺ:

{ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ مُضَرَ، وَيُشَفَّعُ الرَّجُلُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ، وَيُشَفَّعُ عَلى قَدَرِ عَمَلِهِ }[67]

كما قال فى سيدنا عثمان وهما أكبر عائلتين فى الجزيرة العربية فى العدد وهذه الشفاعة لكي نأخذ بأيدي بعض الناجي يأخذ بيد أخيه، لذلك قال ﷺ:

{ اسْتَكْثِرُوا مِنَ الإِخْوَانِ فَإِنَّ لِكُل مُؤْمِنٍ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[68]

وإذا لم نجد الأربعين فى صلاة الجنازة نكثر من الصفوف لقوله ﷺ:

{ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلاثَةُ صُفُوفٍ فَقَدْ أَوْجَبَ }[69]

والصف الحد الأدنى به فى الفقه (واحد) إذاً لو أننا ثلاثة فواحد إمام واثنان خلفه بذلك يصبح ثلاثة صفوف هنا وجبت له الجنة، وإذا مشينا فى جنازته يكفي

---

٦٥ رواه البزار عن عامر بن ربيعةَ ﷺ
٦٦ مسند الإمام أحمد والترمَذي عن أنسٍ ﷺ
٦٧ (طب، عن أبي أمامة ﷺ).
٦٨ (ابن النَّجَّار) في تاريخه عن أنس ﷺ.
٦٩ (الترمذى) عن مالكَ بن هبيرة ﷺ.

بشرى الحبيب ﷺ بأن أول بشرى تعجل للمؤمن بعد موته أن يغفر الله ﷻ لكل من مشى فى جنازته ، وقد وردت فى هذا المعنى أحاديث عديدة بصيغ مختلفة، فنحن نشفع فيه وهو سبب مغفرة لنا، وإذا دخل القبر وما زال عليه بقية من الحساب فكما قال الحبيب ﷺ :

{ **أُمَّتِي هذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ في الآخِرَةِ، عَذَابُهَا في الدُّنْيَا الْفِتَنُ وَالزَّلاَزِلُ وَالْقَتْلُ** }[٧٠]

فما نحن فيه من فتن الآن يخلص الله بها الذنوب وهى التى يطهرنا بها من العيوب فإذا بقى شئ آخر يكون خلاصه فى القبر كيف؟

هذا سيستغفر له، وهذا سيحج عنه، وكما تعلمون فان أجر الحج: { **مَن حَجَّ هذا البيتَ فلم يَرفُثْ ولم يَفْسُقْ رَجَعَ كيومِ ولَدَتهُ أُمُّه** }[٧١]

وعندما أحج عن ميت هل يتغير الأجر ام يظل كما هو ؟ لا يتغير إذن عندما أحج عنه فإنه سيرجع كيوم ولدته أمه! وهذا يتصدق عنه.. وهذا يقرأ له ما تيسر من كتاب الله، ومن يقول أن القراءة لا تنفع الميت فإذا لم تنفع الميت ألن تنفع من قرأها؟ إذاً أقرأها وأترك الأجر على الله،ولا يحكم على الغيوب إلا علام الغيوب أو النبي المحبوب الذى أطلعه الله على هذه الغيوب، فهل منا من اطلعه الله على الغيوب ورأى أن هذا العمل سيقبل أم لا؟ فلماذا أحكم؟ ﴿ **إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ** ﴾ [٥٧ الأنعام]

أو اسمع حبيب الله ومصطفاه فى الحديث الذى رواه الإمام الطبرانى ﷺ :

{ **أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ مُتَابٌ عَلَيْهَا تَدْخُلُ قُبُورَهَا بِذُنُوبِهَا وتَخْرُجُ مِنْ قُبُورِهَا لا ذُنُوبَ عَلَيْهَا، يُمَحَّصُ عَنْهَا باسْتِغْفَارِ المُؤْمِنِينَ لَهَا** }

فمن الذى علمنا أن نستغفر للأموات؟ ربنا ﷻ عندما قال لنا عليكم دائماً أن تقولوا: ﴿ **رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ** ﴾[١ الحشر] وهو يعلمنا ذلك لكي يستجيب لنا ...

---

٧٠ سنن أبي داوود عن أبي مُوسَى
٧١ صحيح البخارى عن أبي هريرة ﷺ

من يا أحباب الله الذى سيتعرض لسوء الحساب إذاً؟

كما قلت من ارتكب كبيرة من الكبائر كالقتل أو السرقة أو شرب الخمر أو الزنا أو عمل قوم لوط أو الربا أو أكل مال اليتيم ظلماً أو عقوق الوالدين أو شهادة الزور وغيرها من الكبائر، فإذا ارتكب كبيرة من هذه الكبائر ثم مات ولم يتب إلى الله ﷻ منها ، أو كان يتباهى بالمعاصي ويقول لقد فعلت كذا وكذا ويباهي بهذا الفعل وظل إلى أن مات ولم يتب إلى الله ﷻ ، لأنه حتى قبل الموت لو تاب فإن الله يتوب علي أحدكم ما لم يغرغر (الحديث) وطالما قبل الغرغرة فباب التوبة مفتوح.

وبشريات الله ﷻ لهذه الأمة لا يستطيع أحد عدها ولا حدها ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤٧ الأحزاب] فالحبيب الأعظم يبشر المؤمنين بحضرته وبرسالته إلى يوم الدين ، ولم تنته هذه الوظيفة فقد يبشرهم مناماً ورؤيته حق ومن رآني فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل بى (الحديث) ، والمؤمن المستقيم إذا حدث له كرب أو ملمه ورفع الأمر إلى الله؛ فإن الله يرسل إليه حبيبه ومصطفاه مناماً ليبشره،... وإذا رآه كشف الله الكرب – ما رآه الكرب إلا وشرد ... بل إن النبي ﷺ يبشر المؤمنين الصادقين بحسن الخاتمة لكي يطمئنوا إلى فضل الله وإلى كرم الله ورضوان الله..

وأنتم تحفظون التاريخ عندما حاصروا سيدنا عثمان ومنعوا عنه الماء ودخل عليه عبد الله بن سلام رضى الله عنه :{ **وهو محصور في داره فسلم عليه وقال: مرحبا يا أخي ألا أخبرك بما رأيت في ليلتي هذه؟ قال – قلت: بلى ، قال: رأيت رسول الله ﷺ في هذه الكوة، فقال لي: يا عثمان قلت: لبيك يا رسول الله قال: حصروك ؟ قلت: نعم، قال: وأعطشوك ؟ قلت: نعم، فأرسل إلي دلوا من ماء فشربته حتى رويت، إنـي لأجد برده بين ثديي وكتفي، فقال: يا عثمان اختر إن شئت أن تفطر عندي، وإن شئت أن تظهر على القوم، قلت : بل أفطر عندك، فقتل من يومه ذلك** ﷺ}[٧٢] ، وهذه رواية ثابتة موجودة فى العديد من كتب التاريخ والسير ... فقد جاء حضرة النبي ليبشره رضى الله عنه.

---

٧٢ سنن سعيد بن منصورعن عبد الله بن سلام.

وسيدنا الإمام الحسين ﷺ لما طلب من المحاربين له من المسلمين من جيش عبيد الله بن زياد ولم يكن معه فى ذلك الوقت سوى تسعين رجلاً من آل بيته والنساء، وكان جيش عبيد الله أربعة آلاف، فقال ﷺاختاروا واحدة من ثلاث فاما أن تتركونى أذهب أجاهد فى سبيل الله وأغزو، وإما أن تتركوني أرجع إلى المدينة وليس لى شأن بكم، وإما أن تأخذوا بى ليزيد ابن معاوية لأتفاهم معه، قالوا لا هذا ولا ذاك ولا بد من قتلك ... مع أهم مسلمين ليس يهود ولا كافرين ولكنها فتن نسأل الله أن يحفظنا منها أجمعين !!!!

وكان صائماً فى هذا اليوم وهو يوم عاشوراء، وقد صام حضرة النبي هذا اليوم وأمر بصيامه وحافظ على صيامه حتى انتقل إلى جوار الله ﷻ ، وهو يوم مسنون لأن النبي صامه وقد رغب النبي فى صيام يوم عرفه ولكنه لم يصمه وكذلك رغب فى صيام يوم النصف من شعبان ولكنه لم يصمه، لكنه حافظ علي صيام يوم عاشوراء، وفى هذا اليوم جاءت السيدة زينب أخته، فقال يا أختاه لقد رأيت رسول الله ﷺ الليلة فى المنام وقال: يا حسين حصروك ومنعوا عنك الماء، قلت: نعم يا رسول الله، قال: إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا ؟ فقلت: أفطر عندك يا رسول الله.

إذاً فرسول الله يأتي للصالحين والمتقين من أجل أن يبشرهم بحسن الختام وافضل شئ يحصل عليه الإنسان فى الدنيا هو حسن الختام الذى كان الأنبياء يقولون فيه: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف]

نسأل الله ﷻ أن يحسن ختامنا وأن يثبت على الحق قلوبنا وأن يملأ بنوره صدورنا وأن يشرح لعمل الطاعات أبداننا وأن يوفقنا فى الدنيا لذكره وشكره وحسن عبادته وأن يجعلنا من أهل الإكرام العالى يوم لقاء حضرته وأن يجعلنا من الذين يدخلون الجنة بغير سابقة سؤال ولا حساب وأن يرزقنا رفقة النبي ﷺ فى الجنة وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس الثالث عشر

سبيل العناية ونيل الولاية [٧٣]

كان هذا الدرس المبارك تعليقاً على قرآن إفتتاح المجلس من قول الله ﷻ:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس]

بسم الله الرحمن الرحيم ..... الحمد لله الذى اختصنا بإنعامه وأهل قلوبنا لتترل معاني كلامه وجعل لنا في قلوبنا آذاناً واعيـة نصغي بها عند تلاوة كلامـة وجعـل القرآن الكريم ربيع قلوبنا وجـلاء حـزننا وذهاب همنا وغمنا وسبيلاً لنا في الـدنيا للوصول إلى مرضاة ربـنا وشفيعاً لنا فى الآخرة يأخـذ بأيدينا إلى جـنات النعيم.

والصلاة والسلام على من كان باطنه أنوار القرآن، وظاهره أخـلاق القـرآن وسره روح القرآن، ولسانه بيان القرآن، وهو كله صورة القرآن الحيـة بـين بـنى الإنسان، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وارزقنا فتحه وخيره وبـره وأدم علينا السرور به وأسعدنا بالجمعية الكبرى على نوره حتى نتملى بحضرته ونتمتع بالنظر إلى جمال طلعته ونكون من السعداء به فى الدنيا ويـوم الدين آمـين. آمـين يـا رب العالمين ... إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين ...

فى بيان القرآن شفاء لصدور أهل الإيمان ورحمة للقلوب التي تعلقـت بحـضرة الرحمن ومعراج للأرواح للدنو من حضرة القرب والتدان والآيات التي استمعنا إليهـا

---

٧٣ السبت ١٨ محرم ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨/١/٢٦م درس بـعـد العشاء، بمنزل الأستاذ / تركى مصطفي بطفنيس.

الآن أرى أن الكل فى اشتياق إلى أن ينظم فى معية أولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وارى أن الكل وأنا من بينكم يدعو الله بقلبه أن يسجل فى ديوان الصالحين، وأن يكتب فيمن قال الله فيهم ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ ﴾ [١٠٨هود] ويكون فى الدنيا والآخرة محفوظاً بأنوار ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩الفتح] فما السبيل إلى هذه الولاية ؟ وما الطريق إلى هذه العناية؟ وذلك من الآيات التي استمعنا إليها ؟

اعلم أن الولاية عناية { وقطرة من فيض جوده تجعل الكافر وليا والشقى تقيا } ملك الملوك إذا وهب! لا تسألن عن السبب! ولذلك كان النداء فى أول الآيات ليس للمؤمنين ولا للمسلمين بل للناس أجمعين ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ [١٠٨يونس] ...فولاية الله صالحة لأى فرد من الناس إذا إصطفاه واختاره رب الناس ﷻ، وليست حكراً على أحد! بل إن بابها مفتوح والفتوح من حضرة الفتاح ﷻ!

فما الطريق إلى ذلك ؟

الطريق أن يبدأ الإنسان بمجالسة الذين يتلقون مواعظ القرآن من حضرة الرحمن ، ولا يقرأ هذه المواعظ فى الكتب البالية ولا يسمعها من الناقلين عن الذين كتبوا فى الأيام الخالية وإنما يسمع المواعظ الحديثة عهد بالله التي تنزل فوراً من حضرة الله على قلوب الصالحين من عباد الله.

ومثلها فى وقتها هى التى جعلت شيخ الإسلام العز ابن عبد السلام ﷺ عندما جالس ومعه جمع من العلماء سيدى أبا الحسن الشاذلي ﷺ وتحدثوا فى مسألة علمية وأخذ كل رجل منهم وهم فطاحل العلماء: الشيخ عز الدين ابن عبد السلام والشيخ مجد الدين القشيرى والشيخ ابن دقيق العيد، وكان كل واحد منهم يدلى بدلوه والشيخ صامت لا يتكلم لأن الصالحين مؤدبون بأدب العبودية على نهج سيد الأولين والآخرين، فقالوا له نريد أن نسمع منك شيئاً، فقال ﷺ: أنتم مشايخ الوقت وأفاضل العلماء وماذا أقول بعدكم ؟

وهذه سيما الصالحين التواضع على منهج سيد الأولين والآخرين، فقالوا

لـه لابـد!، فبـدأ يتحـدث! وإذا بالعـز ابن عبد السلام لا يتمالك نفسه يقـف ويتمايل عند سماع الكلام ، ثم يقف على باب الخيمة وكانوا فى خيمة فى المنصورة أثناء المعركة مع لويس التاسع، وأخـذ يصفق ويـنادي عـلى من بالخـارج ويقـول:

هـلموا إستمعوا إلى هـذا العلم الحديث عهـد بالله ﷻ .

﴿ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وشـرط الموعظـة النـازلة مـن عنـد الله أنـها تشفى الصدور ﴿ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[٥٧يـونس] وفيهـا هداية وفيها عناية وفيهـا وصول إلى الغاية فترحم المـؤمنين المـشتاقين لفـضل رب العالمين ﷻ، فإذا أقبل العبد بقلبه وبكله على الرجل الصالح واستمع إلى ما يتنزل على قلبه من فضل الله فإن الله ﷻ يعينه على العمل بهذا العلم، وهذا العلـم فيـه الحيـاة والرجل الصالح الذى يتنزل على قلبه علوم من حضرة الله طازجة هو الذى معه عـين الحياة التي تحيا بها القلوب ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [٦الإنسان] يشرب بها عبـاد الله العلوم النافعة والأسرار الرافعة والحقائق الساطعة النازلة من سماء فضل الله ﷻ

ولذلك بين الإمام أبو العزائم ﷺ هذه الحقيقة وقـال :-

عين الحياة مـدام الفـرد ناولـه أهل المحبة من فـازوا بمكنـون

إذاً فعين الحياة هى المدام والمدام هو علم الإلهام وهو مدام أهل البدايات ولكل مقام مدام فمدام أهل البدايات هو علم الإلهام لأن هذا العلم هو الذى عليه المعول فى تصفية القلوب وتهذيب النفوس وتجهيزها لحضرة المليك القدوس ﷻ

يمحو الكيان بعاليـه وسـافله علم من الله بالإلهام فى الأصـل

هو الذى يمحو ظلمات الكيان وشهوات النفس وعللها وأهواءها، وعلم الإلهام هو ما يسمونه علم اليقين، وهو بداية السير فى ركاب الصالحين، بعد ذلك يـسـقونه مـن عين اليقين عندما يترقى فى المقام، وبعد ذلك يشرب بنفسه من حق اليقين.

علم الـيقين مفـاتح الجنـات وبه الوصول لأرفع الـدرجات
علم يصب بقلب صبٍ مخلـص باع النفيس ونفـسه للـذات

وهكذا وكما قالوا فى الحكم (كما أن كل ماء لم ينزل من السماء لا ينفع – فهل مياه البركة الغير جارية يصح أن نسقى بها الزرع ؟ لا وإن حدث يموت الزرع، كذلك كل علم لم ينزل من سماء الإلهام لا يرفع!

وما يرفع الإنسان فى طريق الله هو علم الإلهام، وناهيك برتبة الكليم عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام الذى كان يسمع كلام الله.﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء] ومع ذلك عندما أراد أن يصل على الحقائق الراقية ونفائس العلوم الباقية أمره الله ﷻ أن يتوجه للرجل الذى عنده علم الإلهام وهذا الكلام مسطور فى القرآن – لمن أذهب ؟ قال هذا الرجل ما شكله وما هيئته؟

ليس لنا شأن بالأشكال ما نسبه؟ ليس لنا شأن بالأنساب فما لهذا العلم بالأشكال والأنساب – ما الذي يملك ؟ ما لنا وما للدنيا وما فيها – ما أوصافه؟

﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف]

قال تذهب على هذا الرجل لكى تحصل على المقام – وذهب إلى الرجل واستعطفه وأخذ يتودد إليه ﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الكهف] ولم يقل هنا علماً ولكن قال رشداً ومقام الرشد هو الإطلاع على الحقائق العالية بعين القلب الراقية وعين الروح الباقية

بعين الروح لا عين العقول   شهدت الغيب فى حال الوصول

وعلم هؤلاء القوم كما قالوا علم غيب ليس بالتحصيل بالقراءة والاطلاع و لا بالعمل واستمع لإمامهم :

علم غيب عن شهود   لا بعلمى أو بعملى
بل بفضل الله ربى   وبطه خير رسلى
وأنا عبد ظلوم   أعلمونى بعد جهلى
كشفوا لى الحجب حتى   أشهدونى نور أصلى

وليس هناك طريق آخر لولاية الله غير هذا الطريق.

الرجل الذى اجتباه الله واختاره واصطفاه وحباه ورقاه وأدناه وعلمه من لدنه علماً وجعل فى علمه سر الحياة – حياة القلوب وانظر إلى نداء الله للمؤمنين ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ نعم يا رب : ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [٢٤ الأنفال] ... هل هم الآن غير أحياء؟

لا! .. كيف ذلك؟ لأن الحياة الحقيقية لا تكون إلا بعد حياة القلوب ... ولذلك فإن سيدنا رسول الله رأى رجلاً يصلى فنادي عليه! فواصل الرجل الصلاة! وبعد أن سلم ذهب لرسول الله، فقال ﷺ ما منعك أن تجيبني ؟ قال يا رسول الله كنت فى الصلاة، قال أما سمعت قول الله ﷻ :

﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [٢٤ الأنفال]

فإذا دعاك أو ناداك وكنت فى أى عمل أو أمل فلا بد وأن تتركه فوراً لتلبى نداء مولاك ﷻ وهذا هو كلام الله الذى أنزله علي حبيبه ومصطفاه ﷺ وهذه هى الموعظة التى فيها الشفاء لما فى الصدور من الشك والهواجس والهلاوس والأثرة والأنانية والأحقاد والأحساد والرغبة فى الحظوظ والأهواء وما أدراك ما الأهواء فإن الهوى هو أكبر داء يمنع مدد السماء عن النزول إلى القلوب فكل ما يداوى هذه العلل والأمراض هو علم الإلهام.

ولذلك قال الإمام أبو العزائم ﷺ ذات مرة لأصحابه :–

عنى اسمعوا ما تعقلون من الكلام ... فالعلم بالرحمن من صافى المدام
خذ ما صفى لك من إشارة عارف ... فالعارفون كلامهم يشفى السقام

سقام الصدور وسقم القلوب لا يشفيها إلا العلم اللدني والعلم الإلهامي والعلم الرباني والعلم الكشفي والعلم الشهودى والعلم الرحماني والعلم القرآني النازل على قلوب العارفين من سماء القرب والتداني، من سيدنا رسول ﷺ فإذا لازم المريد العبد وعمل بما يسمعه من العبد الرباني، وراقب قلبه، وجعل همَّه الإخلاص لربه والصدق

مع حبيبه، فتح الله له عين بصيرته، وأنار له سر سريرته، فينتقل من دائرة العبد الولي، إلى دائرة حضـــرة النبي فيكـــون مـــع الله:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس]

فيحاول أن يتشبه بالحبيب فى كل أوصافه وكمالاتة ، ليكون على قدره صورة من حضرة ذاته، وهذا هو جهاد العارفين التشبه بالحبيب الأعظم فى كل وقت وحين، والتشبه هنا ليس بظاهره فقط ولكن يكون التشبه بظاهره وباطنه، والعبرة بالتشبه بـــه فى خشوعه لله !! وفى حضوره مع مولاه !! وفى إخباته لحضرة الله !! وفى إنكسار قلبه بين يدي مولاه !! فهذا هو التشبه الأعظم:

أقيم صلاتى إن تجردت عن نفسى ... فأفنى بها عنى بمـــشهده القـــدس

على يصلى فى صلاتى لأنـــنى ... تشبهت بالمختار بالجسم والنفس

إذاً يجب أن يكون التشبه كاملاً الظاهر يتشبه بالظاهر والباطن يتشبه بالبـــاطن على قدرك فإذا استطاع أن يتشبه علي قدره بسيدنا ومولانا رسول الله يغدق الله ﷻ عليه فضله وعطاياه لا بعمل ولا بأمل وإنما ميراثاً وانتساباً للحبيب الأعظم ﷺ وذلك لأن الوارث له حكم مورثه فقد أصبح شبيهاً به فيلزم أن يكون له نصيب وقسط مـــن ميراثه وقد ورد فى الأثر فى ذلكم { إنـــا معاشر الأنبياء لا نورث درهمـــا ولا دينـــاراً وإنما نورث علماً ونوراً }، فيأخذ ميراثه من العلم الوهبي وميراثه من النور القدســـي بالتشبه برســـول الله وبـــالانتساب لحبيب الله ومصطفاه وليس الانتساب هـــنا أن يذهب ويأتي بسلسلة الأشراف وسلسلة النسب ويعلقها علي الحائط لا .

فالانتساب كما قلت أن ينتسب إلى ذاته فيتشبه به فى كل حالاته حتى يصير فى باطنه وظاهره عـــلى هيئاته فيستحق هنا أن يكون من أهل ميراث حضرة ذاتـــه ﷺ

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلـــهم ... إن التـــشبه بالرجـــال فـــلاح

فـــإذا تشـــبه برسول الله رفـــعه الله إلى مقام المراقبـــة فى حـــالة المعايـــنة:

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [٦١ يونس]

فيراقب الله فى السر والجهر وفى العلانية وفى الخلوة، يراقب الله فى كل حالاته وهذه بداية المقربين الذين يسلكوا بعدها فوراً فى ديوان الصالحين!

متى الإنسان يخطون اسمه فى ديوان الصالحين؟ إذا كان يراقب الله فى كل وقت وحين! أما إذا كان يراقب الخلق فهو بعيد بعد المشرقين عن ديوان الصالحين، لأن الصالحين بدايتهم مقام الإحسان، ومقام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ومقام الإحسان يا أحباب هبة من الله، ومنة من حبيب الله ومصطفاه، وليس بالشطارة وليس بالمهارة، ولا بالقراءة والاطلاع، ولا بقيام الليل ولا بصيام النهار، وإنما فضل يتفضل به المتفضل على الصادقين من الصالحين والأبرار فيمنحهم هذا المقام فى نفس أو أقل فى ليل أو نهار.

ومن هو فى مقام الإحسان أين يكون؟ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل] فما دام وصل إلى مراقبة الله فقد صلح فى أن يكون رجلاً من رجالات الله لأنه فى هذا الوقت وفى هذه الحالة لن يتحكم فيه حظه ولن يحكمه هواه، ولن يجامل أحداً فى دين الله ، ولن يشهد لرجل بغير ما يرضاه الله، ولا يعطى أحداً عطاءاً صغيراً أو كبيراً إلا إذا كان يستحق هذا العطاء فى نظر مولاه ، وبهذا يستحق أن يكون فى ديوان الصالحين والمتقين، وعلى الفور يوضع فى قول رب العالمين وفى الدائرة النورانية:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس]

فتأتيه بعد ذلك البشريات ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ [٦٣ يونس] فى المنامات الصادقة، والفراسة النورانية، والمكاشفات الربانية والعطاءات الإلهية التى لا نستطيع حصرها ولا عدها ولا الإشارة إليها فى هذا المقام لأنه أمر يطول... ولهم من

البشريات مالا تستطيع الكتب أن تتحمله، ولو رمزت إليه بإشارات ولا تستطيع إلا أن تقول فيها كما قال الإمام الغزالي ﷺ

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

ذلك لأن هذا شئ سابق لوقته يلزمها أن يصل الإنسان إلى هذا المقام ويعاين ويتذوق !! ذق تعرف !! فلا ينفع هنا إلا مقام التذوق.

فلا ينفع مقام الفهم ولا مقام السماع ولا مقام التلقى، ولكن مقام الذوق، فإذا أكرمه الله ﷻ بالبشريات كلفه الله ﷻ برسالة يبلغها لنفر من السالكين والمحبين والراغبين والعاشقين فى جمالات رب العالمين والمتيمين فى سيد الأولين والآخرين، فيبتلى بالخلق لأن أى ولى يكلف برسالة الله يبتلى بخلق الله!! منهم من يحسدوه !! ومنهم من ينازعوه !! ومنهم من يعارضوه !! ومنهم من يذمونه !! وذلك لأنها سنة الله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [٣١ الفرقان]

سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

سيدنا عبد الله ابن سلام ﷺ يقول لسيدنا عبد الله ابن مسعود ﷺ {أيحبك قومك ؟ قال: نعم، قال: لا! قال: ولم؟ قال: أنت رجل صالح ومكتوب عندنا فى التوراة: أعدى أعداء الرجل الصالح قومه}، فهم أول من يكذبونه!! والمثل موجود من أول من كذب حضرة النبى؟ عمه وكانوا يعرفونه، وقال الله لهم وله في قوله تعالى في سورة الأنعام:

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

ويحسدونه لأن الله أختصه بهذا الفضل وبهذه النبوة؟ وكذلك كل ولى وكل صفى يصل إلى هذا المقام ويكلف بتبليغ رسالات الله ويدخل فى قول الله:

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [٣٩ الأحزاب]، ولذلك يقول الله لأصحاب هذا الاختصاص:

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [٦٥ يونس] والمعني أنه سيعزك عليهم هنا ويعزك عليهم هناك وهكذا نجد الآيات تسلك المقامات التى يسير فيها المؤمنون ويسير فيها الوارثون حتى يصلوا إلى أعلى مقام وهو تبليغ رسالة الله ﷻ.

نسأل الله ﷻ أن يفقهنا فى كتاب الله وأن يملأ حنايا صدورنا بفهم معناه وأن يقذف فى قلوبنا نوراً من ثناياه وأن يجعلنا فى ظاهرنا وباطننا عاملين بكتاب الله وأن يجعل كل رجل منا نسخة ظاهرة حية ناطقة بما فى كتاب الله من أخلاق الله وأخلاق حبيبه ومصطفاه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس الرابع عشر

القلب باب القرب [٧٤]

بسم الله الرحمن الرحيم ... القلب هو الباب للحياة القرآنية!

والقلب هو باب الحياة فى بحبوحة العيش فى رياض الصالحين، وفى معية سيد الأولين والآخرين، ولذلك فإن الصالحين علموا علم اليقين أن الجهاد الأعظم الذى يوصل إلى الكنز المطلسم والسر المكرم وهو الوصول إلى الله هو الجهاد فى تخلية القلب من الصفات المذمومة ... ، والجهاد فى تطهير القلب من كل ما سوى الله ... لأنه موضع اختاره الله ﷻ لتنزل جماله ... ولظهور أنواره ... ولفيض فضله وخالص عطاءه ... ، لأن كل العطاءات الربانية والروحانية ... محلها ومحل قبولها من العبد هو القلب ... ولا يتنزل فى هذا القلب أى عطاء رباني، أو فتح قرآني، أو سر إلهي، وهو مشغول البال بغير الواحد المتعال.

ولذلك قال الأمام أبو العزائم ﷺ { القلب بيت الرب فطهره له بالحب } وهذه كلمة جمعت كتباً – وقد عرفنا هنا أن القلب هو البيت الذى يتنزل فيه الرب

---

٧٤ الأحد ١٩ محرم ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨/١/٢٧م درس بعد الإفطار بمنزل الأستاذ/ أحمد فهمى أبو زيد، بطفنيس.

بعطاءاته وخيره وبـــره و تفضلاته، وفى نفس الوقت ذكرنا الوسيلة لـــتطهيره وهـــى الحب، والمقصود بالحب هنا هو لله ورسوله وليس الحب للدنيا أو للزوجة أو الحـــب للأولاد أو للمناصب والمكاسب، إنما الحب الخالص لله ورســـوله ﷺ ولـــذلك فـــإن الصالحين وهـــم على نهج رب العالمين يقيمون الإخوان الـــصادقين لا بالأســـفار ولا بكثرة الأذكار ولا بكثرة الإنفاق للمنفقين من ذوي اليسار وإنما بطهارة القلب بالكلية من الأغيار: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [١٣ الحجرات].

فالتكـــريم للتقوى والتقوى محلها القلب وإن كانـــوا لا يظهرون ذلك لأنهـــم عملوا بقول الحبيب { سووا بين أولادكم حتى فى القبل } فيقبلون علـــى الإخـــوان بظواهرهم، ويعاملونهم بالنصيحة فى بواطنهم، ولا يدخرون وسعاً فى سبيل رفع شأنهم وإعلاء مقامهم، لكن التكريم لمـــن كرمـــه الكريم، وذلـــك ليـــس باختيارنـــا أو بإرادتـــنا، فهم يعظمون من عظمـــه الله ،لأن الله اطلع عليه فرأى أن قلبـــه لـــيس فيـــه ســـوى مـــولاه!!! إذاً فميزان التكريم مـــع الكريـــم ﷻ.

فالقلب يا إخواني هو باب القرب والتداني... وبدايته لمن أراد أن يدخل عـــالم الروح وعالم التهاني ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء] أنـــه يـــسلم من الأثرة والأنانية والحظ والهوى والكره والبغض والحقد والحسد.

وقد يقول البعض ما الذى يأتى بالحسد هنا فيما بيننا مع أننا أناس روحانيين ؟ نقول يا أخي ما بالك باخوة يوسف ولماذا حسدوه فهل عندما حسدوا يوسف كـــان معه ملك أو مال أو أى شئ من زهرة الحياة الدنيا ؟ أبداً بل أنه كان مـــا زال طفـــل صغير! ومن حسدوه كانوا أسباطاً –والسبط هو ابن النبي – وكانوا اثني عشر وقـــد بلغ بهم الحسد! وكان الحسد هنا على عطاء الله الذى عرفوا أنه سيئول إليـــه مـــن عند الله! مع أنهم كانوا فى هذا المقام غير واعين !!! فما دام قد عرفـــوا أن هـــذا العطاء ســـيئول إليـــه لا محـــالة؟؟؟ فلماذا يحسدونه؟

إلا أنهم سبحان الله فكروا أن يقتلوه ولم يعلموا أن الله ما دام قـــد ادخـــر لـــه النبوة، فهو وارث النبوة فلن يمكنهم ولن يمكن غيرهم من ذلك وهذا ما جعله عنـــدما

قص رؤياه على أبيه أن يقول له أبوه ﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ﴾ [٥ يوسف]، وقد حدث وكادوا له لأنهم حسدوه على المقام العظيم وقد قالوا عندما اجتمعوا:﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ [٩ يوسف]، وبعد ذلك توبوا واستغفروا ﴿ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۞ ﴾ [يوسف].

وكما تعلمون فإن (العلماء) يفرعون لأنفسهم ويأتون بالمخارج، وقالوا نقتله ثم بعد ذلك نتوب إلى الله ونكون من الصالحين ونرث هذا المقام، وقد جاء لنا الله بهذه القصص حتى نعرف أنه حتى فى رحاب الصالحين وفى معية المتقين النفس موجودة وعلينا أن ننتبه لها ولا نثق فيها ونعلم علم اليقين كما قال إمامنا أبو العزائم ﷺ:

{ أن جهاد النفس حتى مع كمل العارفين لا ينتهي حتى خروج النفس الأخير}

وإياكم وأن يقول واحد فيكم لقد انتهيت من جهاد النفس وأصبحت من أهل الفتح، لأنه كلما زدت فى الفتح احتجت أكثر إلى جهاد النفس وذلك لأن جهاد النفس فى كل مقام له أنواع .. فجهاد النفس عند السالكين فى البداية يكون فى ترك الشهوات .. وفى ترك الحظوظ والأهواء والملذات .. وفى ترك المباحات والمستحسنات وهذا جهاد واضح، وسهل لأن الحظوظ واضحة والمعاصى واضحة والمستحسنات واضحة فهو جهاد يسير وسهل .

وجهاد النفس عند الواصلين أن يجاهدها حتى لا تقف عند مقام وتظن أنها حصلت التمام ووصلت إلى ما يرام، أو تظن ليس بعد هذا منتهى أو جهاد أو وصال إلى حضرة القرب والإنعام .,. وهنا يقف لأنه يظن أنه رجل من الأقطاب أو من الأنجاب أو من الأوتاد ولا يحتاج بعد ذلك إلى جهاد !! ويظن كذلك أنه يستطيع ان يعلم غيره وليس محتاجاً لأن يعلم نفسه !! أو يريد أن يوجه غيره ويظن أن نفسه غير محتاجة إلى التوجيه !!وفى هذا المقام قد يشعر بالعظمة فى نفسه!! ويشعر بنشوة المشيخة فى نفسه بأنه أصبح شيخاً !! أو أن له شئ !! أو أنه أصبح على شئ!! أو له مقام !!! أو له عند الله وحبيبه جاه وإعظام !!!

وهذه مشكلة المشاكل ! وكما ألحنا وصرحنا المرة تلو المرة عن ذلك .. ولـــذا فإن الصالحين يتخلصوا من هذا الزيغ فى أسرع من لمح البصر:

كل الذى أنا فيه فـــضل محمـــد منه بدا وإليه كان وصـــوليا

فيقول ما الذى معي – فإن كل ما معي هو فضل الله، ومدد سيدنا رسول الله، وأنا مثلى كمثل هذا الميكرفون، لو قطعوا عنه التيار فانه يصير قطعة حديـــد – ولـــو قطعوا عنى تيار الامدادت ساصير شئ ليس له قيمة فى هذه الحياة ، لأن كـــل جمـــال وكل كمال فينا هو جمال رسول الله وكمال رسول الله ﷺ ، فنحن مثـــل التوكيـــل الذى تأتيه البضاعة من مؤسسة السيد النبيل ﷺ ، ولو أن هـــذه المؤســـسة أخـــذت بضاعتها ... فماذا يكون فى التوكيل ؟ لا شئ فلـــو قالـــوا هات؟ أو قالوا:

﴿ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾ [٦٥ يوسف] فمـــاذا تقول! وهل منا من يستطيع أن يعارض ويمنع التيـــار من الانقطاع؟ إذاً فالفضل هنا هو فضل الله ولذلك فإن أهل هذا المقام من السالكين والواصلين جهادهم فى أن يديـــم كل واحد منـــهم حالـــة عـــلى { لا حول ولا قـــوة إلا بالله } .

فإذا استطاع أن يديم حاله وقاله وأفعاله وكله على لا حول ولا قوة إلا بـــالله فانه السبيل السوي والطريق السوي الموصل إلى مرضاة سيدنا رسول الله فإذا كاشفوه وانشغل بهذه المكاشفات فقد عرض نفسه إلى الرجوع إلى أدنى المقامات.

فالسالك كلما كشفت له المقامات، نادته هواتف الحقيقة لا تقف ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [١٠٢ البقرة] والمطلوب أمامـــك، فلا تركن عند كشف ولا تقف عند علم وهبى إلهامى، ولا تقف عند مرائى، ولو كانت حتى المرائي لحـــضرة الـــنبى، فأنت إذا رأيته مناماً عليك! أن تجتهد لكى تصل لرؤيته يقظة، وإذا رأيته يقظة! عليك أن تجتهد فى ألا يغيب عنك طرفة عين ولا أقل، ودائماً تنشد الكمال .. والكمال ليس له نهاية نسأل الله ﷻ أن يجملنا بهذه الجمـــالات و يكملنا بهـــذه الكمـــالات .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس الخامس عشر

النيات سرُّ تفاوت الدرجات [٧٥]

بسم الله الرحمن الرحيم ... الحمد لله الذى أعلى شأن من آمن وصدق برسوله وحبيبه ومجتباه، وادخر لهم أعلى مقام عند الله وأكرم نـزل فى الجنـة إن شـاء الله ، والصلاة والسلام على إمام المقربين وسيد السابقين والرحمة العظمى للخلـق أجمعـين، سيدنا محمد وآله الطيبين وصحابته المباركـين، وكل من اهتدي بهديهم إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين ....

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين ...

كما جعل الله ﷻ الدنيا فى الأرزاق الحسية الدنيوية درجات، فهنـاك الفقـير وهناك الغني وهناك الوسط وهناك من يملك وهناك من لا يملك؛ فهناك من يملك بضعة قراريط، وهناك من يملك فدان، وهناك من يملك بضعة أفدنه، وهناك من يملك مائـة فدان وألف فدان وهناك من يزيد على ذلك .. وكذلك المـال فهـناك مـن لـه رصيد فى البنك بمبلغ ألف جنية، وهناك من رصيده عشرة آلاف جنية، وهنـاك مـن رصيده خمسين ألف، وهناك من رصيده مائة ألف، وهناك من رصيده مليون، وهنـاك من رصيده مليار!!! وهناك من رصـيده أكـثر من ذلك.

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِ ﴾ [٧١ النحل]

ومن فضل هنا هو ربُّ العزة ﷻ ، لكن في الآخرة جعل المؤمنين درجات:

﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ ﴾ [١٦٣ آل عمران]

والدرجات فى الآخرة غير الدنيا فكل واحد منا يختار هنا فى الدنيا درجته الـتي

---

٧٥ الأحد ١٩ محرم ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨/١/٢٧ م درس بعد صلاة الظهر – مسجد السلام بعزبة البرج بطفنيس.

يريدها فى الآخرة ويرى العمل الذى يوصل إليها فى كتاب الله وفى سـنة رسـول الله ويجد ويجتهد لينال مناه، وذلك لأن الآخرة موقوفة على العمل، والعمل موقوف علـى النية والهمة فى الحياة الدنيا، ولذلك عندما يدخلون الجنة فماذا يقول لهم حضرة الله:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزخرف]

أى سنصل إليها بالعمل الصالح هنا فى الدنيا، إذاً من الذى يختار للمؤمن درجته فى الجنة؟ هـو وليس سواه فهـناك من يكون من أهل اليمين وهناك من يقول فـيهم ربـنا ﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ [١٠٢ التوبة] .. مرة يستقيم ومرة أخري يعمل بعمل أهل الجحيم، فتارة يستقيم على طاعة الله وعلى عبادة الله ويذهب إلى بعض بيوت الله وإلى أعمال الخير التي تقرب إلى الله، وتارة يركبه هواه ويـذهب إلى المعاصى والمسكرات والمخدرات والفحشاء والمنكر وكل الأشياء التي تغضب الله!! وهذه هى المصيبة الكبرى لأن مثل هذا أمـره موكول على من يقول للـشيء كـن فيكـون!! فأهـل الجحيم نسأل الله الحفـظ والـسلامة كالكـافرين والمـشركين سيدخلون النار لا محالة حتى ولو ملئوا الدنيا بعمل الخير فلو أن الكفـار بنـوا حـتى مساجد أو مدارس ومستشفيات ووزعوا الصدقات على الفقراء والمحتـاجين فـإن الله يثيبهم بالعدل فى الدنيا ويعطيهم حقهم فيها قبل أن يغادروها ويصحح لهم أجـسامهم ويحسن الدنيا لهم فلا يبقى لهم عنه شيء يوم القيامة ولا يشفع لهم يوم لقـاء ربهـم ؟ فمادام غادر الدنيا كافراً فإن كل ذلك لا ينفع!

وكان للسيدة عائشة ﵂ قريب من عائلتها هو عبد الله بن جدعان وكان ينفق على مضيفة يملكها فى مكة بكرم اشتهر، وكان يطعم الفقراء والمساكين بـلا مقابـل! وكان من بنى تيم! وهى عائلة سيدنا أبو بكر، فقالت السيدة عائشة:

{ يا رسول الله، إن عبد الله بن جدعان كان في الجاهلية يُقري الضيف، ويفك العاني، ويصل الرحم، ويحسن الجوار، فأثنيت عليه، فهل ينفعه ذلك؟ قال رسول الله ﷺ: لا إنّه لم يَقُلْ يَوْماً قَطُّ اللهمّ اغْفِرْ لي يَوْمَ الدِّينِ }[٧٦]

---

٧٦ المستدرك على الصحيحين ومسند الإمام أحمد عن عائشة ﵂.

بذلك فإن عمل البر والخير لا ينفع إلا المسلم الذى قال لا إلـه إلا الله محمد رسول الله – أما الذى يعمل الخير ويتصدق علـى الفقـراء والمـساكين ولم ينطـق بالشهادتين فهو هنا إما يعمل للتفاخر وإما للتظاهر وإما للشهرة وإما لمصلحة أو منفعة وإما لأى شئ دنيوي، لكنها ليست لله جل فى علاه، ولذلك لا يؤجر على هذا العمل فى الآخرة، كالحادث الآن من الكفار الذين يعطون معونات للدول الإسلامية من أجل المصالح فمن يمشى فى ركابهم يعطوه المعونات !! والذي لا يتبع هواهم يقطعون عنـه المعونات إذاً كل هذه الأعمال ليست لله وقد قال الله فيهم:

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [٢٣ الفرقان]

أما المشكلة الكبرى فهي فى المؤمنين والمسلمين الذين لا يمشون علـى طريـق واحد فتارة يعملون عمل المستقيمين وتارة ينضمون لطابور العـصاه والمـذنبين فمـا حكمهم فى كتاب الله؟ ﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ [١٠٢ التوبة].

وكما قلنا فإن هؤلاء موكولون لأمر الله عسى الله أن يغفر لهم وعسى الله ﷻ أن يتوب عليهم، ومن الجائز أن يؤاخذهم بظلمهم ويدخلهم الجحيم، فعلى المؤمن أن يمشى فى طريق واحد ولا يجوز اللعب مع الله ﷻ أبداً فهل تلعب على من يطلع علـى ظاهرك وخافيك وعلى من لا تغيب عليه غائبة ولا تخفى عليه خافيه فى الأرض ولا فى السماء ؟ فحتى لو ضحكت على الخلق! وكانت نيتك سقيمة ولما يطلعـوا عليـك وكشفوك تقول لقد كانت نيتي كذا وكذا وتكذب! فهل ينفع ذلك مع حضرة الله ؟

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر] فهو يرى النوايا التي فى الصدور لأنه يعطى الثواب على النية وليس علـى العمـل { **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ** }[77] وهذه النيات فى القلب والصدور يطلع عليها من لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، ولذلك فإن الغافلين والجاهلين الذين يظنون أنهم يـضحكون على المؤمنين ويضحكون على الله قال الله فيهم:

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ

77صحيح البخارى عن عمر بن الخطاب.

وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ ﴾ [البقرة]

وذلك مثل من يسوى أوراق أى قضية جيداً مع محامي لينتزع حقا لغيره بالباطل، زهو يعلم فى داخله أنه باطل! فإن مثل هذا يضحك على نفسه! حتى لو أخذ هذا الحق فهو ليس له! فأين يذهب يوم الدين الذى يقول فيه الله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦ ﴾ [فصلت]، ليس هناك ظلم ... لأنه قال:

{يَا عِبَادِي إِني حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ مُحَرَّماً بَيْنَكُمْ فَلاَ تَظَالَمُوا}[78]

فإياك وأن تظلم أحداً – فمن يأتى مثلا فى فاصل الزراعة وفى غفلة من جيرانه يسوى الأرض وينقل الحد! ويظن أنه ضم لنفسه فتراً أو شبراً أو متراً! فإن حضرة النبي قد قال فيه: {مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ}[79] فهل تظن أنك تظلم جارك الضعيف ؟ فهناك قوى يأخذ للضعيف من القوى ... وإلا كانت الدنيا مثل الغابة القوى يأكل الضعيف والغنى يأكل الفقير وينتهى وجود القانون والشريعة ، أما القانون الذى يريد الله تعريفه لنا ليس القانون الذى فى المحاكم ! ولا حتى القوانين العرفية! لأنه من الجائز أن أكون رجل لى وجاهة ومكانة تجاملنى بها اللجنة العرفية كما يحدث غالباً، فيقول الخصم أن اللجنة هى التى حكمت له، ولنفرض ذلك!! لكننى أريد الحكم الذى يرضى الله جل فى علاه:

﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [٥٧ الأنعام]، لنفرض أننى فى الدنيا قد ضحكت على أبى وأخذت أتقرب إليه إلى أن قال أن هذا الولد لا مثيل له! وسأكتب له نصف فدان زيادة عن العيال! فهل لأن والدي هو الذى كتب يكون ذلك من حقى ؟ لا لأن من المفروض أن يترك ملكه إلى أن يلقى الله ويوزع الورثة التركة على وفق كتاب الله وقد قال الرسول لنا كلنا { سَوُّوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ }[80] فإياك أن تفضل واحداً على واحد.

فعندما تزوج واحد امرأة جميلة تعجبه وكان متزوجاً قبلها من أخرى له منها

٧٨صحيح مسلم عن أبي ذر.
٧٩ (حم ق) عن عائشة ، وعن سعيد بن زيد رضيَ اللَّهُ عنهُمَا
٨٠ (ص طب هق) عن ابن عباس.

عيال، وأنجبت الجديدة مولوداً، فقالت اكتب له الحديقة الفلانية فوافق لأنـه يحبـها فقالت أريد أن تشهد على هذا العقد رسول الله! فذهب وقـال يـا رسـول الله إني أعطيت ابنى فلاناً حديقة كـذا، فقـال: ﷺ هل أعطيت ولدك كلهم مثله ؟ قـال لا قال إذاً لا أشهد على جور.

ولنفرض كذلك أن هناك ولد من أولادي عـاق لي وغير مطيع! فهل لى الحق أن احرمه من الميراث ؟ لا! لأن الميراث ميراث حضرة الله ﷻ ، وانظر إلي عظمـة الله ﷻ فعندما تكلم عن الصلاة كان مرة يـقول ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [٢٣٨ البقرة]، ومـرة يقـول ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [٤٣ البقـرة]، ومـرة يقـول ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [١٧لقمان] .. وذلك فقط !!

فهذه الصلاة كم فرض ؟ والفرض كم ركعة ؟أين ذلك فى كتاب الله؟ تركهـا حضرة الله لرسول الله يوضحها ويبينها وهو الذى عرفنـا جميـع الفـروض وعـدد الركعات فى كل فرض، وكذلك الزكاة !! فكم مقدار زكاة الـزرع ؟ وكم مقـدار زكاة الضـرع ؟ وكم مقـدار زكاة المال؟ هـل هـذه الأنـصـبة والمقـادير موجـودة فى كتـاب الله ؟ لا من إذاً الذى فصله وبينه ؟ رسول الله ﷺ ، وقس على ذلك صيام رمضان فكم يوم نصوم ؟ قال الرسول: صـوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيتـه من الذى قـال هنـا ؟ رسول الله وتوقيت الصيام وقال عنه من طلوع الفجـر إلى غروب الشمس وحدد لنا تشريعات الصيام وأركانه وفرائضه وسننه وآدابه، والحـج ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [٩٧ آل عمـران]، فهل آيات الحج بها طواف؟ وكم مرة وكيفية ذلك ؟ وهل الآيات بها سعى وكم مـرة وكيف نسعى ؟ والوقوف على عرفه متى نذهب ومتى نغادر ؟ ورمى الجمرات عددها وكيفيتها؟ النبي هـو الـذى بين ووضح وقال لنا:{خُذُوا عَني مَنَاسِكَكُمْ}[٨١]

لماذا ذكرت كل ما سبق وأطلت فيه لأعرفكم أن العبادات التي هى لله أجملـها ربنا ﷻ فى كتاب الله! والذي وضحها وفصلها سـيدنا رسول الله ﷺ ....

---

٨١ عن جابر، (طب) عن ابن عمرو ﷺ.

لكن عندما جاء الله عند الأمر الذى تحرص عليه النفس والتي هى على إستعداد أن نتقاتل ونتعارك من أجله أو تقتل وتدخل المحاكم وبعدها السجن من أجله وهو أمر الميراث ! ويشمل الأرض والمال والدور والأنعام وغيرها من الخيرات؛ فـصله الله فى كتابه المحكم تفصيلاً شافياً فلا توجد قضية فصلت فى كتاب الله كقضية الميراث أبداً.

مثلاً كم نصيب الرجل إذا كان لزوجته ولد وماتت ؟ وكم نصيبه إذا ماتـت زوجته ولم تنجب ؟ جاء حضرة الله بهذا وذاك!!، كم نصيب العيال إذا كانوا ذكـوراً فقط أو كانوا إناثاً فقط أو كانوا ذكوراً وإناثاً ؟ ومن الذى يرث الرجل الـذى لـه ذكور ولا إناث ؟ يرثه اخوته! وكيفية ذلك ، وإذا كان الرجل ليس لـه إلا أخـوات إناث فكيف يرثنه ؟ فلا توجد قضية تهم المؤمنين فى الميراث إلا وذكرها الله ﷻ بنصها فى كتاب الله لماذا؟ لكى نعرف أن هذه القضية ليس لنا تدخل فيها أبداً ومن يتـدخل فيها فقد خالف كتاب الله وقد حذرنا من ذلك وقـال:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [٧ الحشر]، ومن يخالف قال: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر].

إذاً فإن قضية الميراث لا شأن لنا بها أبداً!! فكما يورث شـرع الله علينـا أن نترك الأمر للورثة – فأنا هنا فى الدنيا بعدها ذهبت إلى الله فى الدار الآخرة فهل علـى أن أحمل همومهم فوق رأسي وأنا هناك ؟ كل ما على أن أوصيهم به أن أقـول لهـم إذهبوا لعالم يحكم بينكم بشرع الله ﷻ فى علاه! وهذا دين الله وشرع الله وهـدى الله الذى أنزله على حبيبه ومصطفاه ﷺ ، وإذا اتبعت نفس وهواى وحرمت واحداً مـن الميراث وهو يستحق مثل الرجل الذى كل ذريته بنات فيقول هـل أجعـل اخـوتى يشاركـون بنـاتى فى التركة ؟ وذلك لأن البنات لهم الثلثان إذا كانتـا بنتـين أو أكثر، والثلث البـاقى يذهب لأقرب الذكـور وهم اخوته الذكور، فيقول الرجل لا وسأكـتبها للبنات لكى لا يأخـذ أحد مـن اخوتى الرجـال شئ.

وهو بذلك يقطع رحمه! فإذا غضبت أى بنت من زوجها فإلى أيـن تـذهب ؟ المفروض عند عمها فإذا حرمته من الميراث فكيف يكون الحال ؟ بالطبع لن يقبلها ولن

يرعى مصالحها أما إذا لم يحرمه من الميراث فإنه يقوم برعايتها ورعاية مصالحه وتكون للبنت عين تطلب منه وقد أخبر ﷺ فى ذلك أنه من حرم وارثاً ميراثه حرمه الله ﷻ من الجنة يوم القيامة، وذلك لأن ميراث المؤمنين فى الآخرة هو الجنة فإذا حرمت أخيك من ميراثه فى الدنيا فجزاءك هو أن تحرم من ميراثك فى الجنة إن شاء الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ [المؤمنون].

فكيف أدخل الفردوس ؟ إذا لم أحرم وارثاً من ميراثه .. لأني إذا عدلت أو غيرت أو بدلت .. فأنا بذلك غير راضى عن حكم الله وشرع الله وبذلك أكون عاصي لله ﷻ – ولذلك يجب على الإنسان أن يترك الميراث على ما هو عليه لكي لا يأتى يوم القيامة ويكون من المرجئة، وهم المرجو أمرهم إلى الله هل إلى الجنة أم إلى النار؟ فماذا يفعل المؤمن؟ يختار لنفسه طريق صحيح من البداية – وهو طريق الاستقامة والمشي على المنهج القويم المستقيم الذى جاء به الشرع الحكيم الذى كان عليه الرؤوف الرحيم ﷺ :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾ [١٥٣ الأنعام]

وعند شرع سيدنا رسول الله لهذه الآية وكان يستخدم وسائل الإيضاح وهو أول من استخدمها فى الوجود ويلزم لذلك رسالة دكتوراه يقوم بها أحد إخواننا – فجلس مع أصحابه ورسم على الرمل خط ورسم على هذا الخط خطوط على اليمين وخطوط على الشمال وقال هذا – على الخط الرئيسى – صراط مستقيم وهذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان – إذاً الناجي هو الذى سيمشى على الصراط المستقيم فقط لكن من يمشى على السبل: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [١٥٣ الأنعام] فكل سبيل عليه شيطان يزين للإنسان مخالفة الله وعصيان حبيبه ومصطفاه واتباع هواه ... ظناً أن ذلك يغنيه فى دنياه مع أنه فى الحقيقة لن يأخذ إلا ما كتبه له الله وقدره له فى أزله القديم جل فى علاه.

وإذا مشى فى الحرام واجتهد فى الذنوب والأثام التي يحصل بها الأرزاق فلن

يأخذ إلا ما كتبه له الرزاق لكن بدلاً من أن يأخذه من حلال فسيكتسبه من حرام ومن آثام ومخالفة لله وبعصيانه أمر الله وبعدم متابعته لحبيب الله ومصطفاه، ومثل هذا يعذب عليه فى الدنيا ويوم لقاء الله جل فى علاه وقد حكم الله على نفسه وهو الحكم العدل أن يقتص من هؤلاء فى الدنيا قبل الآخرة ليكون عبرة وعظة لغيره ونحن نرى ذلك كثيراً ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾ [٤٣ العنكبوت]

ولله فى كل يوم مثل يضربها لكى يمشى الإنسان على الطريق المستقيم، ومن يمشى على الطريق المستقيم لابد وأن يختار بنفسه من هنا مقاماً كريم ... فأنت الذى تحدد لنفسك المقام .. فإذا كنت تريد أن تكون من أهل اليمين عليك أن ترى أعمال أهل اليمين فى كتاب رب العالمين واعمل بها.

وإذا كنت تريد أن تكون من الوجهاء والعظماء يوم القيامة وهم: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ ﴾ [الواقعة]، وهؤلاء هم منهج آخر فمن يريد أن يكون من أهل اليمين فإنه أمر سهل ويسير فعليه أن يجتنب المعاصي ما ظهر منها وما بطن، ويحافظ على فرائض الله ويخرج الحقوق الشرعية التي أوجبها عليه الله، فعندما يجنى المحصول يخرج الزكاة ولا يؤخر ذلك إلى أن يخزنه فى البيت لأنه من الجائز إن فعل ذلك يطمع فى حق الله ويريد أن ينقصه أو يأخذ مما لا يعجبه أو لا تروق فى عين التجار ويوزعها على الفقراء والمساكين ويقول هذه هى الزكاة!! والله لا يرضى بذلك! لأنه قال لنا فى ذلك ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [٩٢ آل عمران]، فما لا تحبه لنفسك لا تعطيه لفقراء الله وعليك أن تعطيهم مما تحبه: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ﴾ [٢٦٧ البقرة]

أى لا ترضى أن تأخذه أن أعطاك أحد فكيف تعطيه للمساكين ؟ إذاً من يحافظ على الفرائض ويخرج حقوق الله التي عليه وأهمها الزكاة ويمتنع ويحفظ نفسه عن المعاصي ما ظهر منها وما بطن – كالرجل الذى ذهب لرسول الله {يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلامِ، فقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَومِ وَاللَّيْلَةِ. قالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قالَ: لا إلا أَنْ تَطَوَّعَ، قالَ: وَقالَ رَسُولُ اللَّهِ: وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ، قالَ:

هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قالَ: لا إلا أَنْ تَطَّوَّعَ، قَالَ: وَذَكَر لَهُ رَسُولُ اللَّهِ الزَّكَاةَ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قالَ: لا إلا أَنْ تَطَّوَّعَ. قالَ فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لا أَزِيدُ عَلَى هذَا وَلا أَنْقُصُ مِنْهُ شَيْئاً، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَفْلَحَ إنْ صَدَقَ}[٨٢] فـإذا عمل بهذه الفرائض وامتنع عن المعاصي فقد فاز:

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [١٨٥ آل عمران]

لكن من يريد أن يكون من المقربين عليه أن يزيد من النوافل كأن يصلى النوافل القبلية والبعدية مع الصلوات ويحافظ على السنن المؤكدة وأهمها الوتر بعد العشاء وركعتي السنة قبل الفجر وإذا زاد عن ذلك يجعل له ركعات فى الليل ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [٧٩ الإسراء] ويحافظ على صلاة الضحى وإذا أراد المزيد والمقام الأعلى عليه أن يذكر الله ذكراً كثيراً قياماً وقعوداً وعلى جنبه ماشى يذكر الله – قاعد يذكر الله – نائم يذكر الله ولا يكف لسانه عن ذكر مولاه طرفة عين ولا أقل لأنه أعلى مقام فى مقامات القرب من الله:

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾ [٣٥ الأحزاب]، وأعلى مقام: ﴿ وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب]

وهو بذلك يكون فى أعلى المقامات عند الله ﷻ فكلما تزيد فى النوافل والقربات وأعمال البر والخير كلما كان لك مقام أعلى بين المقربين وذلك لأن المقربين ليسوا على درجة واحدة لكنهم درجات فى جنة النعيم عند رب العالمين ﷻ بحسب اجتهادهم فى الطاعات وتنافسهم فى الخيرات واستباقهم فى الأعمال الصالحات يكون المقام عند رب العزة ﷻ فى الجنات بحسب هذه الزيادات.

نسأل الله ﷻ أن يمنحنا رضاه وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يحفظنا من المعاصي والفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يرزقنا مراقبة الله وخشيته فى الغيب

٨٢ صحيح البخارى ومسلم عن طلحة بن عبيد الله.

والشهادة حتى نرى الله ﷻ ونستحضره فى قلوبنا ونراقبه ﷻ فى كل حركاتنا وكل أعمالنا وأقوالنا، ونسأل الله ﷻ أن يعزنا بالعمل بشريعته وبالاقتداء بخير بريته، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس السادس عشر

رؤية الملائكة والجهاد الأعظم [٨٣]

س : هل يجوز رؤية الملائكة؟

الإجابة : نعم رؤية الملائكة جائزة للصالحين الذين وصلوا إلى مقام اليقين ففتح الله عين البصيرة التى فى القلب و التى بها يروا كل عالم الأنوار المحيطة بالإنسان، فالدنيا عالم كثيف لا يراه الإنسان إلا بهذه العين الحسية فيرى المادة والجماد، أما عين الروح فإنها ترى المعانى وعين القلب ترى الأنوار، فكل ما هو من عالم الأنوار كالملائكة يراها أهل القلوب،ولذا روى ابنِ عَبّاسٍ ﷺ قالَ:

{ كنتُ مع أبِي عندَ النبيّ، ومعَ النبيِّ رجلٌ يناجِيهِ، فكانَ كالمُعْرِضِ عن أبي، فخَرَجْنَا من عِنْدِهِ فقالَ: أَلَمْ تَرَ إلى ابنِ عَمّكَ كانَ كالمُعْرِضِ عَنّي، فقلتُ لهُ: يا أَبَتِ كانَ عِنْدَهُ رجلٌ يناجِيهِ، قالَ: وكانَ أَحَدٌ، قلتُ: نَعَمْ، فَرَجَعْنَا فقالَ: يا رسولَ الله إنّي قلتُ لعبدِ الله كَذَا وَكَذَا فقالَ لِي كَذَا وَكَذَا، فَهَلْ كانَ عِنْدَكَ أحدٌ، فقالَ: نَعَمْ، هَلْ رَأَيْتَهُ يا عبدَ الله ، قلتُ: نَعَمْ، قالَ: ذلكَ جبريلُ ﷺ هُوَ الّذِي شَغَلَني عنكَ}، وفى رواية قال له: { إذن لا تَسْلَم لك عيناك، وسوف تصيرُ أعمى }. [٨٤] وقد كان كما قال وكف بصر ابن عباس فى آخر أيامه ، وذلك لأن أنوار الملكوت غالية وعالية.

---

٨٣ عزبة البرج، الأحد ١٩ محرم ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨/١/٢٧ م درس بعد الغداء بالديوان بطفنيس .
٨٤ السنن الكبرى للبيهقي، والزيادة فى فيض الباري شرح صحيح البخاري

وكذلك كان أصحاب رسول الله فقد رأوا الملائكة فى غزوة بـــدر كما نـــرى بعضنا الآن، وكانت الملائكة تشجعهم وتحمسهم على القتال لأن عددهم كان يزيـــد عن الثلاثمائة بقليل والكفار كانوا ألفاً ولذلك نزلت الملائكة حتى قال سيدنا عبـــد الله ابن عباس ﷺ { **كانَتْ سِيمَا المَلاَئِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَائِمَ سُودٌ، ويَوْمَ أُحُدٍ عَمَائِم حُمْرٌ** }[٨٥]، وقد كان مظهرهم يوم بدر خلاف ما رأى ابن عبـــاس سيدنا جـــبريل مع سيدنا رسول الله لأنه عندها رآه على حقيقته الملكوتية، ولـــذلك لم يره أبـــوه، لكـــن عندما ظهرت يوم بدر ويوم أحـــد تشكلوا فى صـــور بشـــرية فقد أعطاهـــم الله خاصـــية التشكل إن كان فى صـــورة إنســـان أو فى صورة حيوان راق أليـــف.

وكذلك الجن لديهم القدرة على التشكل لكن فى صور الكلاب أو فى صـــور الحيوانات المفترسة، فالملائكة تتشكل فى الصور الجميلة لكن الجن تتشكل فى الـــصور القبيحة وذلك ليفرق بينهم أهل الكشف – فعندما نزلت الملائكة فى بدر وأحد نزلـــوا فى أشكال آدمية ولكي يتميزوا عن أصحاب رسول الله كانت العلامة التي يتميـــزون بها يوم بدر – العمائم الخضراء أو البيضاء ويوم أحد العمائم الحمراء – لكي يشعر بهم الصحابة ويتحمسون لرؤيتهم – إذاً فإن الملائكة كانت تتنزل عليهم باستمرار وكانت تزور بعضهم وتؤانسه وتحادثـــه.

وقد كان سيدنا عمران بن الحصين ﷺ حاضراً فى مجلس مـــع رســـول الله ﷺ فقـــال ﷺ : { **يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ، قَالُوا: مَنْ هُمْ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ. وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَلاَ يَكْتَوُونَ. وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** }[٨٦]، وأصيب بعدها سيدنا عمران بالبواسير فأشار الأطباء أنه لا علاج له إلا الكى بالنار، وقد رفض ذلك لكي يدخل في حديث رسول الله الذى بشر فيه بدخول سبعين ألف الجنة بشروط من ضمنها أنـــهم لا يكتوون، فقـــالوا لسيدنا عمـــران أن النبى قـــال: { **الشِّفاءُ في ثلاثة: في شَرطةِ محجم، أو شَربةِ عَسَل، أو كيَّةٍ بنار. وأنهى أُمَّتي عن الكيّ** }[٨٧]

---

٨٥ مجمع الزوائد عن عبد الله بن عباس وفى رواية عمائم خضر.
٨٦ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ في صحيح البخارى ومسلم.
٨٧ عن ابن عباس ﷺ في (صحيح البخارى).

وكما ترون فإن الحبيب قد أشار إلى الدواء الذى نستخدمه الآن، فالدواء إما شئ نشربه يضعون به طعماً حلواً لكي نستسيغه مثل العسل، أو مشرط الطبيب أثناء العملية الجراحية، وآخر الدواء هو الكى بالنار وهو الآن الجلسات فمنها جلسات الليزر ومنها الجلسات الكهربائية وكلها كي بالنار!! فسبحان الله حتى أنواع العلاج التى فى عصرنا ذكرها رسول الله ﷺ .

وكذلك يكون العلاج الربانى والنوراني لمن أراد أن يكون من أهل الكشف الروحاني فإما أن يكون لعقة عسل أى كلمة حكمة عالية يلعقها من العارفين والحكماء الربانيين ويعمل بها فيشفى الفؤاد من مرض البعاد ويقرب إلى رب العباد، ويرى أنوار الله ﷻ فى كل ما ينظر إليه من العباد أو البلاد .

وإما أن يحتاج إلى شرطة محجم أى عملية جهادية للنفس فتدخل النفس فى جهاد شديد وهذا الجهاد الشديد كان الصالحون يعملون له عمليات كبرى تكاد تكون مستحيلة، فمنهم من كان يخرج حافى الأقدام ويجوب الفيافى والقفار حتى تتهذب النفس، ومنهم من كان يقوم الليل كله واقفاً إما فى صلاة وإما فى فكر وإما فى ذكر لله جل فى علاه، ومنهم من كان يحرم على نفسه ما أحله لها الله ويأخذها بالشدة فلا يعطيها الطعام إلا فتاتاً ولا الشراب إلا عندما تحتاج !!

فالنفس كما تعلمون تحتاج إلى الجهاد وإذا لم يجاهدها الإنسان فلن يستطيع أن يسيطر عليها، وهو جهاد يقول فيه ربَّ العالمين ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [٧٨ الحج] وجهاد النفس هنا أقوى من الجهاد فى الحرب ففي الحرب كرب ومنهم من تقطع يده أو قدمه أو من يصاب فى جسمه، لكن عندما رجع رسول الله من الحرب التي بها كل الكرب قال ﷺ: { قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ، مُجَاهَدَةِ الْعَبْدِ هَوَاهُ }[88] يعنى الحرب أسهل من جهاد النفس!

فكيف يكون جهاد النفس أكبر من جهاد الحرب ؟

لأن جهاد النفس يستلزم يقظة الإنسان الدائمة لهفوات النفس وشهوات النفس

---

٨٨ الدَّيلمي عن جابر ﷺ.

وحظوظ النفس! وذلك حتى لا يقع فى اللبس ولا يعطيها إلا ما أباحه له الدين وبالقدر الذى حدده الحكيم الأعظم سيدنا رسول الله ﷺ .

من إذاً الذى يحدد جرعة الدواء التي نأخذها ؟ الطبيب فمثلاً لو أنني مصاب بالكحة وكتب لى الطبيب دواء للكحة هل يجوز أن أشرب زجاجة الدواء مرة واحدة لكي اشفي ؟ لا بل إن الطبيب يقول ثلاث أو أربع مرات فى اليوم وهذه حكمة الطبيب الحكيم وقد قالوا أن الجوع مرض لأن الإنسان إذا جاع لا يستطيع أن يسيطر على أعصابه إذا اشتد به الجوع فمن الممكن أن يهلوس أو يخطئ فى التصرفات أو يفقد التوازن وهكذا، وهذا المرض له علاج وهو الطعام إذاً الطعام ليس شهوة ولكنه علاج لمرض الجوع – كيف يكون العلاج ؟ نسأل الحكيم الأعظم ﷺ كيف آخذ هذا الدواء يا سيد الحكماء وفيلسوف الرسل والأنبياء؟ قال:{ **بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ** } ما الحد الأكبر الذي لا أزيد عنه فى الدواء ؟ قال: { **فإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلْثٌ لِنَفَسِهِ** }[٨٩].

وانظر إلى حكمة الحكيم الأعظم ﷺ ومن يمشى على حكمة هذا الحكيم فإن حاله يستقيم وتمشى نفسه على الهدى القويم ويشع فى قلبه نور الله ﷻ فينظر بنور الله إلى كل شئ فى هذه الحياة أما من يخالف هذا الهدى فسيظل مثل المريض الذى لا يأخذ الدواء كما يريد الطبيب ولن يشفى بل سيزيد المرض منه ويتمكن .. قد يقول قائل لا أستطيع ؟ فهذه هى النفس التي يلزمها الجهاد!!

لأننا غير قادرين أن نسيرها على قول الحكيم وعلى نظام العزيز العليم إلا إذا أجبرناها وألزمناها بجهاد النفس .. الجهاد الأكبر، ولا بد أن يكون على منهج الحكيم الأعظم وهو المصطفى ﷺ ؛ بأن نأخذ حكمته فى أحاديثه ونطبقها فى حياتنا عملياً ومن طبق حديث الحبيب فإن قلبه يطيب وينظر بقلبه إلى النور المهيب فى عالم الملكوت وعنه الحبيب لا يغيب، لكن من يمشى على هواه ويعطى نفسه كل ما تتمناه فماذا يريد بعد ذلك؟ وقد قال لنا الصالحون :

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

٨٩ عن مِقْدَامِ بنِ مَعْدِ يكَرِبَ (سنن الترمذي)

والقائل هو سيدنا الأمام البوصيري ﷺ ، وقد جعل النفس أولاً قبل الشيطان وذلك لأن النفس إذا الإنسان زكاها فلن يكون للشيطان عليها سلطان، فالشيطان لا يستطيع أن يوسوس للإنسان إلا إذا كانت النفس هى التي تدخله وتهيئ له .. وبالمثال يتضح المقال – عندما يأتى اللصوص ويسطون على منزل ويسرقون كل ما فيه حتى الأشياء المخفية فماذا نقول فيهم ؟ نقول لا بد وأن هناك (دسيسة) أى أحد من أهل المنزل دلهم وإلا لما كانوا سرقوا المخفي، وكذلك الشيطان لا يستطيع أن يدخل إلى أى إنسان إلا إذا سولت له النفس!! فإذا سيطر الإنسان على نفسه ينطبق عليه قول ربه ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [٤٢ الحجر]

لأنه ليس له جواسيس بالداخل فالجاسوس الذى يدخل عن طريقه هو (النفس الأمارة) أما إذا تخلصت من النفس الأمارة! وأصبحت نفساً مطمئنة أو نفساً راضية أو نفساً مرضية أو نفساً زكية أو نفساً ملهمة!!! فمن أين يأتى الشيطان ؟ ولذلك فإن رب العزة ﷻ لكى لا نرمى كل شئ على الشيطان قال فيه ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [النساء] ، وعندما نستعيذ بالله منه لا يستطيع أن يفعل شيئاً! بل إنه عندما تجلس مع زوجتك فى ساعة صفاء أحياناً ما تقول لك من كلام يكون أكثر من وسوسة الشيطان ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [يوسف]

فقد تستعديك على أخيك وتقول لقد فعل كذا وكذا وبالتالي تقع فى أخيك بسببها ثم تقول بعد ذلك إنه الشيطان مع أن الشيطان من ذلك برئ ولقد كانت زوجتك أكثر من الشيطان ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[يوسف] والقائل هو الله ﷻ أما الشيطان فكيده ضعيف !!

متى يقوى كيد الشيطان؟ إذا ترك الإنسان نفسه على هواها ولم يجاهدها فى ذات الله ﷻ ، فهي التي تعين الشيطان على الإنسان وإذا جاهد الإنسان النفس ينتهى الشيطان وتلوح له الأنوار العالية، وتتنزل له الملائكة من العوالم الراقية، ويزورونه ويكلمونه مثل سيدنا عمران بن الحصين ... ونعود إلى قصته كما قلت فلما ألح عليه الأطباء أنه لا شفاء له من الداء إلا بالكى فاكتوى؛ فزاد المرض، فقال أخوه: يا أخي قد حيرتني كنت أظن أنك بعد الكى ستطيب! وإذا بك يزدد مرضك! قال: يا أخى

أتعرف ما الذى زاد من مرضى؟ قال: لا، قال: كانت الملائكة تأتى لزيارتى وتلقى السلام علىَ فلما إكتويت امتنعت الملائكة عن زيارتى فذاك الذى أمرضني، وقد عادت إليه الملائكة قد بعد فترة وسلمت عليه، وما كان قد أحزنه كثيراً أن الملائكة تخلوا عنه فى فترة الاكتواء وهجروه لمخالفة الحديث الذى سمعه من رسول الله ولذلك قال الله فيه ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ [٥٤ النور].

من يطع رسول الله يهتدى فوراً بنور الله إلى كل شئ ... نسأل الله ﷻ أن يعيننا على أنفسنا وأن يقوى عزائمنا ويجعل إرادتنا فيه لا تحد ولا تعد ويبلغنا أقصى أمانينا وأن يكشف لنا الحجب حتى نرى وجه نبينا ونتمتع بأنواره ونغترف من كنوز أسراره ويكون معنا ليل نهار لا يتخلى عنا بنفحاته ولا إمداداته ما دمنا فى هذه الدار، ويحشرنا تحت لوائه يوم القيامة مع عباد الله الأخيار ويرزقنا جواره فى الجنة مع الأطهار، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس السابع عشر

إكـــرام الله وفضـــله على الأمة المحمدية[٩٠]

تعليقاً علي قراءة القارئ لقول الله ﷻ

﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحديد] إلى آخره.

٩٠ الأحد ١٩ محرم ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨/١/٢٧ م درس بعد صلاة العشاء بـديوان أبو العدب بطفنيس

الحمد لله الذي علمنا فى كتـــابه كل ما نحتاجه فى هذه الحياة، وكل الوســـائل التى نـــنال بها السعادة يـــوم لقـــاء الله، ولم يترك لنا أمراً من هذه الأمور صـــغيراً أو كبيراً إلا وبينه ووضحه بأجلى بيان وأكمل تبيان فى البيان الذى أنزلــه لنـــا وجعلــه رحمـــة وهـــدىً وشـــفاء لنـــا وللعالمين أجمعين.

والصلاة والسلام على من أختاره الله ﷻ وعاءً لتنزل القـــرآن فجعل قلبـــه محلاً لتنزل القرآن ولسانه يتلو ويبين معاني القرآن وأعضاؤه كلـــها تتـــرجم عمليـــاً سلوكيات المؤمن التي أمر بها الرحمـــن فى القرآن ... فكان قـــرآناً يتحرك بين الناس سيدنا محمد مصدر الرحمات .. وسر كل الإلهامات و الاشراقات التي تجلـــت علـــى الصالحين والصالحات من بعثته إلى يوم الميقات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين .... تلـــي الله ﷻ بذاتـــه وهـــــو اللطيف عـــلى لسان عبده عبد اللطيف رسائل لنا تبين لنا إكرام الله ﷻ لهذه الأمـــة وفضل الله ﷻ على أهل هذه الملة والرسائل التي لدينا اليوم هى أربع رسائل:

– رسالة المضاعفة يبين الله لنا فيها كيف يأخذ أعمالنـــا الـــضعيفة ويقويهـــا وينميها حـــتى تـــصير أضـــعافاً مـــضاعفة وهـــى فى قـــول الله ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ ﴾ [١٨ الحديد]، ثم يبين الله ﷻ فى رسالة ثانية درجات المؤمنين عنده والمقامات التي يتفضل بها عليهم وهـــى فى قـــول الله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ ﴾ [١٩ الحديد].

ثم كشف الله ﷻ لنا حقيقة الدنيا حتى لا نتحير فى أمرها ولا نـــشغل بمعرفـــة شئونها فقد بين الله لنا أمرها تفصيلياً وكان المعلم هو العليم وقال لنا فى كلامه القديم: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ [٢ الحديد] وجاء بأنمـــا ليحصرها فى هذه الأوصاف: ﴿ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ﴾ [٢ الحديد]

خمس أوصاف ... من كان فى واحد منها كان فى الدنيا، ومن كـــان فى غـــير الخمسة فهو ليس فى الدنيا!! وإنما فى شئ آخر يحتاج إلى بيان يبينه المبينون بما يلـــهمهم

الرحمن ﷻ، ثم يبين الله ﷻ فى الرسالة الرابعة والأخيرة كيف ننال الجنات وكيف ننال المغفرة التي هى تذكرة دخول الجنة ونيل العفو فى الآخرة.

وفى الحقيقة فإن الأربع رسائل لكل واحدة خصوصيتها ولها استقلالها وسنتكلم اليوم عن الرسالة الأولى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ ﴾ [١٨ الحديد].

ومن بلاغة القرآن أنه لم يقل { إن المتصدقين والمتصدقات } ، وهـــذا إعجـــاز فكل لفـــظ من القرآن فيه إيجاز فهو إعجـــاز لأنه بيـــان لا يستطيع البشـــر جميعـــاً ولـــو اجتمعـــوا أن يأتوا بحرف منه! لأنه كلام الرحمن ﷻ، وسيدنا رســـول الله ﷺ هـــو بيان القرآن لأن كل ما عجزت عن فهمه فى القرآن عليك أن ترجع إلى المذكرة التفسيرية وهى سنة النبي العدنان فتجد فيها تفصيلاً وافياً وشافياً لبيان الرحمن ﷻ.

وقد فصل ﷺ هذا الموضوع تفصيلاً كبيراً، بل إن الله ﷻ أخذه بذاته ليطلعـــه على أعمال المؤمنين وكيفية مضاعفتها فى ملكوت رب العالمين ﷻ ، فالعمـــل الـــذي أعمله أنا وأنت سواء كان باللسان كالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير أو الـــصلاة على البشير النذير أو تلاوة آيات الكتاب المنير .. كـــل ذلـــك باللـــسان فليـــست الصدقات التي نخرجها بأيدينا وفقط! لكن كل ذلك يضاعـــف أضعافـــاً مضاعفـــة!!

فالعمل الذى تعمله بيدك وتضعه فى يد الفقير والمسكين ..كـــذلك يـــضاعف أضعافاً مضاعفة!! وأي عمـــل تعمله لله طالباً رضاه فـــإن الله ﷻ يـــضاعفه أضـــعافاً مضاعفة!! فمثلاً يأتى للصدقة التي نعطيها باليد والتي قال حضرة النبي لأصحابه فيها: { اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِ تَمْرَةٍ }[91] وإيـــاك أن تستصغر نصف التمرة!!.

فالسيدة عائشة ﵂ وكانت حكيمة لأنها تربت فى بيت النبوة .. وأوتيت مـــن حكمة النبوة.. جاءها ضيف راكباً على فرسه وتفرست فيـــه أنـــه مـــن الأغنيـــاء والوجهاء؛ فأدخلته وقدمت له الطعام وأكرمته، وفى مرة جاء سائل فقير وكان فى يدها قطف من العنب فأخذت منه حبة واحدة وأعطتها له فقال من حولها أتعطينـــه حبـــة واحدة ؟ فقالت رضى الله عنها: إن فى هذه الحبة مثاقيل كثيرة من البر لـــو تعلمـــون

---

٩١ صحيح البخارى عن عدى بن حاتم.

﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا ﴾ وفقط! لا .. بل ﴿ وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ ﴾ [النساء]

وهو هنا لا يضاعفها وحسب! بل إنه يصرف من عنده مكافآت سخية ومنحاً وفية تليق بحضرة الكرم الإلهي، لأن الكريم يعطى على قدره وليس على قدرنا ، فمن يعطى حتى شق تمرة ويستصغرها سيأتي يوم القيامة ويجد هذه الصدقة الصغيرة كجبل أحد من الحسنات .. فيقول يا رب من أين لى هذا ؟ فيقول رب العزة هذه صدقتك التي تصدقت بها فى يوم كذا أخذناها وربيناها لك فصارت هكذا (فالشئ الذى تعطيه لله فإنه يأخذها وينميه... فكم يعطى ؟

من يضع منكم الآن مبلغاً فى البنك فأنه لا يأخذ أكثر من عشرة فى المائة، لكن رب العزة يبدأ من سبعمائة فى المائة ويضاعف بعد ذلك لمن يشاء فأي صدقة عندما تعطيها للفقير؟ يقول البشير النذير ﷺ { مَا مَدَّ عَبْدٌ يَدَهُ بِصَدَقَةٍ إِلاَّ أُلْقِيَتْ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ السَّائِلِ }[٩٢].

فيأخذ الله ﷻ معناها ويترك للفقير مبناها لأن أى عمل نعمله فوراً يترجم إلى معنى فأنا وأنت مثلاً نصلى فبمجرد أن تنتهي من الصلاة تخرج من صلاتك صورة روحانية تتحرك وتتكلم وتظل هكذا إلى أن تصل أبواب السماء ... فإذا كانت هذه الصلاة فيها صفاء وإخلاص ... تفتح لها أبواب السماء فتلتفت لك وتشكرك وتقول {حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي}[٩٣].

وإذا كانت هذه الصلاة مملوءة بالمشاغل والمشاكل .. ويقف صاحبها أمام الله بالجسم والقلب مشغول! والعقل يفكر هنا وهناك! كذلك تخرج منها صورة لكنها سوداء مظلمة!! وعندما تكون على أبواب السماء تغلق أمامها أبواب السماء وتأخذها الملائكة وتلفها وتلقيها فى وجهك فتقول لك:{ ضَيَّعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي}.

إذاً العمل الذى تعمله يصنع منه رب البرية صورة روحانية تصعد هذه الصورة، وإذا كان العمل فيه إخلاص وذلك لأن الإخلاص هو روح العمل .. تفتح له أبواب

٩٢ (طس) والخرائطي في مكارم الأخلاق عن أم سلمة عن أبي مُوسىٰ ﷺ.
٩٣ (عق طب) عن عبادة بن الصامت ﷺ.

السماء إلى أن يصل إلى العرش ويظل يطوف حوله يذكر بصاحبه إلى يوم القيامة.

الصدقة كذلك يأخذ الله معناها وقد جعل الله مزارع وأودية فى الجنة وأماكن نورانية فى الجنة يضاعف فيها أعمال المؤمنين والمؤمنات، ولذلك فإن حضرة النبي ﷺ عندما ذهب فى ليلة الإسراء والمعراج أخذوه ليطلعوه على مزارع المؤمنين الصادقين: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ ﴾ [الشورى]

والحرث هو الزراعة – فوجد ﷺ حقولاً وزراعات تحصدها الملائكة وبمجرد أن ينتهوا من الحصاد يجدون أن الزرع عاد كما كان !! فهل هناك حقل هنا فى الدنيا عندما نحصده يعود الزرع كما كان فى لحظة؟ أبدا .. بل إنه يحتاج إلى شهور لنسمده ونزرعه ونرويه ... لكن الآخر فى الحال كما قال الحديث:

{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ أَتَى عَلَى قَوْمٍ يَزْرَعُونَ فِي يَوْمٍ، وَيَحْصُدُونَ فِي يَوْمٍ كُلَّمَا حَصَدُوا عَادَ كَمَا كَانَ، فَقَالَ: يَا جِبْرَائِيلُ مَنْ هؤُلاَءِ؟، قَالَ: هؤُلاَءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ }[٩٤].

ومن الذى يحصد؟

الملائكة لأن البشر لا يستطيعون ذلك ولا الآلات التي صنعها البشر تستطيع ذلك لأن الزراعة هى زراعة ربِّ العالمين فهناك شجرة من أشجار الجنة تسمى شجرة (طوبى) يقول فيها رسول الله ﷺ .

{ فِيهَا شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى هِيَ تُطَابِقُ الْفِرْدَوْسَ، فَقَالَ: أَيُّ شَجَرِ أَرْضِنَا تُشْبِهُ؟ قَالَ: لَيْسَ تُشْبِهُ شَيْئاً مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ وَلكِنْ أَتَيْتَ الشَّامَ؟ قَالَ: لاَ يَا رَسُولَ اللّهِ. قَالَ: فَإِنَّهَا تُشْبِهُ شَجَرَةً بَالشَّامِ تُدْعَى الْجَوْزَةَ تَنْبُتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَنْتَشِرُ أَعْلاَهَا، قَالَ: فَمَا عِظَمُ أَهْلِهَا؟ قَالَ: لَو ارْتَحَلَتْ جَذَعَةٌ مِنْ إِبِلِ أَهْلِكَ لَمَا قَطَعَتْهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْقُوتُهَا هَرَماً، قَالَ: فِيهَا عِنَبٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا عِظَمُ الْعُنْقُودِ مِنْهَا؟ قَالَ: مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الأَبْقَعِ لاَ يَقَعُ وَلاَ يَنْثَنِي وَلاَ يَفْتُرُ، قَالَ: فَمَا

٩٤ رواه البزار.

عِظَمُ الحَبَّةِ مِنْهُ؟ قَالَ: هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَيْساً مِنْ غَنَمِهِ عَظِيماً، فَسَلَخَ إِهَابَهُ، فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ، فَقَالَ: ادْبُغِي هذَا، ثُمَّ افْرِي لَنَا مِنْهُ ذَنُوباً يُرْوِي مَاشِيَتَنَا؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ تُشْبِعُنِي وَأَهْلَ بَيْتِي، فَقَالَ النَّبِيُّ: وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ }[95]

إذاً فهـــو شجر غـــير أشجارنا فى الدنيا فأين الآلات التي تتعامل مع ذلك وما حجم هذه الشجرة ؟ وما حجم ثمـــارها فمن الذى يستطيع أن يحسب ؟

لا يوجـــد إلا سريع الحساب ﷻ.

هذه الشجرة أيـــن المشاتل التى تربيها وأيـــن بذورها ؟ مـــن هنا فى الدنيـــا قـــال ﷺ { غِرَاسَ الجنة سُبْحَانَ الله والْحَمْدُ لله وَلاَ إلهَ إلاّ الله وَالله أَكْبَرُ }[96]

كل مرة أو كل تسبيحة بنخلة – فإذا قالهـــا عـــلى الدوام فكم تكون حقوله وأشجاره ؟ هذه النخلة متى تؤتى ثمارها ؟ نخلنا هنا فى الدنيا يثمر بعد ثمان سنوات أما هذه النخلة فتثمر فى الحال وكلما جمع الملائكة ثمارها يخرج الثمر مرة أخرى فى الحال أين يذهب كل هذا الثمر ؟ يوضع فى رصيد حسناتك عند الله ﷻ .. فى البنك الـــذى يقـــول فيـــه الله ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [٩٦ النحل] ..

بـــنك البقاء هناك .. لتجد نفسك عندما تذهب إلى هناك أنك مـــن الأغنيـــاء ومن الوجهاء بأعمال يسيره لكن رب العزة يعظمها ويضاعفها لتكون أعمالاً كـــبيرة لأنه يحب المؤمنين ويحب التوابين ويحب المتطهرين.

فعندما تضع الصدقة فى يد الفقير فإنه مبناها وشكلها الذى تراه يقـــع فى يـــد الفقير! والمعنى الذى لا تراه يأخذه الله بيده التي تنزهت عن التفكير وعن الخيال وعن التصوير يأخذه بيده العلى القديرﷻ :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى]، ليس له مثلية بل هو واحد أحد فرد صمد لا فى شئ ولا منه شئ ولا على شئ ولا مفتقراً إلى شئ ولا محمولاً على شئ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

---

٩٥ رواه الطبراني في الكبير والأوسط عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ ﷺ
٩٦ عَن ابنِ مَسْعُودٍ (سنن الترمذي)

فيأخذ المعانى الروحانية الموجودة فى الصدقة التي لا تراها ويربيهـــا، وينميهـــا، ولذلك كانت السيدة عائشة والسيدة فاطمة النبوية بنت رسول الله ﷺ تعرفن هـــذه الحقيقة فكانت الواحدة منهن عندما تخرج صدقة من مال؛ تشترى عطرا أولاً وتعطره قبل أن تعطيه للفقير فسئلتا: لماذا؟ قـــالتا لأننـــا سمعنا الرسول ﷺ يقـــول: { مَا مَدَّ عَبْدٌ يَدَهُ بِصَدَقَةً إِلاَّ أُلْقِيَتْ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ السَّائِلِ }[97]، والذى يقع فى يد الله يجب أن يكون طيباً :{ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً }[98].

﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحديد]

وانظروا إلى أصحاب حضرة النبي ﷺ ورضوان الله ﷻ عليهم وصفائهم عندما نزلت آية { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا، قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ: يَا رَسُولَ اللهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي، حَائِطًا فِيهِ سِتُّ مِائَةِ نَخْلَةٍ، ثُمَّ جَاءَ يَمْشِي حَتَّى أَتَى الْحَائِطَ وَفِيهِ أُمُّ الدَّحْدَاحِ فِي عِيَالِهَا فَنَادَاهَا: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، قَالَتْ: لَبَّيْكَ، قَالَ: اخْرُجِي، فَإِنِّي أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطًا فِيهِ سِتُّ مِائَةِ نَخْلَةٍ.}[99] فقالـــت فى رواية: {ربح البيع}، فله عددها ولكنها ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [٢٥ إبراهيم]، فكانوا ﷺ يسارعون فى الخيرات وفى الأعمال الصالحات لأهم عرفوا أها الباقيات الصالحات، ولذا لما توفى أبو الدحداح وصلى عليه رسول الله ﷺ مشى بـــين أصحابه يقول: { كَمْ مِنْ عِذْقٍ لأبِي الدَّحْدَاحِ مُعَلَّقٍ فِي الجَنَّةِ }[100].

{ وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ: مَا بَقِيَ مِنْهَا؟، قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا. قَالَ: بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا }[101]، ومعنـــاه أهـــم تصدقوا بها إلا كتفها.

---

٩٧ (طس) والخرائطي في مكارم الأخلاق عن أم سلمة عن أبي موسى ﵁.
٩٨ رواه مسلم عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه.
٩٩ عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود ، مسند البزار
١٠٠ صحيح ابن حبان عَنْ جابر بن سمرة
١٠١ رواه الترمذي عن عائشة ، وقال: حديث حسن صحيح

وهناك ملاحظة أخري من يقرض من أين يأتى بقرضه؟ من :

﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [٧ الحديد] ، ومرة ثانية يقول:

﴿ مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [٣٣ النور]

فما لنا فى هذه الدنيا ؟

ينزل الإنسان إلى الدنيا ولا يملك ما يستر عورته لأنه ينزل من بطن الأم عرياناً، وعندما نودعه نشيعه كذلك عرياناً، لكن لأن الله أمر بتكريم الإنسان نضعه فى كفن، لكن هل يجوز أن نضع معه مثلاً مائة جنيهاً فأين ينفقها ؟ أو نضع قطعة ذهب أين ينفقها؟ ... فلن ينفعنا هناك إلا الباقيات الصالحات التى ادخرناها فى بنوك الله ﷻ:

﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[١٩٧ البقرة]...

لن ينفع هناك إلا تقوى الله والعمل الصالح فإذا كان عندي رصيد فى البنك فماذا أخذ منه عند رحيلي؟ وإذا كنت أملك مئات الأفدنه من الأرض فكم فدان أو قيراط أخذها عند رحيلي ؟ لا شئ فإنه متر فى مترين أدفن فيه وانتهى الأمر!!

وصاحب الوجاهة منا يكون فى التراب، وصاحب السلطان بملابسه وهندامه لن يجد فراشاً إلا التراب! ولا من الثياب إلا الكفن الذى أباحه الكريم الوهاب فى شرع النبى الأواب ... فلا يجوز حتى فى الكفن التباهي...

فعندما يعرف المؤمن هذه الحقيقة تهون عليه الدنيا! فلماذا نضعها فى قلوبنا؟ يجب علينا أن نتزعها من قلوبنا ونضعها فى أيدينا ونبحث فى تحويلها إلى حسنات وقربات وصالحات تنفعنا يوم لقاء الله ﷻ بعد الممات.

كذلك فإن كل تسبيحه تسبحها يقول فيها النبي فى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذي وأبو داود: { **إِنَّ مَا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلاَلِ اللَّهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِي النَّحْلِ يُذْكِرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ، أَفَلاَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لاَ يَزَالَ لَهُ عِنْدَ الرَّحْمنِ شَيْءٌ يُذْكَرُ بِهِ** }

وكما قلنا فى البند الأول إن سبحان الله وبحمده تغرس لك شجرة فى الجنة،

وثمارها فورية تجنيها الملائكة الكرام ويحولنها إلى رصيدك، ويقدمون لك التحية والتبجيل والتعظيم والاحترام، والآخرى تذهب حول العرش وهى نفس التسبيحه وتظل تقول سبحان الله كما قلتها وتكرر ذلك إلى يوم القيامة وكل ذك يوضع فى الرصيد فلن يستطع أحد منكم حساب أجر التسبيحة الواحدة إن كانت حول العرش! أو فى الجنة ! لا يستطيع أحد !!!

وهذا ما جعل سيدنا سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام عندما كان راكباً على البساط – وهذا البساط عبارة عن سجادة مثل سجادة الصلاة لكن من بسط الله ﷻ له فى العطاء كانت هذه السجادة تتسع لكل من يجلس عليها– وفى يوم جلس عليها خمسمائة ألف من الجن ومثلهم من الأنس غير الوزراء والأمراء والطيور والحيوانات التي كانت مسخرة له بإذن بارئ الأرض والسماوات ﷻ فيأمر الريح فترفعه وتطير به فى السماء!!!

فهل منا من يركب طائرة وبابها أو شباكها مفتوح؟ .. نموت فوراً من شدة الهواء لكن بتسخير الله له كان يجعل ما حوله من هواء هواء رخي مثل نسيم الصيف ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) ﴾ [ص].

فكان البساط قريباً من الأرض لكى يراهم الناس ويعرفوا فضل الله على أنبياء الله ورسل الله، فرآه رجل فقير يعمل فى أرضه فقال ما أعظم ما أوتى سليمان بن داود! فنقلت الريح صوت الرجل الفلاح إلى مسامع سليمان، فأمر الريح أن تهبط بالبساط، فسأل الرجل ليسمع من حوله ويعتبروا ولا يغتروا بما هم فيه، لأنه فى نفسه لم يكن عنده اغترار لأنه نبى والنبى يعلم حقيقة نفسه جيداً . ماذا قلت ؟ قال: قلت ما أعظم ما أوتى سليمان بن داود، فقال وعزة ربى لتسبيحه واحدة فى صحيفة مؤمن خير وأعظم عند الله مما أوتى سليمان بن داود.

﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) ﴾ [الكهف]

فكان عندما ينزلون من على البساط يعود البساط كما كان، وكذلك كل معجزات الأنبياء أعطاها الله للأولياء من أمة سيد الأنبياء ﷺ فليس هناك معجزة

أعطاها الله لنبي إلا وتفضل بها على ولى من أمة محمد ﷺ وقد أعطاها الله لسيدي أحمد البدوى ﷺ وأرضاه؛ فقد كان يملك فروة يفرشها تحته وكلما جاء المريدون تتسع حتى تسعهم جميعاً فإذا قاموا رجعت إلى حالتها .. ومن هنا قيل خلى البساط أحمدى، فإذا كان القلب واسعاً فعطاء الدنيا يكفى الكل .. ويفيض! لكن لو كان القلب ضيقاً وعطاء الدنيا كله عند الإنسان .. فلن يكفى واحداً من بنى الإنسان.

إذاً التسبيحة الواحدة يا أحباب الله ورسوله هذا هو فضلها الذى استطعنا أن نبينه وما لا نستطيع أن نبينه أعلى وأكرم وأعظم من فضل الله ﷻ .

وانظر إلى إكرام الله للمؤمنين عندما ينتقل واحد منا إلي الدار الآخرة، فنحن معنا حفظه وأقل المؤمنين معه عشرون من الحفظة منهم الكرام الكاتبين وهم ورديات وردية من الفجر إلى العصر، ووردية من العصر للعشاء، ووردية من العشاء إلى الفجر، وهناك ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [١١ الرعد]، فكل واحد فينا هناك:

- حفظه يمشون أمامه!
- وحفظه يمشون من خلفه يحفظونه!
- وهناك حفظه أثناء النوم يحفظونه، فالإنسان ينام ولا يدرى فلا تستطيع أى حشرة من الحشرات الضارة أو السامة أن تؤذى الإنسان عند نومه فى عينه أو أذنه أو تدخل فى فمه إلى جوفه، وذلك لأن الحفظة موجودون ... فكل هذه الفتحات يحفظونها بأمر الله ﷻ .

هؤلاء الحفظة والكتبة .. بعد آن ينتهوا من المهمة وينتقل الإنسان إلى الدار الآخرة يصعدون إلى الله ﷻ كما ذكر سيدنا رسول الله فى حديثه عن الملكين الموكلين بكتابة الأعمال وقلنا أنهم ليسا إثنان بل ورديات تتعاقب وتتناوب العمل ، قال ﷺ:

{ إِنّ اللّهَ تَعَالى وَكّلَ بِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ مَلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ، فَإِذَا مَاتَ قَالَ المَلَكَانِ اللّذَانِ وُكلاَ بِهِ: قَدْ مَاتَ فَأْذَنْ لَنَا أَنْ نَصْعَدَ إِلى السّمَاءِ

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزّ وَجَلّ: سَمَائِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ مَلاَئِكَتِي يُسَبحُونِي فَيَقُولاَنِ: أَفَنُقِيمُ فِي الأَرْضِ ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ: أَرْضِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ خَلْقِي يُسَبحُونِي، فَيَقُولاَنِ: فَأَيْنَ؟ فَيَقُولُ: قُومَا عَلى قَبْرِ عَبْدِي فَسَبحَانِي وَاحْمِدَانِي وَكَبرَانِي وَهَللاَنِي وَاكْتُبَا ذلِكَ لِعَبْدِي إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }[١٠٢]

فأنا وأنت لو سبحنا من الجائز أن تكون التسبيحة بها مشاغل فى الخواطر، أما هؤلاء ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم] .. فيظلون يعملون للإنسان إلى يوم القيامة.

هذا إذا الإنسان مات مع أهله وولده، أما إذا مات وهو ذاهب إلى الحج أو أثناء مناسك الحج .. فإن الله يجند له واحداً من ملائكته الراقين ويجعله كل عام يذهب فى صورته وفى شكله وفى هيئته يحج عنه ويعتمر عنه ويوضع ذلك كله فى رصيده إلى يوم القيامة قال ﷺ:

{ مَنْ خَرَجَ حَاجّاً فَمَاتَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْحَاجّ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ مُعْتَمِراً فَمَاتَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْمُعْتَمِرِ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ غَازِياً فَمَاتَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْغَازِي إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }[١٠٣].

إذاً فحياة المؤمنين كلها امتداد إلى يوم القيامة.

مثلها كذلك إذا كنت أصلي وأحافظ على الصلاة وعلى طاعة الله – فهي ذكر – إنَّ مَا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلاَلِ اللهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ – وجاء الموت وهو شئ خارج إرادتي لأن الله لو أطال عمري فسأظل أصلي إلى يوم القيامة، ولذلك فإن المحافظ على الصلاة يخرج له فى كل وقت من أوقات الصلاة، صلاة مقبولة عند الله إلى يوم القيامة، وكذلك من يحافظ على صيام رمضان، إلى أن يلقى الرحمن يخرج الله ﷻ له كل عام صيام رمضان ويوضع فى حسناته إلى يوم القيامة.

---

١٠٢ المروزي في الْجَنَائز، وأَبُو بكر الشَّافعي في الْغَلاَنِيَات وأبو الشَّيخ في الْعَظَمَة، هب، والدَّيلمي عن أنس بن مالك.
١٠٣ رواه أبو يَعلى من رواية محمد بن إسحَاقَ، وبقية رواته ثقات، وفى الترغيب وَالترهيب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

وهكذا كل الأعمال الصالحة .. وكل الباقيات الصالحات .. ما دام الإنسان يحافظ عليها إلى الممات ولذلك فإن حضرة النبي حثنا وقال لنا: { **أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى الله تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ** }[١٠٤]

المهم المداومة!! المداومة !! المداومة ... وضع تحتها مائة خط!!!

فلا تأتى فى رمضان وتقرأ القرآن خمس مرات!! وفى غير رمضان تهجره!

لأنه سيشتكيك يوم القيامة إلى الله ﷻ ... ولكن عليك أن تقرأ كل يوم بعض الآيات .. مهما كان إنشغالك الدنيوى !!! !! وتحافظ على ذلك إلى الممات ..

فيصعد لك هذا العمل الصالح إلى يوم الميقات.

وهذا إكرام الله ﷻ لعباده المؤمنين فى قوله عزَّ شأنه:

﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحديد]

يضاعف لهم هذا شئ ... ولهم أجر كريم شئ أخر ...

وهى مكافآت أخرى سخيَّة وفيَّة من الذات العلية.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده المتصدقين ... ومن عباده الذاكرين الشاكرين الفاكرين الحاضرين .... وأن يديم علينا فضله ونعمه إلى يوم الدين ....

وأن يجعلنا من المديمين للطاعات والقربات .... وأن يتفضل علينا ﷻ فيختم لنا بخير ختام عند الممات ... ويرزقنا فضله وبره وخيره وبركته يوم الميقات ......

ويزيد فى إكرامنا فيجعلنا تحت لواء سيد السادات .... ويرزقنا جواره فى الجنات .... ويجعلنا من الذين يتمتعون بالنظر إلى وجه الله تعالى فى جميع الحالات ....

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

١٠٤ رواه مسلم عن عائشة رضى الله عنها وعن أبيها.

المجلس الثامن عشر

البحث عن الغوث الفرد الجامع والتسليم[105]

شمس الهداية يا مريد جنابي   لك أشرقت وكتبت من أحبابي

هنا يكشف الإمام أبو العزائم ﷺ مقاماته ... لأن على العارف أن يبين أحواله وحالاته، وعلى الوارث أن يبين مقاماته ودرجاته وعطاءاته وهباته ... حتى أن سيدى أبو الحسن الشاذلى ﷺ كان عندما يسير فى موكبه ... كان يأمر منادياً يمشى أمامه وينادى يقول: من أرد قطب الوقت فعليه بالشيخ أبى الحسن .

من الجائز أن يأخذ البعض هذه الأمور بأنها مظهرية وظهور – لا – فاسمع إلى الله تعالى وهو يقول فى محكم التنزيل:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [٢٨٥ البقرة]

لا بد أولا أن يؤمن بالرسالة النازلة عليه وبعد ذلك "الْمُؤْمِنُونَ" ... ولا بد أن يعلن البلاغ من أجل أن يأتى طلاب هذه الأحوال العالية ليأخذوا بضاعتهم الغالية ودرجاتهم السامية التى جهزتها لهم الحضرة الإلهية.

فالأفراد الذين يدلون الخلق على رب العباد درجات:

- منهم هو على قدم نبى، منهم من هو على قدم رسول.
- منهم من معه أحوال، ومنهم من معه أعمال، ومنهم من معه أقوال.
- والوارث الفرد الغوث الجامع هو الذى جمع الله له كل هذه الخلال ... فكم تكون مشارب الرسل والأنبياء ؟

---

١٠٥ الأحد ١٩ محرم ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨/١/٢٧م درس بعد العشاء بديوان أبو العدب بطفنيس .

أخرج ابن حبان في صحيحه، والحاكم عن أبي ذر قال:

{ قلت يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفاً، قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير }

ولم ينتقل النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى حتى كان كل واحد من أصحابه على قدم نبى من أنبياء الله السابقين أو رســـول، وسيظل الحال عـــلى ذلك إلى يوم الدين ...

كل ولى على قدم صحابى! وكل صحابى على قدم نـــبى!.

إذاً فإن كل ولى على قدم نبى ... لكن من يمسك الزمام ! ومعه شراب الختام! فهو على قدم سيد الأنام ﷺ !!! معه القول .. ومعه العمل .. ومعه الحـــال .. ومعـــه النور .. ومعه الشهود ... ومعه كل أسرار سيد الوجود ﷺ ... فـــبين الإمـــــام أبو العزائم وقال ﷺ:

فمائة من الآلاف عشرون بعدها مشارب رســـل الله بالإجمـــال

فلى قد تجلت بى وفى قد انجلـــت فسلم لنا تحظى بخـــير وصـــال

لكن من الذى يسلم هنا ؟

من يريد الله صرفاً !! أما من يريد المنافع !! فسيبحث عن طريق به منـــافع .. لكن من يريد الله !! هو الذى يبحث عن الوارث الكامل الذى يأخذ بيده إلى الله!

وأنتم تعلمون أن العارفين السابقين كانوا يقطعون آلاف الأميـــال بحثـــاً عـــن العارف أو الوارث الفرد الجامع ... فسيدى أبو الحسن الشاذلى ﷺ لكى يعثر علـــى قطب الزمان مشى من تونس إلى مصر... يبحث عن القطب فلم يجده .. فـــذهب إلى بلاد الشام يبحث عن القطب فلم يجده فى بلاد العراق .. وقابـــــل رجـــــلاً مـــن الصـــالحين هـــو سيدى أبـــو الفتح الواسطى ﷺ ، فقـــال له جئت تبحث عـــــن القطب هـــنا والقـــطب عندك فى بلـــدك تونـــس.

وقد قطع الرجل كل هذه المسافات ماشياً!! فلم تكن هناك سيارة أو أتوبيس أو

طائرة ... فرجع مرة أخرى إلى تونـــس !!

وذهــب إلى سيدى عبد السلام ابن مشيش ﷺ ، فعندما رآه قــال: جئــت يأبــا الحسن! جئت يــا خليفة الزمان! أنت عليٌّ ابن عبد الجبار ابن كذا ابن كذا إلي أن أوصل نسبه إلى رسول الله ﷺ ...

وكان كل الصالحين على هذه الشاكلة.

لأن المؤمن إذا وصل إلى رجل الزمان فإن الله ﷻ يسوق له الفضل سوقاً، ولا يحتاج إلى تعب ولا عناء .. وإنما يأخذ الوارث بيده إلى حضرة الله .. فى أقل من لمــح البصر، ولذلك فإن الله قد قال لحبيبه:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [١٨٦ البقرة] ، إذا جــاءوا لــك وسألوك! سيجدونى قريباً ...

أما من يقول ليس هناك واسطه بينى وبين الله ... فأين تجده؟... فسيدنا موسى كليم الله بذاته، يسأل ربَّ العزة وهو الكليم: يا رب أين أجدك؟ وأسمعوا وعوا:

قال الله تعالى: { **تجدنى عند المنكسرة قلوبهم من أجلى** }[١٠٦]

فلا السموات تسعه ولا الأراضيين تسعه، ولكن اسمع الحديث الشريف:

{ **إِنَّ اللهَ فَتَحَ السَّموات لِحِزْقِيلَ حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْعَرْشِ فَقَالَ حِزْقِيلُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ يَا رَبّ. فَقَالَ اللهُ: إِنَّ السَّمواتِ والأَرْضَ ضَعُفْنَ عَنْ أَنْ يَسَعْنَني، وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ الوَادِعِ اللَّيِّنِ** }[١٠٧]

ولم يقل هنا عبادى!! لأنه عبد واحد ﷺ الذى يسع المعانى وتجليات و فيوضات و تنزلات حضرة الله ﷻ ... فرد غوث جامع.

فقوله تعالى لسيدنا موسى عليـــه الـــسلام أن { **تجدنى عند المنكسرة قلوبهم من أجلى** }... أى ابحث عن أهل هذا الإنكسار!!

---

١٠٦ فيض القدير.
١٠٧ وأخرج الإمام أحمد في (الزُهد) عن وهب بن منبّه

من هم ؟

- هم العبيد الذين حلاهم الحميد المجيد بأوصافه ..
- بعد أن تجملوا بأوصاف العبودية ... فخلع الله ﷻ عليهم أوصاف حضرته البهية ...
- فأصبحوا بالله لله يدعونه!!
- وعن الله ﷻ إذا تحدثوا ينطقون!!
- وإلى حضرات القرب من الله ﷻ يشيرون !!
- وليس لهم مقصد ولا مأرب من الدنيا ولا أهلها !! لأنهم لا يريدون إلا من يقول للشئ كن فيكون، فماذا يفعلون بالناس !!

هؤلاء هم الرجال الذين عنهم يبحث الرجال!!!!

لكى يكونوا معهم من كمل الرجال !!!

ولكى يحظى الإنسان بمواهبهم .... ويحظى بالفضل الذى خصهم به الله ذى العز والبهاء والجمال والجلال ...

فلا بد وأن يخلع كل ما يرى أنه يملكه .. ليس ما يملك من خشاش الدنيا .. ولكنى أقصد ما بذاته !! فإذا كان يرى أنه عنده قليل من العلم عليه أن يرميه !! ليدخل عليهم جاهلا ... لكى يعلّموه.

وإذا رأى أن عنده قليل من الحال .. عليه أن يلقيه خلف ظهره، لكى يجملونه بخير حال من الواحد المتعال ﷻ .

وإذا رأى أن له مجاهدات .... عليه أن يترك النظر إلى هذه المجاهدات ... ويأخذ منهم الأحوال العالية ، والعلوم الراقية، التى تسهل عليه المهمة ... وتبين له الباب الذى يدخل منه إلى الكريم الوهاب ﷻ

ولذلك عندما ذهب سيدى أبو الحسن لشيخه، قال له شيخه:

يا على – وكان فى أعلى الجبل– إنزل فإن فى أسفل الجبل عين ماء فأغتسل وارجع إلينا، فنزل واغتسل، ثم صعد، فقال له مرة أخرى انزل فأغتسل وارجع إلينا، فاغتسل ثم صعد، فقال له مرة ثالثة انزل فأغتسل وارجع إلينا ... قال فعلمت أنه يريد أن أغتسل من علمى الذى اكتسبته !!!!

فنزل وصعد مرة ثالثة! فقال: يا على خرجت من علمك ومن عملك وجئت إلينا وسنأتيك بغنى الدنيا والآخرة.

فطالما قد تخليت لا بد وأن يحلوك!

ومصيبة السالكين و آفة المريدين أنه يريد أن يتجمل بجمال رب العالمين! وهو متمسك بعاداته! ومتشبث بأخلاقه وطباعه! فكيف يكون ذلك ؟ هل يصح يا أحباب أن يبنى إنسان بيتا جديداً ... بدون أن يهدم البناء القديم ؟ لا يصح! فكيف يبنى إذا لم يهدم أولاً !!!

إذاً يلزم للسالك إذا أراد أقرب المسالك أن يتخلى لكى يتحلى ....

يتخلى عن أخلاقه وعن عاداته وعن طباعه وعن علومه ... ليتجمل بأخلاق الأصفياء وأحوال الأنقياء وعلوم الأتقياء .. فإذا جملوه فإنهم يكاشفوه! وذلك لأن ترتيب المراتب هكذا ... تَخَلّى ... ثم تَحَلّى ... ثم تَجَلّى ... ثم تَمَلّى.

يتحلى بعدما يتخلى، وبعد أن يتحلى، له ربه يتجلى، وبعد أن يحظى بالتجليات، له ربه ﷻ يكشف له عن حضرات جماله ... ويقول له تملى:

تملى بى وشاهدنى ... ومل عندى عن الغير
وأنبئ من يرد قربى ... بحسنى حيث لا يدرى

فلا يجوز أبداً أن أرتقى إلى مقام ... إلا بعد أن أتجاوز المقام الأول ... فماذا يريد الرجال من المريد ؟

يريدونه عبداً ! والعبد لا يرى له حالاً ولا قالاً .. ولا أمراً ... ولا ضراً ... ولا نفعاً ... مع سيده مولاه جلَّ فى علاه.

فإذا كان مازال له هوى ومراد ويريد كذا وكذا فلن يفلح! إذ لا بـد لـه أن يتخلى عن هذه الأغيار لكى يجمله العزيز الغفار ﷻ .

ولذلك لا بد أن يلبس السالك ثياب العبودية لكى يخلع عليه الحـق صـفاته البهية ... وقد بين الله هذا المقام للأنبياء والمرسلين ... ثم للصالحين والمتقين والعـارفين ولا يزال ينئ بذلك إلى يوم الدين، فقد رأى سـيدى أبو اليزيـد البسطامى ﷺ ربه ﷻ بالنور الذى قواه به الله والكيفية .... أية كيفية؟ اسمعوا :

لا بكم أو بكيـف ولكـن بـأنوار تعالـت معنويـة

فلا تسأل عن الكيفية فى هذه المقامات العلية ! فقال: يا رب بم يتقرب إليـك المتقربـون؟ قال بما ليس فىَّ، قال : ومـا الذى ليس فيـك يارب ؟

قال تعالى له: الـذل والجهـل والعجـز والانكسـار.

وهذه هى صفات الصالحين والأبرار التى يدخلون بها على العزيز الغفار ، والتى من أجلها يخلع عليهم صفات ذاته، فإذا دخل عليه ذليلا يعزه العزيز، وإذا دخل عليه جاهلاً يعلمه العليم، وإذا دخل عليه منكسراً يجبره كسره ويقيمه بواباً لحضرته ليدخل أهل القرب على ميادين أبده وعزته ..... بماذا يا أخوان؟

بأضداد الصفات أنـال قربى !!!!

وهذا الجمال لا أقـول لك تجمَّل به مع خلق الله، ولكنى أقـول تجمَّـل مـع الله ... فلا أقول لك تذلَّل لخلق الله – كلا – ولكن ولكـن إن أردت أن تـذلل ... فعليك أن تتذلل للصالحين من عباد الله ... كما أمر الله:

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [٥٤ المائدة]

وكان الصالحون يقولون:

تذلل لمن تهوى فليس الهـوى سـهل إذا صح منك الذل طاب لك الوصل

ففى الوقت الذى يطيب لك الذل لله ....

فقد وصلت إلى مقام القرب من حضرة الله جل فى علاه .

لكنك تلبس لباس الكبرياء! وهو لباس العظمة الإلهية .. فكيف يخلع عليك خلع الصالحين والأتقياء والمقربين ..!! لا يكون ذلك أبداً!!

فلا بد لك من أن تتخلى لكى تتحلى ... ولا بد أن تتحقق بأوصاف العبودية كلها فى ذاتك .. لكى يتجلى لك ربك، ولا بد أن تفنى بالكلية فى الحبيب الأعظم لكى ترى بعينه عندما ربك لك يتملى ... وذلك لأنه ليس لآحدنا عينٌ يرى بها ذلك، فهى عينٌ واحدةٌ فقط!! وهى عين رسول الله، قال الله:

﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [الصافات]

أى أعطهم عينك ليبصروا بها !!!

لكن متى؟ إذا صح الفناء فى حضرة حبيب الله ومصطفاه ﷺ ... والفناء هنا معناه ألا يكون للإنسان مرادٌ غير مراد رسول الله ... ولا هوى إلا هوى رسول الله .. ولا شهوة إلا فيما يحبه رسول الله .... ولا ميل إلا ما يميل إليه رسول الله ...

تخلص من ميله وشهواته وحظوظه....

وأصبح بكله ملكا لحبيب الله ومصطفاه ...

وكن عبداً لنا والعبد يرضى بما تقضى الموالى من مراد

فنحن يا أخوانى تضحك علينا نفوسنا ,... وتباعد بيننا وبين الله مسافات ... مع أنه ليس بيننا وبين الله مسافات!!!

فهى تجعل بيننا وبين الله حجباً وغطاءات لا تنكشف إلا ببيع النفس والكل لله ﷻ ... والإنسان منا يضحك على نفسه ... ويظن أنه على حالٍ سديد وأنه على منهج رشيد ...لكن الصالحين علمونا أن الواحد دائما يقيس نفسه بأهل الفضل ... ويزن أحواله بأحوال الصالحين والمقربين ... ودائما يقول لنفسه: أين أنا؟

فإذا كنت مازلت طوباً وطين !! فيلزمنى أن أرتمى على أعتاب الصالحين لكى

يحملوا الطين! ويشهدونه جمال رب العالمين!!

لكن أكون طوباً وطين ... وأجعل نفسى إماما من أئمة الصالحين !! وأريـــد أن يكون لى مريدين !! وأصبح رجلا من المرشدين !! وأريد مـــن يعظمـــنى !! ويقـــول إدعـــو لى !! بذلك أكـــون قد حجبت نفسى حجابـــاً عظيماً ليس له فكاك ... إلا إذا نبهنى الكريم الخلاق ﷻ .....

هذه الحجب حجب نفسية ونحن الذين نضع أنفسنا فيها.

فالناس الذين ساروا إلى الله، ولم تشغلهم الأهواء ،ولا زهرة الدنيا ولا الحظوظ فى هذه الحياة، ليس بينهم وبين الله حجاب.

فعندما جاء الأمين جبريل لسيدنا رسول الله ﷺ فى رحلة القـــرب والمناجـــاة بالبراق، فقال: ما هذا يا أخى يا جبريل؟ قال: هذا البراق سفينة العشاق!

قال: يأخى يا جبريل كيف يطيق مخلوق ضعيف مثل هذا أن يحمل مـــن يحمـــل أثقال معرفته التى عجزت السموات والأرض والجبال عن حملها ؟ يا أخى يا جبريـــل حبيبى لا تلحقه العبارات! ولا ترمز إليه الإشارات! ولا يوصل إليه بالخطوات!

ومن ظن أنه محجوب بالغطا فقد حرم العطاء!!

فمـــا بيـــنك وبيـــن الله هـــو أنـــت !!!

أنـــفِ أنـــا و أثبـــت أنـــا تلقـــــى المـــــسرة والهنـــــا
تـــــشهد جمـــــالاً ظـــــاهراً بالحـــــسن يـــــامن أمَّنـــــا

لكنك تريد أن تظل كما أنت !! ولا تريد أن تغير شيئا من أوصافك !! ومـــع ذلك تريد منهم أن يحملوك !! فهل تستطيع أن تأتى بورقة مكتوبة !! وتكتب على ما بها من كتابة ؟ لو فعلت ذلك فلن تستطيع أن تقرأ الأولى ولا الثانية!

إذاً لمن يكتبون ؟ لمن محى ما فى صدره من العلوم والرسوم!! ليكتبوا له علـــوم الحى القيوم !! ويصدر له قـــرار:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ [٢٢ المجادلة]

يكتب فى قلوبهم إذا محيت من القلوب كل العيوب !!!

لكن إذا كانت القلوب مملوءةً بالعيوب ومكتوباً فيها الشهوات والأهواء والحظوظ والملذات والمشاغل الفانيات !!! فكيف يكتب فيها رفيع الدرجات ﷻ ؟ لا بد من:

التحلى بالتخلى بعد محوى لمحلى واتصالى بانفصالى عن سوى مجدى وأصلى

وانظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ فقد كان الواحد منهم يأتى إلى رسول الله، كما يقول سيدي أبو الحسن عن تلميذه أبو العباس رضى الله عنهما عندما اختاره الله لخلافته ونال وراثته لما أراد أن يدخل على الشيخ يوماً فمنعه الخادم، فقال الشيخ:

كيف تسئ إلى أبى العباس! وهو أعلم بطرق السماء منك بطرق الإسكندرية!!.

والطرق هنا معناها أنها الطرق التى توصل المريدين إلى فضل الله ﷻ فى سماء القرب والعلو عند الله ﷻ !!! وقال: أبو العباس يأتيه البدوى يبول على نفسه – أى لا يعرف آداب الطهارة– فيمكث عنده ثلاثة أيام !فيخرج عالماً بالله ﷻ.

لكنه يأتى وعنده الاستعداد! ويرى نفسه فقيراً لا يملك شيئاً:

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ ﴾ [القصص]

إذاً فهم يريدون الفقير ... الذى يحتاج إلى كل شئ ممن يقول للشئ كُنْ فَيَكُونُ ... وقد تحلى سيدنا موسى بحلة الفقر بعد أن ذهب للعبد الصالح ... فكان يسأل الله فى كل شئ ... فإذا أراد أن يأكل، يقول: أريد أن آكل يا رب ؟ ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ ﴾ [٢٤ القصص]، وإذا أراد مشهد عاليا يقول ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [الأعراف].

فكان يسأل الله من أول رغيف العيش! حتى النظر إلى وجه الله مفترشاً بساط الفقر!! طالباً هذه الأشياء من الله!!

حتى أنــه كان عندمـــا يقضى حاجتـــه كان يـــسأل الله وذلــك لأنـــه علمـــه ذلك كما ورد بالأثر:

{ أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام يا موسى سلني حتى ملح قدرك وشراك نعلك }[١٠٨]

فلو انقطع نعلك وأنت فى الطريق وأردت أن تصلحه عند الإسكافى ..عليــك أن تقـــول: يا رب أولا ... وإلا إن ذهبت فـــلن تجـــد الإســـكافى .. وهـــذه هـــى القلوب المعلقة بالله جل فى علاه .

{ يا موسى سلني عن ملح قدرك وعلف شاتك }[١٠٩].- وفى روايـــة: **{ قال موسى يارب إنه لتعرض لى الحاجة من الدنيا فاستحى أن أسألك، قال: سلنى حتى ملح عجينك وعلف حمارك} ...**

حتى فى ملح طعامـــك! وقـــد تقول معى النقود! والدكان مفتـــــوح! لكـــن على أن أقـــول يا رب ! ...وإلا إن ذهبت لوجدت الملح نفـــد! وهكذا فى كل شئ، وهذا هو معنى الحديث: { **إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله** }[١١٠]، والمعنى هو أن تسأل الله قبل أن تسأل خلق الله ، فقال موسي :يا رب إن هناك حاجة أستحى أن أسالك عليها أى عندما أقضى حاجتى، فقال الله لموسى **{ وهل تقضيها إلا بإذنى }** وهكذا.

فمن يريد أن يدخل فى رحاب المتقين ... ويكرمه الله بمواهـــب الـــصالحين ... عليه أن يذهب إليهم فقيرا لكى يغنوه من فضل العلى الكبير! ... ودائما يرى نفـــسه فقيرا على أعتاب العلى الكبير !! يسأل منه كل شئ قليلاً أو كثيراً... وإياه أن يـــرى نفسه كبيراً على أصغر صغير من عباد الله المسلمين .. لماذا؟ ... لأنه ذنب كبير وجرم خطير قد يعاقبه الله ﷻ عليه فوراً ... فيحرمه من علىِّ المقامات !ومن كبير الدرجات! وذلك لأنه يتعالى على مسلم أو يرى نفسه أفضل من مؤمن.

وقد كان من وصـــايا حضرة النبى ﷺ للصديق الصفى الذى هـــو أعـــــلى

---

١٠٨ تفسير الألوسى.
١٠٩ تفسير الرازى ، والرواية الثانية بجامع العلوم والحكم للحافظ بن رجب.
١١٠ عن ابنِ عَبَّاسٍ (سنن الترمذي).

رتبــة فى المقــام بــعد حضرة النبى:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ ، وَلاَ تَحْقِرَنّ أَحَداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنّ صَغِيرَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ اللّهِ كَبِيرٌ } [111]

فإياك أن تصغر أحداً من المسلمين لأن لله اسراراً فى قلوب وصدور الــصالحين والأبرار لا يعلمها إلا الواحد القهار ﷻ ... ومن تستصغره لشــكله أو هيئتــــه !! ربما يكون له سرٌ فى قلبه وفى صدره يحرك الكون كله بإذن ربه ﷻ.

فقد ذهب واحد من الصالحين لشيخه وقال: أريد أن أعرف قطــب الوقــت؟ فقال شيخه: اذهب عند بوابة المتولى وامكث عندها من الصباح إلى المــساء- وكـــان للقاهرة فى وقتها بوابات تفتح من الصباح إلى المساء وبعدها تغلق ولا يدخل أحــدٌ – ثــم تأتينى بعد غروب الشمس، وعندما ذهب لشيخه فى المساء، سأله: ما الذى رأيته اليوم ولفــت انتباهك؟ قال لم يلفت إنتباهى إلا واحداً من الأمراء كان داخلا بفرسه وفى نفس الوقت كان هناك رجلٌ فقيرٌ يدخل بحمارته عليها حمل حشائش، فلم يسعهم الباب؛ فأخذت الأمير العزة بالنفس وأمسك الفقير وجلد به الأرض!!! فقال الشيـخ:

إن هذا الفقير الذى رأيته قطب الوقت، فلكى يكون قطب الوقت ... لو آذاه واحد لا يدعو عليه فوراً، وذلك لأنه على نهج سيدنا رســول الله ، وقــد آذوه ... وطردوه ....، وأنتم تحفظون القصة .. ولما ناجى الله .. نــزل جبريل فوراً وقال له:

{ ...وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرُهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلّمَ عَلَيّ ثُمّ قَالَ: يَا مُحَمّدُ فَقَالَ ذٰلِكَ، فَمَا شِئْتَ ؟ إِنْ شِئْتَ أُطَبقُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ، قُلْتُ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً } [112]

فعلى نهج النبى المختار يسير الصالحون والأبرار ومن الجائز أن المجذوب الــذى

---

١١١ الدِّيلمي عن على كرم الله وجهه، وأوله : يَا أَبَا بَكْرٍ إِذَا رَأَيْتَ النّاسَ يُسَارِعُونَ فِي الدُّنْيَا فَعَلَيْكَ بِالأَخِرَةِ وَاذْكُرِ اللّهَ عِنْدَ كُل حَجَرٍ وَمَدَرٍ يَذْكُرْكَ إِذَا ذَكَرْتَهُ – الحديث، .جامع المسانيد والمراسيل.

١١٢ (حم قَ) عن عائشةَ رضيَ اللّهُ عنهَا (ز)، جامع المسانيد والمراسيل.

فى المشرب العيسوى (لايرد الأذى عن نفسه) وربما عندما يؤذيه أحد يحدث له ضررٌ فى الوقت ...لماذا؟ وذلك لأنه غائب! والغائب يتولى الله الدفاع عنه فى الحال.

لكن أهل الكمال ... وأهل الحضور مع الواحد المتعال ... ظاهرهم مع الخلق وباطنهم مع الحق، وقد عاهدوا الله ﷻ لكى يتمكنوا فى هذا المقام أن يتحملوا أذى الخلق كسيد الخلق ﷺ كما سبق وأوردنا نذرا يسيرا من ذلك

ولذلك قد يغتر البعض ... ويقول بجهالة: لقد آذيت فلانا! فلماذا لم يحدث لى ضرر؟ وماذا تظن أن يحدث لك؟ ... هل هذا الرجل لعنة على المسلمين؟ كلا! .. إنه رحمة عليهم وهم كسيد السادات ﷺ .

وخذوا مثالاً آخر: سيدنا إبراهيم بن أدهم ﷺ وأرضاه عندما سأله جندى فى الصحراء وقال: أين العمار؟ فأشار ابن أدهم له على المقابر ل- لأنه يجيبه على الحقيقة- فضربه الجندي قائلا : أنا لا أسألك عن المقابر!، فقال له من بجواره: ألا تعرف هذا الرجل الذى آذيته!! إنه ابراهيم بن أدهم، فقال الجندي: سامحني يا سيدي فقال ابن أدهم: والله يا بنى ما أنزلت يدك إلا واستحللتك من هذا الوزر!

فقال: لماذا ؟ قال: قلت لا يكون نصيبى منه حسنات لأنه آذانى ونصيبه منى أوزار، ولكن استحله حتى يشمله عطف الله ورعاية الله ﷻ.

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ ﴾ [الأعراف]

وهذا هو خلق سيد الأولين والآخرين وعلى هذه الوراثة كمل الورثة

نسأل الله ﷻ أن يجملنا بجماله العالى وأن يكشف لنا عن سره الغالى ...

وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيستمعون أحسنه ...

وأن يأخذ قلوبنا فى غيبة عن الدنيا وأهوائها وحظوظها إليه...

وأن يجعلنا ننطق بألسنتنا وقلوبنا بين يديه ...

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس التاسع عشر

النية الصالحة والعمل لله[113]

بسم الله الرحمن الرحيم ... الحمد الله الذى مسَّ شغاف قلوبنا بسماع كلام كلامه الكريم .. وجعل لهذا الكلام وقعاً فى نفوسنا وأثراً فى قلوبنا ونوراً فى أروحنا.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى اختاره الله واجتباه وصافاه وصفاه ونقَّاه وقربه وأدناه ... حتى جعله مؤهلاً لسماع كلام الله وتنزل اسرار الله، صلى الله عليه وعلى آله الحكماء وصحابته الفقهاء الذين كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء ، وكل من مشى على هذا الدرب وعلى هذا المنهج إلى يوم العرض والجزاء ... وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين.

إخوانى وأحبابى بارك الله فيكم أجمعين ...

ما أعذب كلام الله ﷻ إلينا وما أطيب نصح الله ﷻ فى كلامه الذى وجهه إلينا، فإنه ﷻ أولى بنا من أنفسنا وأرحم بنا منا، لا يريد لنا نصباً ولا عناء ولا هماً ولا كرباً ولا بلاء ... بل يريد لنا أن نعيش فى الدنيا فى يسر ورخاء ... وأن نكون فى سعادة فى عالم البقاء يوم اللقاء وهذا هو مبتغى الله من المؤمنين.

وكل نصائح الله فى كتابه المبين لعباده المؤمنين تدور حول هذه الغاية ... فلماذا تنزل الله ﷻ وهو الغنى عنا بالكلام ؟ وأنزل لنا الأنبياء وخصنا بختامهم عليه أفضل الصلاة وأتم السلام؟ شفقة وعطفاً وحدباً علينا وحباً لنا جماعة المؤمنين.

فمن شدة حرصه علينا اختار من بيننا الرسل والأنبياء، ومن فرط حدبه علينا ﷻ أرسل لنا آيات يكلمنا فيها على قدرنا ليوجهنا إلى ما فيه نفعنا فى الدنيا ... وإلى ما فيه رفعتنا فى الدار الآخرة إن شاء الله .

---

١١٣ الاثنين ٢ محرم ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨/١/٢٨م درس بعد صلاة الظهر بمسجد السلام بطومية الكيمان بطفنيس.

ولو أننا سمعنا الكلام بعد فهم هذه المعانى ... فسنأخذ كلام الله هذا من حريص رءوف رحيم شفوق عطوف علينا فى كل وقت وحين.

فإنه ينادى علينا ويقول لكل فرد من المؤمنين من أول المسلمين ﷺ إلى آخر فرد فى طابور المسلمين يخرج إلى الدنيا قبل يوم الدين :﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [٧٧ القصص] ، وابتغ هنا أى اجعل بغيتك وهدفك ووجهتك ونيتك فى كل شئ أعطاه لك الله .. إن كان صحة وعافية .. أو كان عقلاً أو كان قلباً .. أو كان روحاً .. أو كان سمعاً وبصراً .. أو كان لساناً .. أو كان أيدى وأرجل .. أو كان فرجاَ وبطناً.. أو كان مالاً وولداً .. أو كان أرضاً أو عقاراً ومبانى .. أو كان منصباً أو جاه .. أو كان تجارة ... أو كان صوتاً خصك به الله أو علماً وفقك الله لتحصيله بمنه وفضله فى هذه الحياة ....

وكل هذا أعطاكه الله إن كان فى نفسك أو فيما حولك فهو إن أردت أن تكون من المفلحين ؟ وأن تكون من الوجهاء فى الآخرة يوم لقاء رب العالمين؟ وإن أردت أن تكون من حزب الله الناجين؟ ومن الذين تحت لواء الشفاعة لسيد الأولين والآخرين؟ وكذلك إن كنت تريد المناصب العالية فى الآخرة والدرجات الفاخرة فى الجنة والنعيم الباقى الذى لا ينفد فى دار البقاء؟ ... إن أردت كل ذلك : فاجعل كل ما أعطاكه الله للدار الآخرة ولله.

كيف أجعل كل ذلك لله ؟

أن أجعل نيتى قبل كل عمل لله ﷻ .

فإذا نظرت أنظر إلى ما يحبه الله، مثلا أنظر فى كتاب الله أو أنظر إلى الملك والملكوت وما فيه من آيات تدعو إلى التفكر فى حكمة خلق الله، أو أنظر لأتفقد أحوال المسلمين وخاصة الفقراء والمساكين لأحل مشاكلهم وأعينهم على ظروف الحياة طلباً لمرضاة الله جلا فى علاه ، ولا أجعل العين النظر للعورات فإن ذلك من المحظورات، ولا للتجسس على المخلوقات فإن ذلك نهى عنه بارئ الأرض والسموات ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [١٢ الحجرات] .. ولا للنظر إلى الحرمات التى أمر الله ﷻ بغض

البصر عندما تلوح .. ولا للنظر إلى أهل العلو فى الأرض بالفساد ... كما قص الله لنا قصة رجل منهم لأكون مثلهم.

وعلىّ ألا أنظر إلى من أظن أنهم أغنياء فى الدنيا وهـم الفقراء على الحقيقـة!! فمن هو الغنى فى الدنيا يا أحباب الله ورسوله؟ .. نسأل حضرة النبى أم نسأل اليهود؟

إذا سألنا اليهود فإنهم سيقولون أن الغنى هو من على شاكلة قـارون وعنـده كنوز وعنده خزائن فى البنوك وأرض واسعة ومصانع وغيرها من مثل هـذه الأمـور، وهب أن الإنسان ملك الدنيا كلها كما قال الإمام أبو العزائم: { هب أنك ملكـت الدنيا كلها من أولها إلى آخرها ماذا يكون فى يديك منها عند الموت!!! }

ومن حكمة الله أن كل مولود يولد .. ينزل ويداه مقبوضتان كأنـه يريـد أن يمسك الدنيا كلها بيديه !! وكذلك كل من يموت لا بد أن تكون يـداه مبـسوطتان وهذا معناه .... أن أنظروا ماذا أخذت منها ؟

وقـد حدث من عدة سنوات أن رجلاً من الصالحين وكان عمدة نـابلس فى فلسطين قد أوصى أولاده قبل موته بوصـية غريبـة فقال: بعد أن تغسلونى وتكفنونى أخرجوا يـدى خارج الكفن ليراها الناس وتمشوا بجسمانى فى كل نابلس، فقال أولاده لماذا؟ .. قال ليرى أهل نابلس ويعرفوا أن أغنى أغنياء نابلس لم يأخذ من الدنيا شـيئا وهو ذاهب للقاء الله، ... وهو بذلك يريد أن يعظهم:

أنظر إلى مـن ملك الدنيـا بأجمعها   هـل راح منها بغير القطن والكـفن

ولا يأخذ الواحد من الدنيا سوى ذلك القطن الذى نسدُّ به الفتحات، والكفن الشرعى الذى يلبسه، ولذلك فإن سيدنا الإمام على ﷺ زار القبور بعد أن شيع جنازة من الجنازات، ثم توجه إلى أهل القبور وخاطبهم وقـال:

{ يَا أَهَلَ التُرْبَةِ، ويَا أَهَلَ الغُرْبَةِ! أَمَّا المَنَازِلُ فقَدْ سُكنَتْ، وأَمّا الأَمْوَالُ فقَدْ قُسِمَتْ، وأَمّا الأزواجُ فقَدْ نُكِحَتْ } [١١٤]

١١٤ البيان والتبيين للجاحظ والأمالى الشجرية لابن الشجرى.

أموالكم قد توزعت .. لأن الشرع يقول عندما ينتقل الميت إلى جوار الله فوراً توزع التركة على كل الورثة، لأنها أصبحت حقٌ لهم بعد سفر الميت ولا يحق لأحد أن يمنعها عن أحد بأى حجة من الحجج ما دام الورثة بلغوا، يأخذ كل واحد نصيبه .. فكان السابقون بعد الانتهاء من الدفن، يكتبون شروط القسمة ويعطون لكل ذى حق حقه وهذا هو شرع الله .. وذلك لأن تكليف الأرض قبل الشهر العقارى ... وبعده عند ربِّ العالمين فى قوله تعالى فى المحكم المنزل .... !!!

﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [١٢٨ الأعراف]

فعندما تخرج الروح ... مباشرة يتم نقل التكليف عند ملك الملوك فلان كذا وفلان كذا وكل واحد نصيبه، فإذا أردت أن أبقى على هذا وذلك فلا بد من رضاء المكلفين، لكن لو واحد منهم طلب حقه يجب أن أعطيه له فوراً لأن الذى أمر هو صاحب الأرض والذى له ما فى السموات وما فى الأرض وهو رب العالمين ﷻ.

ثم أكمل سيدنا الإمام على ؓ خطابه السابق لأهل القبور قائلاً:

{ هذا خَبَر ما عندنا فما خَبَرُ ما عندكم؟ ثم قال: والذي نفسي بيده! لو أُذِن لهم في الكلام لأخبَرُوا أنّ خيرَ الزّاد التّقوَى }

لا أفضل من التقوى ... وهى الحبل الأقوى لمن يذهب إلى الله ﷻ.

ولذلك على الإنسان أن يجعل فى كل يملكه نيَّة صالحة ويجتهد إذا أراد أن يكون من السابقين أو المقربين أن يجعل نواياه فى كل الأعمال صالحة لله ﷻ وذلك لأن الله يحاسب على النوايا: { إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُل امْرِىءٍ مَا نَوَى }[١١٥].

وإذا كان لى نية طيبة فى أى عمل فهل هذه النية الطيبة تمنعنى من الانتفاع بهذا العمل فى الحياة الدنيا ؟... أبداً فإنى أنتفع به على ما يرام بل أفضل من جميع الأنام، فقط كل الموضوع أنى نويت! .. فكلنا مثلاً ننام ...لكن هناك فرق بين واحد وآخر:

واحد عندما يذهب لينام ينوى أن يستعين بهذا النوم على القيام فى جنح الظلام

١١٥ صحيح البخارى عن عمر رضى الله عنه.

قبل صلاة الفجر ليناجى الملك العلام ... ومثل هذا نومه عبارة عن عبادة لله ﷻ .

و آخر جاء من السهر أو من التعب ينام ... ولا يقدم نيَّة صالحة قبل نومه لله ﷻ .... فما الأجر الذى فى نومه ؟ لا أجر له .... بل قد تأتيه الأحلام المزعجة والكوابيس !! لماذا ؟ لأنه لم يقدم نية صالحة قبل نومه لله ﷻ.

مع أنه نوم لكن هناك فيه من الأجر العظيم لمن يقدم فيه نيَّة صالحة، ومع أن الاثنان نيام ... إلا أن الأول مع أنه نائم لكنه عند الله قائم !! ... والثانى نائم وعند الله خائب !!!! ....لأنه لم يقدم نية ، وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ :

{ مَنْ نَامَ عَلَى تَسْبِيحٍ أَوْ تَكْبِيرٍ أَوْ تَهْلِيلٍ أَوْ تَحْمِيدٍ بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ نَامَ عَلَى غَفْلَةٍ بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعَودُوا أَنْفُسَكُمْ الذكْرَ عِنْدَ النَّوْمِ }[١١٦]، وقال ﷺ أيضاً: **{ مَنْ نَامَ عَلَى طَهَارَةٍ سَجَدَتْ رُوحُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ, وَإِنّ الشّيْطَانَ لا يَتَلاعَبُ بِهِ }** [١١٧]وورد فى الأثر: **{ من نام على ذكر الله كتب طوال ليلته هذه قائما ذاكراً فإذا استيقظ قالت الملائكة أدعو فإن لك دعوة مستجابة لا ترد }**

وذلك لأنه نام على ذكر الله، فكل الأعمال نية (أى نيئة غير صالحة للتقديم بين رب العالمين) لا ينضجها إلا النيَّة.. وإذا كنت ذاهباً إلى عملى فى وظيفة أو فى حرفة أو فى الحقل ... أى عمل كان ولكنى عندما خرجت من المنزل قلت:

{بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ،العلى العظيم}[١١٨]

ونيتى بهذا العمل: * أن أكف نفسى وأولادى عن سؤال الناس، * وأن أرعى الله فأبتعد عن الحرام وأبتعد عن الأرزاق التى تحصل بالذنوب والآثام وأتقى الله ولا أحصل إلا على القوت الحلال الذى أحله الله وأحله رسول الله ﷺ ، وبمجرد أن أنوى هذه النيَّة مع أننى ذاهب للعمل ! وليس للصلاة أو للعبادة ؛ ... إلا أن لى من الأجر

١١٦ الدَّيلمي عن الحكم بن عمير رضَي اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل
١١٧ حاشية الصاوي، شرح مختصر خليل والقرطاس
١١٨ سنن الترمذى عن أنس بن مالك.

والثواب ما لا يعدُّ ولا يحدُّ.وأسمعوا معى ... واحسبوا إن كنتم تستطيعون:

فهذا العمل سيكفر لى الذنوب والآثام إذا كنت قد ارتكبت ذنوبا ، مثله مثل الصلاة بل أن هناك من الذنوب ما لا يكفرها إلا السعى على المعاش قال حبيى وقرة عينى ﷺ :{ **إنّ مِنَ الذُنوبِ ذُنوباً لا يُكَفِّرُها الصّلاةُ ولا الصِّيام ولا الحَجُّ ولا العُمْرَةُ يُكَفِّرُها الهُمُومُ في طَلَبِ المَعِيشةِ** }[119]

وفى هذه الحالة أكون ذاهباً للعمل ومع ذلك يكفر العمل الذنوب التى ارتكبتها وإذا تعبت فى العمل وأخلصت فيه ، فلأن الله يريد الإتقان والإخلاص ففى [التوبة١٠٥]:

﴿ **وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾

لماذا أتعب فى العمل ؟ ليس من أجل أن يعطينى رئيسى امتيازا! ولكن لأنى أعرف أن الله مطلع على، ولكى أخفف عن المسلمين ، ولكى اقضى مصالح المؤمنين، ولكى يعرف المؤمنون أن فيهم أناس ملتزمون، ولكى يعلم الكافرون أن هذا الدين يدعو إلى التزام أفراده بالعمل فى كل وقت وحين ... وليس كما يقولون علينا الآن أن المسلمين ليس لهم فى العمل ... ويحبون الزوغان من العمل ... وهى الفكرة السائدة عنا فى العالم كله الآن ولا حول ولا قوة إلا بالله !!!

أما المسلمون الأوائل فقد كانوا أول الناس إتقاناً للعمل لأن النبى أوصاهم وقال: { **إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إذا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ** }[120]

وكان المسلمون الأولون لا يحتاجون إلى رقيب أو حسيب يراقبهم ويحاسبهم على أى عمل .... لأنهم يراقبون الله جل فى علاه، وقد رأينا شميماً من ذلك فهل كان الصانع قبل ذلك أو البناء أو السباك يحتاج إلى من يشرف عليه ؟ أبداً بل كان يقول أنه عمل المعلم فلان ومعروف وسيظل معروفاً إلى الأبد أنه عمل المعلم فلان !! وكان الصانع يحافظ على نفسه ويراقب من يقول للشئ كن فيكون وعلى ذلك كانت أحوال المسلمين الأولين السابقين المقربين.

١١٩ (حل وابن عساكر) عن أبي هريرة، الفتح الكبير
١٢٠ جامع الأحاديث والمراسيل عن عائشة.

ولذلك كانوا مرتاحين فى الدنيا وعندما ذهبت هذه الأخلاق تعبنا جميعاً ومـــع الأسف من بعضنا لأن الصناع مسلمين وليسوا يهوداً، لكننا الآن نأتى بالصانع ونقول كم تأخذ ؟ يقول: خمسمائة، فنقول: لا سنعطيك ستمائة! فقط أعملـــها بـــإخلاص!، وعندما ينتهى من العمل ونستخدمها ثانى يوم تجدها لا تصلح!! فأين مراقبة الله؟

للأسف ضاعت!! لأنه أصبح يراقب المال، و ياليته يريد المال من حلال! لكـــن المصيبة أنه يريد المال وحسب! إن كان من حلال أو من حرام لا يهم! وهذا ما أفسد الذمم وخرَّب الضمائر وجعل المسلمين فى معاناة كما نرى الآن ...!!!!

لكن المسلم إذا اتقن العمل وأخلصه لله فيا هناه، و أجره كما يقول الحبيب:

{مَنْ بَاتَ كَالاًّ – أى متعباً– مِنْ طَلَبِ الْحَلاَلِ بَاتَ مَغْفُوراً لَهُ}[١٢١]

وذلك كمن حج إلى بيت الله!! ناهيك على أن الرزق سيكون مباركاً، ناهيك على أن الله ﷻ سيبارك فى صحته وعافيتـــه، وأن الله ﷻ سيبارك فى وقتـــه، وأن الله سيبارك فى أولاده وزوجـــه، وكل شئ له والدار التى سيبنيها بهذا التعب وهذا العناء ستمكث مئات السنين! ولو حتى بناها من طين فسيحفظها الحفيظ المتين ﷻ.

لكن من يأخذ الأرزاق الحرام ويبنى داره بالمسلحات ومع ذلك بعـــد ســـنين معدودة يجدها قد تشققت ويلزمها الإزالة!! وذلك لأنه لم يراع الله جـــل في عـــلاه، وكذلك يجد أن العيال غير موفقين فى الدراسة! أو أن الأمراض لا يكفيها هذا المـــال ولو أتى به كل يوم بالكنوز فكل مال أتى من حرام سلط الله آخذه علـــى إنفاقـــه فى الذنوب والآثام! إن لم يكن وكما نرى الآن يبحث على إنفاقه على المخدرات! أو فيما يغضب الله! وذلك لأنه أتى من حرام.

أما من يجمع المال من حلال هل يفكر أن يعمل به عملا يغضب ذى الجـــلال؟ لا! لأنه سيكون فى حصون الله ويحفظـــه الله :

﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف]

---

١٢١ ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه.

ولكل ماسبق من هذه الأخطار من أن يتجه الإنسان للتفكير فيما حـرم الله أو تغريه الشئون باقتحام حرمات الله أعطانا رسول الله ﷺ هذه القاعدة الشرعية وقال:

{ انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ولا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ }[122]

ولا تنظر إلي من هو فوقك في الدنيا !وإلي من هو دونك في الدين! فتحتقر مـا عظم الله ﷻ ...ونحن الآن قد خالفنا هذا الحديث ... وننظر إلى أن فلان هذا عنـده كذا !ويملك كذا وأريد أن أكون مثله من أين ؟

فهـنا أركب الصعب وهو الحرام والذنوب والآثام والخداع والغش، أما طاعة الله فإذا كنت أؤدى الفرائض أقول أنا أحسن من فلان لأنه لا يصلى! أو أنـا أصـوم شهر رمضان وفلان لا يصوم وأرضى بالدون فى عمل الدين !! و أريد العلو فى الأرض بالفساد الذى نهى عنه رب العباد وحذرنا منـه النبى الأواب ﷺ !! وقس على ذلك النوايا فى استخدام كل الأعضاء التى وهبها الله للإنسان لأن الوقت لا يسمح.

إذاً على المؤمن أن يبتغى بكل شئ أعطاه له مولاه الدار الآخرة وهى أن ينوى نية صالحة ، وكذلك إذا اجتمع المسلمون مع بعضهم الـبعض فلابـد مـن النوايـا الصالحات لمثل هذه المجتمعات .... كيف ؟

إذا اجتمع الكل على الطعام ... وانشغلوا بالأكل والسلام! فهناك من يأخـذ ثواباً على هذا الأكل وهناك من يأخذ عليه عقاباً .... كيف؟ فمن يأكل وينوى ويذكر الله ويسمِّى الله وفى قلبـه قوله تعـالى : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف]، وعندها تحضلا السنة فى قلبه وفكره وتظهر على جوارحه وفعله .... فيأخذ ثلثاً لطعامه وثلثاً لشرابه وثلثاً لنفسه ولا يزيد عـن ذلـك بذلك ترتاح الأعضاء ولا يشكو فى يوم من الأيام فيها من داء فهنا يعمل بقول السماء لأنه أكل كما كان يأكل الأنبياء والمرسلون والصالحون والـصديقون الـذين كـان طعامهم ضرورة .. ويعطيه الله ﷻ قوة من عنده !!

---

١٢٢ سنن الترمذى عن أبى هريرة، ومثله فى صحيح مسلم وغيره كثير مع إختلاف لفظ رواية.

وذلك لأن معظمنا يظن أن القوة تأتى من كثرة الطعام فهل الطعام هو الـــذى يعطى القوة أم القوى ﷻ ؟ تأتى القوة من القوى ... فإذا أمرك القوى بقوته فتصبح قويا ولو لم تأكل ... فهل هناك أحد من صحابة رسول الله ﷺ ورضى الله ﷻ عنـــهم أجمعين كان يأكل كطفل من صغارنا الآن؟

أبـــداً فلم يكن عندهم هذه الخيرات ولا هذه النعم.هل بطل العالم فى المصارعة الآن يصل إلى أصبع واحد من هؤلاء الرجال فى القوة ؟ أبداً ... فالإمـــام علـــى ﷺ وكرم الله وجهه وكان يعمل أجيراً ولم يكن عندهم أرض ولا دكان ولا تجـــارة وقـــد أخذه يهودى قبل جلاء اليهود من المدينة ليخرج له الماء من بئر والأجرة تمرة على كل دلو يخرجه والبئر ماءه عميق وحبل الدلو خشن غليظ وظل يعمل إلى أن أخرج ثلاثين دلوا ثم تعب فأعطاه اليهودى ثلاثين تمرة فماذا تفعل الثلاثين تمرة لأسرة ؟

وكما تعملون عندمـــا مـــرض الحسن والحسين فنذر هـــو وزوجتـــه أنـــه إن شفاهم الله يصوموا ثلاثة أيام لله .... وعندما بدأوا الصيام ...ففى اليوم الأول لصيام كان كل ما أكتسبه رضى الله عنه حفنة شعير ... طحنته زوجته وخبزته وكان عبـــارة عن رغيف واحد يفطرون عليه بعد صيامهم ... وعند الإفطار سمعوا من يطرق الباب قالوا من؟ قال مسكين يا آل بيت الرسول !! فقال على أعطيه الرغيف ونفطر نحـــن على الماء، ثم ننوى الصيام بذلك كان إفطارهم وسحورهم فى اليوم الأول على الماء.

وفى اليوم الثانى أيضا لم يأت إلا بحفنة شعير– الذى لا يأكله أحد منا اليـــوم – فطحنته زوجته أيضا على الرحى وخبزت الرغيف!، وعندما كلَّت يداها من الطحـــين علي الرحاة، واسمع لرواية الإمام على ﷺ قال:

{ شَكَتْ لي فاطمةُ من الطَّحِين، فقلتُ: لو أتيتِ أباكِ، فسأَلْتيهِ خادماً، قالَ: فأتَتِ النبيّ، فلم تُصَادِفْهُ، فرجَعَتْ مكانها، فلما جاءَ أُخْبِرَ، فأَتَانا، وعَلَينا قطيفةٌ إذا لَبِسْناها طُولا خَرَجتْ منها جُنوبُنا، وإذا لَبِسْناها عَرْضاً خَرَجَتْ منها أقدامُنا ورؤوسُنا، قالَ: «يَا فَاطِمَةُ، أُخبِرْتُ أَنّكِ جِئْتِ ، فَهَل كَانَتْ لَكِ حَاجَةٌ»؟ قالتْ: لا، قلتُ: بَلَى، شَكَتْ إليّ من الطَّحِين، فقلتُ: لَوْ أتيتِ

أباكِ، فسألتيهِ خادماً، فقال: «أفَلا أدُلُّكما عَلى ما هُو خَيْرٌ لَكُما مِنْ خَادِمٍ؟ إِذا أَخَذْتُما مَضَاجِعَكُما تَقُولانِ ثَلاثاً وثَلاثِينَ، وثَلاثاً وثَلاثِينَ، وأَرْبعاً وثَلاثِينَ: تَسْبِيحَةً، وتَحْمِيدةً، وتَكْبِيرةً».}[١٢٣]

فواظبا على ذلك الذكر حتى فى أيام الحروب كان لا يتركه الإمام على،.المهم ونعود إلى القصة أنه فى اليوم الثانى جاءهم يتيم فأعطوه الرغيف وفى اليوم الثالث جاءهم أسير فأعطوه الرغيف ومكثوا الثلاثة أيام يفطرون على الماء ويتسحرون على الماء : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإنسان].

إن شئت التفسير ربما قلت على حبِّ الطعام لأهم كانوا جائعين .. لكن المقام الأعلى هو على حب الله ﷻ .. لأهم يطعمونه لله .. ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإنسان]

وانظروا إلى ما كانوا يأكلون ومع ذلك كان الإمام على إذا أمسك إنساناً من قبضة يده ومن موضع النبض لا يستطيع أن يتنفس من هول قبضته وقد قالوا أن كفه كانت كأنها كف أسد !!! إذاً مع بساطة الطعام وندرته إلا أن القوة كانت من القوى ﷻ ... وأعطيكم مثالاً آخر :

لما أختاره حضرة النبى ﷺ ليحمل اللواء يوم خيبر وقال غداً أعطى الراية لرجل يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله وعند الصباح قال أين على ؟ قالوا أنه أرمد – أى أن عينه بها رمد فقالوا : إتونى به فأخذ من ريقه ووضعه فى عينه فشفيت فى الحال وأعطاه الراية فدخل الأعداء عليه وعندما اقترب من باب الحصن وتكاثروا عليه إذا به يدخل على باب الحصن ويخلعه يتترس به ليحتمى به من ضربات السيوف والمسلمون يدخلون من تحت بالباب إلى الحصن.

وبعد انتهاء المعركة وضع الباب على الأرض .. فجاء ثلاثون رجلاً من أصحاب النبى ليدفعوا الباب ليضعوه فى مكانه فما استطاعوا.، فأين بطل العالم فى الأولين أو فى الآخرين فى رفع الأثقال من يحمل مثل هذا الباب !!!

١٢٣ عن على ﷺ ، صحيح ابن حبان.

وذلك لكى نعرف أن القوة من الله.ولما ضعف الإيمان فى النفوس ظن الناس أن القوة من الطعام ومن ضخامة الأجسام فتنافس الناس فى زماننا على الطعام ولو كان من حرام ويتباهون بضخامة الأجسام وظن أن بذلك تكون القوة ونسوا أن القوة من حضرة القوى ﷻ

إذاً عندما آكل بالمنهج الذى وضعه الله فى كتاب الله ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ [٣١ الأعراف] وانظر إلى طعامي نظرة تفكر كما أمر الله ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ ﴾ [عبس] نحن ننظر الآن إلى شكله ولذته ونكهته وفقط وهذه ليست نظرة المؤمنين والمحسنين .. ويجب أن تكون النظرة فى كيف أتي له هذا الطعام ؟ وما الرحلة التى مر بها إلى أن صار بين يديه .. رحلة: ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [عبس] فينظر فى: ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [عبس]

فيجلس وهو يأكل ليتفكر فى الطعام وبعد ذلك يشكر الله على عطاياه حتى يكون من الشاكرين الذين وعدهم الله بالزيادة كما وعد فى كتابه: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [٧ إبراهيم]، وإذا أكل المؤمن الطعام بهذه الكيفية فإن الله يذهب كل الأدواء والأمراض الجسدية ويعالج كل المشاكل والعلل النفسية ويجعل الإنسان فى حالة روحانية لا يستطيع أحد من الأولين ولا الآخرين وصفها وفيه قوة جسدية كقوتنا عند دخولنا الجنان وهى قوة سبعين رجلا ويجعل الله ﷻ كل ما ينفقه على أهله له أجر وثواب يقول فيه الرسول الكريم الوهاب .. فى أسلوب بديع شيق :

{دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ. وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ. وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أيهما أفضل وأكثر عند الله ﷻ } [١٢٤]، فسكتوا فقال **{ الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ }** ولكن بهذه الكيفية الربانية

إذاً على المؤمن أن يراجع كل أحواله وكل أعماله ويجعلها على وفق الشرع

---

١٢٤ صحيح مسلم عن أبي هريرة.

الشريف والكتاب الكريم وسنة النبى الرءوف الرحيم ويقدم فيها وقبلها نية صالحة لله ﷻ وإذا كان كل عمل سأعمله مطابق لشرع الله وموافق لسنة رسول الله وقدمت قبله نية طيبة لله فإن هذا العمل فى ميزان حسناتى يوم القى الله ﷻ: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [٨٣ القصص]

وهؤلاء هم أهل الدار الآخرة.فما بالكم بمن يريدون وجه الله والنظر إلى جمال الله كيف يكون حاله يا أحباب الله ؟ هذا حال آخر لا يسع الوقت لذكره، نسأل الله ﷻ أن يعيننا على ذكره وشكره، وبره وأن يوفقنا إلى أعمال المقربين وأن يجعل لنا نية صالحة فى كل عمل وحين وأن يرزقنا أتباع شرعه الشريف والعمل بهدى نبيه القويم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس العشرون

نموذج من أساليب دعوة العارفين الحكيمة[125]

نشر هذا المجلس فى كتاب : "كيف تكون داعياً على بصيرة".

المجلس الحادي والعشرون

مراحل خلق الإنسان فى القرآن[126]

الحمد لله الذى فصَّل فى كتابه كل ما شاهدناه ورأيناه فى الإنسان، وفى الحيوان، وفى النبات، وفى الطير وفى الشمس والقمر والنجوم والأكوان، فكتاب الله ﷻ المسطور الذى نزل على الحبيب المصطفى وتتلقاه منه الصدور ... جعله الله ﷻ كتاباً منظوراً ومنشوراً نقرأ فيه آيات العزيز الغفور ﷻ إن شئنا بالعيون ... قال الله:

---

١٢٥ درس العصر بديوان بطومية الكيمان بطفنيس، عن العارف بالله الشيخ محمد على سلامة ٢٠٠٨/١/٢٨م.
١٢٦ طفنيس، يوم الاثنين ٢محرم ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨/١/٢٨م، درس بعد صلاة العشاء بالمسجد الحسينى.

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [١٠١ يونس]، وإن شئنا بالعقول ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [١٩١ آل عمران].

فاللهم صلِّ وسلم وبارك على مصدر رحماتك وسر هباتك الذى قرأ على المؤمنين إلى يوم الدين آياتك وجعل صدورهم تمتلئ بالإيمان وقلوبهم بالإيقان حتى قال قائلهم: لو كشف الحجاب ما إزددت يقيناً، صلى الله عليه وآله الحكماء وصحابته الفقهاء الذين كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء، وكل من تبعهم على هذا الدرب من الصالحين والأولياء إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين آمين.آمين يارب العالمين .

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين ..

نوَّع الله ﷻ المخلوقات وأبدع إنشاء الكائنات حتى لا يدع لنا طريقا للتعرف على دلائل قدرته وبراهين حكمته إلا وضَّحه سبحانه وجلاه ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [١١٥ البقرة]، فإذا نظرت فى نفسك وجدت أكبر الدلائل على قدرة ربك ﷻ وإذا نظرت فيمن حولك تجد دلائل أكبر ونعم أبهر تدل على قدرة القادر وإبداع البديع وتصوير المصور ﷻ وكما قال الفلاسفة:

وفى كل شئ له آيةٌ تدلُّ على أنه الواحد

وعندما تقرأ القرآن نجد أن بيان القرآن له معان فكل مرحلة من مراحل خلق الإنسان يذكرها لنا الرحمن ﷻ فى بيان، لكنه يريدنا كلنا إن كنَّا جهلاء أو متعلمين قارئين أو أميين أن ننظر ونتفكر ونتدبر فى إبداع قدرة الله فى خلق الآدميين:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ ﴾ [الطارق]، ومرة يقول ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ ﴾ [الطارق]، واليوم يقول لنا: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝ ﴾ [الرحمن] ومرة يقول ﴿ خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ [٣٧ الكهف]، وأخرى يقول: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝ ﴾ [مريم]، ومرة يقول: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ﴾ [المرسلات].

آيات ينوعها الله ﷻ ، وإياك أن تظن أن ذلك تكراراً ... ولكنه تذكار لمراحل الخلق التي مرَّ بها الإنسان فى الأدوار لتعلم إبداع قدرة الواحد القهار ﷻ.

ولقد مرَّ كل واحد منا بكل هذه المراحل لكن ليس كلها هنا فى الدنيا ... لأنه قبل الدنيا وقبل آدم ... كان هناك خلقٌ وتصويرٌ لنا!! كيف؟ ومن القائل؟

ربنا ﷻ ! أين ذلك ؟ قال فى سورة الأعراف: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ لا استثناء هنا ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ كل واحد أخذ صورته الخاصة به وبعد ذلك: ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾ [١١ الأعراف].

وقد كان خلقنا فى هذه المرحلة من الحقائق وهى الروح وما يتبعها، وذلك قبل آدم، فقد خلق أرواح المؤمنين أجمعين وكذلك غير المؤمنين وأعطى لكل إنسان صورته!. وابحث فى الكون كله عاليه ودانيه:

فهل تجد لأى إنسان شبيهاً؟ أبداً!! فكل إنسان له صورته التي اختصه بها الله! وله صوته الذى اختصه به الله! وله لون بشرته التي اختصه بها الله! وله بصمات أصابعه التى اختصه بها الله! وله بصمات عينيه التي اختصه بها الله! وكذلك له أحدث البصمات وهى بصمات أضراسه وأسنانه التي اختصه بها الله! فلا واحد مثل الثانى لا فى العينين ولا حتى فى الأضراس ... ولا فى أى عضو من الأعضاء!! لماذا ؟ ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [٦٤ غافر] فهى قدرة الله المصور العظيم ﷻ فقط – فكل واحد له صورة سواء كانت صورة بشرية أو صورة روحانية ،وكذلك الصور الروحانية لا تتشابه ...

ناهيك على أن كل واحد له قدراته العقلية الخاصة به، وكل واحد له لواعجه القلبية الخاصة به ،وكل واحد له قدراته الروحانية الخاصة به، وكل واحد له ما لا يستطيع عده العادون ولا حسابه الحاسبون من تكوين من يقول للشيء كن فيكون خصه به المكون ﷻ فأنت نسخة بديعة فريدة ليس لها مثيل تدل على قدرة من: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ [الشورى] وإياك أن تظن أن لك مثيلاً فى جيل سابق أو لاحق – كلا!! – فمن أول آدم إلى يوم الدين وكل إنسان له صورة فريدة وله تكوين خاص به أوجده عليه رب العالمين ﷻ.

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾ [التين] ولم يقل الله فى

أحسن تكوين – لأن المعنى بذلك يختلف تماماً ولكنه قال ﴿ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ لأن الله قومه تقويماً لا يستطيع أحد الإتيان بصورة ولو قريبة الشبه من هذا الإنسان ... ولو اجتمع أهل الإبداع وأهل الاختراع وأهل الفنون والصناع لكي يقولون أنه كان من الممكن أن يكون للإنسان شكل أجمل من ذلك فلن يستطيعوا .... وذلك لأنه هذا التكوين الذى نراه من عينين وأنف بينهما وله فتحتان، وأذنين ولسان وشفتين، وكل عضو جعل منه إثنين! فإذا تعطل واحد يعمل الثانى! ما عدا القلب واللسان لأهميتهما عند حضرة الرحمن ﷻ.

وجعل على اللسان بوابتين لتعلم أن اللسان إما موطن للداء أو سبب للرفعة فى عالم النور والبقاء والبهاء، والحكمة فى البوابتين لديك لكي لا تفتحهما إلا إذا فكرت وقدرت وتمعنت فى الكلمات لتعلم علم اليقين قول بارئ الأرض والسموات: ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق] وهذا خلق الإنسان!

فما بالكم لو رأينا خلق السموات وخلق الأكوان وكل المخلوقات التي خلقها الله لك يا أيها الإنسان، والأعجب من ذلك وفوقه .... عندما نرى بعد ذلك إن شاء الله ما جهزه الله لنا فى الجنات ... وما أعده الله لنا من دقائق النعم .... ومن جمال القدرة .... وكمال الإبداع فى عوالم الملكوت ... ونقول ونكرر كما قال: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [١٨ النحل].

ولذلك كانت أول وظيفة من وظائف سيدنا رسول الله هى تلاوة الآيات لأنه عندما اختاره الله واصطفاه واجتباه بين مهام الرسالة ووظيفته كرسول وهى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ ﴾ [١٥١ البقرة]

ما وظيفته ؟ ﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ وهناك بعض من إخواننا فهم قوله ﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾ على أنها آيات القرآن وهذا مجانب للصواب لأنه قال ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ وهو القرآن أما تلاوة الآيات هنا ... فإنها الآيات التي فيك والآيات التي فى الآفاق :

لا عبادة كالتفكر

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ ماذا؟ ﴿ لَءَايَٰتٍ ﴾ [١٩ آل عمران] وهى تلك الآيات المطلوب أن تقرأها أولاً بفكرك – تتفكر وتتدبر .. ولذلك فإن أول عبادة كلف بها أصحاب رسول الله قبل فرائض الإسـلام التعبدية وأولها الصلاة ... كانت التفكر!!...

وذلك لأن الصلاة قد فرضت قبل الهجرة بعام فى رحلة الإسراء والمعراج، قبلها مكث سيدنا رسول الله اثني عشر عاماً ماذا كانوا يعملون فيها ؟ .. كانوا فى عبـادة التفكر وتزكية النفس، وكانت المدرسة المحمدية تعمل فى هاتين المادتين فقط! لأنه بعـد ذلك يتأهل الإنسان لتلاوة الكتاب والعمل بالكتاب.

والمـادة الأولى قال فيها ربُّ البرية ﷻ ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ أيـن هى ﴿ فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أى سنريهم فى المستقبل.. لماذا؟ ذلك ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٥٣ فصلت] ... وعندها تمتلئ القلوب باليقين.. ولذلك متى ينظم المؤمن فى عقد المقربين! وتأتيه الفتوحات من رب العالمين ؟ إذا سلك هذا الطريق الذى بينـه الله لسيد الأولين والآخرين ﷺ وهو الطريق الذى مشى عليه أصحابه ﷺ أجمعين. .

فقد كان يجلس معهم ويذكرهم حتى قال سيدنا أبـو ذر ﷺ: { **تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ إِلا وَهُوَ يَذْكُرُ لَنَا مِنْهُ عِلْماً** }[127]، وذلـك لأنه يقرأ لهم هذه الآيات التي علمها له الله ﷻ، وهذا أول علم وأول عبـادة.

ما فضل هذه العبادة إذاً؟ وما أجرها؟ قـال ﷺ : { **لا عبادة كالتفكر** }[128].

أى لا توجـد نافلة من نوافل البر تساوى التفكر فى الأجر والثـواب وتجهـز القلب للفتح من الكريم الوهاب مثلها، وقال: { **تفكر ساعة يعدل عبادة سنة**}[129].

وكلمة ساعة فى أحاديث النبي أو كلام رب العزة يعنى (لحظة) وليست سـتين

---

١٢٧ مجموع فتاوى ابن تيمية وجامع العلوم والحكم عن أبي ذر ﷺ.
١٢٨ جامع المسانيد والمراسيل، مسند أبي ذر الغفارى، (طب) وكثير غيرها.
١٢٩ مرقاة المفاتيح (كتاب الإيمان).

دقيقة كما نحسب! فعندما يقول الله:﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾[٥٥ الروم] ..أى يقسمون أنهم ما لبثوا فى قبورهم سوى لحظات من موقم إلى يوم النشور، إذاً فلحظة فكر بيقين تعدل عبادة سنين !!!!

وكتاب الفكر الذى يخصنا ما المقرر فيه؟ أو ما المنهج فيه؟

المقرر .... أن نتفكر من العرش إلى الفرش ... ثم لا شأن لنا بغير ذلك حتى لا نشطح! .. من الذى قرر هذا المنهج؟ الذى لا ينطق عن الهوى حيث قال: { تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ ولا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ فَتَهْلِكُوا }[١٣٠] .... فعلينا أن نلتزم بهذا المنهج فقد أكده الله ﷻ وقال ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ ! أين ؟ ﴿ فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٥٣ فصلت] ...

هذا التفكر يا إخوانى الذى كلَّف به حضرة النبى ﷺ أصحابه وأمرهم به يبدأ بعد طهره النفس وصفاء القلب، وذلك لأننا جميعا نفكر... ولكننا نفكر فى مشاغل النفس وهموم القلب ... فالنفس مشغولة بالأولاد... ومشاكلهم ... فى التربية والزواج والعمل .... أو مشغولة بهموم القلب ....عندما أكبر ماذا أعمل؟ وكيف أعيش؟ وهل سيكفينى المعاش؟

وكل ذلك هموم تملأ القلب والنفس ... فهل ينفع التفكير مع هذا التدبير؟ لا و لكى يحقق التفكير المرجو منه والنفع من العلى الكبير .. يجب أولاً أن تصفى النفس وتملأها بالثقة فى الله، وتعلم علم اليقين أن الله ﷻ عندما خلقك تولاك، ولم يترك لك حاجة تحتاجها فى دنياك إلا وكفلها بذاته العلية وصفاته الربانية، ولن تغادر الدنيا حتى تأخذ كل ما قدره لك من الأرزاق الدنيوية.

{ أَنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا }[١٣١] إذاً ستأخذ كل ما قدر لك بشرط أن يكون عندك يقين بما فى يد الله أقوى منه بما فى يدك، ولا بد للقلب من أن يسلم تسليماً كلياً لعالم الغيب ويعلم يقيناً أنه لا يحدث فى ملكه إلا ما يريد وأنه وحده فى كونه الفعال لما يريد! وأن العبد مهما شاء أو أراد لا يريد إلا ما أراده الحميد المجيد!

---

١٣٠ الفتح الكبير وكنز العمال: أبو الشيخ عن أبى ذر، وكثير غيرها بلفظ "ألآء" بدلاً من "خلق" وبدون لفظ "فتهلكوا"
١٣١ سنن ابن ماجة عن جابر.

فإذا وصلت إلى هذا اليقين؟ يأتى التفكر والتمعن الذى يهدي إلى الفتح المبين الـذى وصل إليه أصحاب النبي والتابعين والصالحين وكل من تبع منهاجهم إلى يوم الدين.

وعندما يعرف الإنسان أن أصله الحقيقي ليس من الصعيد ولا من بحرى ولا من مصر ولا من الأرض ولا من الطين ... وإنما أصله نفخة من نور رب العالمين : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر] لماذا سجدوا ؟ من أجل نفخة رب العالمين التي جمل بها آدم وأبناءه أجمعين وآدم صورة بنيه فيه فخلقنا الله ﷻ أرواحاً نورانية قبل خلق الأرض وكل ما عليها من هذه المظاهر الكونية .. أين خلقنا هل فى عالم الجنان أم فى عالم الملكوت ؟

هذا أمر لا يعلمه إلا الحى الذى لا يموت! لكن لم يكن فى الأرض لأنه لم يكن هناك وقتها أرض وبعد أن خلقنا جعل لهذه الأرواح آذاناً تسمع كلام الله وأعيناً تنظر لجمال الله ولساناً ينطق ويكلم حضرة الله أو العوالم الروحانية التي جملها الله بنور جماله وبهاه، وجملنا الجامع ﷻ وأخذ علينا عهداً وميثاقاً وسجله وجعله مقروءاً ومنطوقاً فى كتابه إلى يوم الدين: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [١٧٢ الأعراف] .

شهدنا على أنفسنا بعد أن واجهنا ربنا على قدرنا بما نستطيع تحمله من جلاله وكبريائه وكماله وتكلم معنا وقال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ونطقنا كلنا وقلنا ﴿ بَلَىٰ ﴾، أى نعم! فهل قالوا بلى سمعنا؟ لا! ﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ [١٧٢ الأعراف]. فقد شهدنا جمال وكمال الله بالنور الذى وضعه فينا وقوانا عليه وبه الله كما قال الرجل الصالح :

إذا تجلى حبيبى بأى عين أراه بعينه لا بعينى فما يراه سواه

فليس معنا عين ترى الحي لأننا جميعا أموات وهو الحي الذى لا يموت – فقد أعطانا نفخة من روحه وهى التي فيها سر الحياة فنظرنا بالحي إلى جمال وجه الله جل فى علاه ﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾[١٧٢ الأعراف] أى كلنا وهذا تاريخ ميلادك الأول إذاً فأنت لست مولوداً فى القرن العشرين أو الواحد وعشرين لكنك مولود قبل القبل – قبل خلق الأرض والسموات لكنه ميلاد بالروح ﴿ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ

إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف]...

فذكرنا سبحانه وقال لقد أخذت عليكم العهد حتى لا تأتوا يوم القيامة وتقولوا نسينا!! فأرسل إلينا المذكرين ولذلك قال للرسول الكريم ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [٢١الغاشية] أى لست مخبراً ولكنه يذكرنا بمـا رأينـاه وعاينـاه ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعلى] .... مـن تنفـع ؟

تنفع المؤمنين الذين عاينوا جمال رب العالمين ﷻ -- وجاء الله ﷻ بـرق مـن الجنة وكتب عليه هذا العهد وجعله فى حجر أو فى زمـردة أو ياقـوته من الجنة على اختـلاف الروايات ولما نزل الخليل إبراهيـم وأمـره ببناء بيته الجليل ... فكـر!! مـن أين يبدأ الطواف يا رب ؟ قال سآتى لك بالحجر الذى به العهد الخـاص بهـم ولذلك عندما وقف أمامه الإمام عمر وقال **إِني لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَني رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُقَبلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ، ثُمَّ قَبَّلَهُ، فَقَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إِنَّهُ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، قَالَ: بِمَ ؟ قَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: وَأَيْنَ ذلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِيَّتَهُمْ } إِلَّى قَوْلِهِ: بَلى، خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَمَسَحَ عَلى ظَهْرِهِ، فَقَرَّرَهُمْ بِأَنَّهُ الرَّبُّ وَأَنَّهُمُ الْعَبِيدُ، وَأَخَذَ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ وَكَتَبَ ذلِكَ في رَقٍ، وَكَانَ لِهَذَا الْحَجَرِ عَيْنَانِ وَلِسَانَانِ، فَقَالَ: افْتَحْ فَاكَ، فَفَتَحَ فَاهُ، فَأَلْقَمَهُ ذلِكَ الرَّقَّ، فَقَالَ: اشْهَدْ لِمَنْ وَافَاكَ بِالمُوَافَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَة }**[١٣٢].

إذاً من البداية أخذ الله عليك العهد والميثاق أنك عندما تأتى هنا فى الـدنيا لا ترى فاعلاً أو متصرفاً ولا نافعاً ولا ضاراً ولا محيياً ولا مميتاً ولا محركاً ولا مسكناً ولا مصوراً ولا مبدعاً إلا حضرة من يقول للشيء كن فيكون !! .. وإياك أن تخلع وصـفاً من هذه الأوصاف على من يموت ويفوت!!! وإياك أن تخلع أى اسم من هذه الأسماء على من لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً وهو الإنسان!!

وهذه أعظم جريمة يرتكبها الإنسان فى هذه الأكوان! فيذهب لواحد ويقـول رزقي عليك! فهل مثل هذا عليه حتى رزق نفسه !!!؟

١٣٢رواه الهندى فى فضائل مكة وأبوالحسن القطان في الطوالات عن أبي سعيد (جامع الأحاديث والمراسيل).

والواجب هنا أن تقول رزقى على الله أولاً ثم بعد ذلك عليك .. أو يقول آخر لطبيب جئتك وأنت الذى على يديك الشفاء! مع أن الواجب أن يقول جئتك وأتمنى من الله أن يجعل على يديك الشفاء، وتنسب الفضل لصاحب الفضل ﷻ ... وهذا هو الاختبار الشديد الذى يختبر به الله ﷻ المؤمنين فى الدنيا !! أنهم ينسون الفعَّال لما يريد؟؟ أم أنهم سيتذكرون دائماً أنه ﷻ وحده! المحرك لكل العبيد؟؟

وقد جعل الله ﷻ الدنيا دار اختبار ليختبر الخلق على صحة هذا الإقرار! فقد قلنا جميعاً - بلى- أى أننا موافقون على أنك ربنا! .. فيقول تعالوا إلى الدنيا لتكون معكم الزخارف وزهرة الدنيا وزينتها والملاهي والمشاغل! لأرى ماذا تفعلون؟ هل تظلون على هذه الحقيقة ؟

إذا فعلتم ذلك فلا تخافوا .. فكل ما يطلبه الواحد منكم ويريده فسيأتى لك الله به فى أسرع من لمح البصر!! .. أما إذا تغيرت العقيدة وتحول القلب وأصبحت تنظر إلى فلان وإلى فلان!! وتنظر إلى الدنيا وزخرفها وزينتها !! وتظن أن لهذا جاه ولذاك سلطان! ولهذا مال ولذاك قوة !! ....

هنا قد ضعف اليقين فيكلك الله ﷻ إلى نفسك ...!!

وهذه هى المصيبة التي حدثت فى هذا الزمان للمسلمين.

وذكرك الله ﷻ بما أرسله مع النبي الأمين كتاباً يتلى .. به كل ما نحتاجه فى الدنيا أو فى يوم الدين، وما عليك إلا أن تقرأه وتتدبره لتعرف أن الله كفل بربوبيته المؤمنين إذا ظلوا على باب حضرته عاكفين، وقال لك فيه كل ما عليك:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [١٣٢ طه] وطعامهم وشرابهم وزواجهم ووظائفهم لا شأن لك بها فكلها على حضرة الرزاق ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه].

وقد استوثق أصحاب رسول الله والصالحون بكلام الله وأخذوه بيقين فأغناهم الله عن السفلة والكافرين والجاحدين والمشركين ولم يحوجهم إلى أحد من العالمين.

لم يكن النبى ﷺ فقيرا!

وسنأخذ مثالاً واحداً أنهي به حديثي حتى لا أطيل عليكم – سيدنا رسول الله ﷺ يعتقد بعض إخواننا الغير منتبهين أنه كان فقيراً ويضربون به المثل للناس أنه عاش فقيراً وعليكم أن تعيشوا فقراء مثله فمن الذى قال ذلك ؟

إن حضرة النبى ﷺ كان أغنى الأغنياء لكنه كان كريماً فكان ينفق ولا يخشى من ذي العرش إقلالاً وكما تعلمون فإنه بعد هجرته ضمن له الله ﷻ العزة .. كيف؟ أقص لكم القصة التى لا يعرفها الكثيرون....

قبل مبعث النبي بثلاثمائة سنة، خرج ملك اليمن تبَّع الحميري[١٣٣] بجيشه، وأراد أن يسيطر على المدينة وكان اليهود يقطنوها لمعرفتهم أن نبي آخر الزمان سيظهر فيها، فأرسل اليهود إلى تبَّع أنك لن تستطيع دخول هذه البلدة لأنها مهجر نبي آخر الزمان، فسأل تبَّع العلماء الذين معه عن ذلك؟ فأكدوه له، فاختار سبعين رجلاً من العلماء المصاحبين معه وبنى لكل رجل منهم منزلاً من طابق واحد وبنى لكبيرهم منزلاً من طابقين وزوج العلماء السبعين وأعطاهم المال الذى يستعينون به على الحياة، وتركهم بالمدينة وترك مع كبيرهم رسالة إلى رسول الله ﷺ .

وعندما هاجر سيدنا رسول الله ﷺ إلى المدينة **{قَالَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ: اُدْخُلِ الْمَدِينَةَ رَاشِداً مَهْدِيّاً، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إلى رَسُولِ اللَّهِ، كُلمَا مَرَّ عَلى قَوْمٍ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ههُنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ. يَعْنِي نَاقَتَهُ. حَتَّى بَرَكَتْ عَلى بَابِ أَبِي أَيُّوبِ الأَنْصَارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ}**[١٣٤] أى أن معها خط سير ممن يقول للشئ كن

---

١٣٣ قصة تبع وردت فى مصادر عدة بصور فيها إختلافات، وما ذكر هنا على قصره مجموع من السيرة الحلبية، تاريخ دمشق، الأزمنة والأمكنة، عمدة القارى، تاريخ مكة للأزرقي وغيرها. وروى أيضا أنه تبع الأول وقد حاول غزو مكة أولا فأصيب بداء عضال ليس له طب ولم يشف إلا بترك نية مهاجمة مكة بنصحية عالمهم الأكبر الجد الأعلى لإبى أيوب الأنصارى، فآمن بنبى آخر الزمان وكسا الكعبة فكان أول من كساها، وعلم أن اسم النبى الخاتم محمد ومهاجره المدينة فذهب إليها وترك بها أربعمائة عالم وبنى لهم بيوتا وزوجهم من جواريه بعد أن أعتقهم فصاروا جدود الأنصارويقال أن المدينة لم تكن قد عمرت بعد، وكتب كتابا للنبى الخاتم ودفعه إلى سيدهم، وروى أن النبى استلم الكتاب فى الطريق إلى المدينة أوفى مكة قبل الهجرة.

١٣٤ جامع الأحاديث والمراسيل عن ابن عمر.

فيكون! .. وكذلك لا يمشي واحد منا إلا بخط سير وإن كان لا يراه ولا يطلع عليه من الله لأنه قال ذلك ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [٢٢ يونس] فظلت الناقة ماشية إلى أن جاءت عند مكان وزمزمت ونخت فجاء الذين هم حول المكان مسرعين!! فقال ﷺ ما أقرب باب إلينا؟

قالوا باب أبي أيوب! فحمل أبو أيوب أغراض سيدنا رسول الله .. فجاء أخوال حضرة النبى ليأخذوه عندهم فقال المرء مع رحله، وكان منزل أبي أيوب هو المنزل ذو الطابقين وكان من ذرية كبير العلماء الذى قال له الملك تبَّع هذا منزل نبى آخر الزمان وعندما يهاجر عليك أن تسلمه له! ، ولما دخل رسول الله وبعد أن استراح قال: يا أبا أيوب أين كتاب تبَّع ؟ ... فجاء أبو أيوب بالكتاب وسلمه لرسول الله وكان عنوانه: إلى محمد بن عبدالله خاتم النبيين والمرسلين ورسول رب العالمين، من تبع لأول حمير، أمانة الله في يد من وقع هذا الكتاب في يده، إلى أن يدفعه إلى صاحبه، وفي الكتاب كلام كثير فيه أنه آمن بالنبى ولم يره وأنه على ملته وملة إبراهيم ويسأله ألا ينساه ... وكذا وكذا ، ثم شعر طويل منه:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله بارى النسم
فلو مد عمرى إلى عمره لصرت نصيرا له وابن عم
وجالدت بالسيف أعداءه وفرجت عن قلبه كل هم

فقرأه ﷺ و بعد أن قرأه قال : مرحبا بتبع الأخ الصالح (ثلاث مرات)، وذلك لأنه آمن قبل بعثة حضرة النبي بثلاثمائة سنة أو يزيد ، بل وبنى له بيته أيضاً ... إذاً فقد نزل النبي فى بيته !! ولم يسكن عند أحد !! .. فياللعزة .. والتكريم!!

والأنصار كانوا أناساً صالحين كما وصفهم الله فى الكتاب المبين: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [٩ الحشر]... فلم يمدحهم الله بصلاة ولا بصيام أو أى عبادة .. لكنه وصفهم بالصفات الحسان التي يحبها الرحمن، لماذا؟

ذلك لكي نعرف مراد الرحمن من الإنسان فأنت إذا صليت ألف ركعة فى الليلة

فذلك لنفسك ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ﴾ [٤٦ فصلت] وإذا صمت الدهر كله فلنفسك ... لكن ما يهمنا نحن كمؤمنين حولك ... وما يهم ربك هو ما شكل أخلاقك معنا! وكذلك معاملاتك؟ هذا هو ما يهمنا ويهم رب العزة ﷻ .

ولنسأل رسول الله من أقرب الناس إليك يوم القيامة يا رسول الله ؟ قال:

{ إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقاً}[١٣٥]، وقوله أيضاً: { أَحَبُّكُمْ إِلَى اللَّهِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقاً الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافاً الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ }[١٣٦].

لأن ذلك هو الغاية فكان الأنصار لرسول الله مكرمين وكان سيدنا سعد بن معاذ ﷺ يرسل لحضرة النبي كل يوم جفنة كبيرة فى الصباح يحملها عشرة رجال وجفنة فى المساء مملوءة بالثريد واللحم[١٣٧] – كم كانت تكفى هذه الجفنة؟

قالت الروايات أنها كانت تكفى لستين وهذا هو واحد فقط من الأنصار كان يطعم كل يوم ستين فى الصباح وستين فى المساء من ضيوف وزوار حضرة النبي ﷺ هذا بخلاف بقية الأنصار.

والأمر يطول لو تتبعنا الآثار فى هذا المنوال، وفوق ذلك أغناه مولاه فقد جاء أغنى يهودي فى المدينة إسمه مخيرق وجمع اليهود وقال لهم: يا معشر اليهود تعلمون أن محمداً على الحق فهيا بنا نحارب معه، واليهود كما وصفهم الله قوم بهت ينكرون الحق وهم يعلمون أنه الحق فأنكروا، فقال لهم: سأخرج لأحارب معه واعلموا علم اليقين أنى لو قتلت فإن كل مالي لمحمد، فذهب إلى معركة بدر ومات شهيداً؛ فورث رسول الله ﷺ ماله[١٣٨]وقد كان أغنى أغنياء المدينة! ... إذاً فإن أغنى واحد فى المدينة بعد موت مخيرق كان رسول الله ﷺ ... لكن كل الموضوع كما قال بعض الصالحين :

تعود بسط الكف حتى لو أنها ثناها لقبض لم تطعه أنامله

١٣٥سنن الترمذى عن جابر.
١٣٦رواه الطبراني في الصغير والأوسط،عن أنس.
١٣٧ أسد الغابة فى معرفة الصحابة لإبن الأثير الجزرى المحدث، وفيه (تدور معه أى يحملون الجفنة معه ﷺ حيث دار).
١٣٨ الأزمنة والأمكنة للمرزوقى وغيرها.

لو أراد أن يقبضها لا تطاوعه أصابعه لأنه كان ينفق على الدوام حتى عندما كان ينفد ما عنده ويأتيه سائل أو طالب عطاء يقول اذهب إلى السوق وابتع عليَّ (أى اشترِ على حسابى) أو اقترض عليَّ، ويروى سيدنا عمر ﷺ فيقول:

{ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: مَا عِنْدِي شَيءٌ أُعْطِيكَ، ولَكِنْ اسْتَقْرِضْ حَتّى يَأتِينَا شَيءٌ فَنُعْطِيَكَ، فقال عمر: ما كلفك الله هذا، أعطيت ما عندك، فإذا لم يكن عندك فلا تكلّف، قال: فكره رسول الله ﷺ قول عمر ﷺ حتى عُرِفَ في وجهه، فقال الرجل: يا رسول الله بأبي وأمي أنت، فأعط ولا تخش من ذي العرش إقلالاً، قال: فتبسم النبي ﷺ وقال: بِهَذا أُمِرْتُ }[١٣٩].

وكما ثبت فى الروايات الصحيحة التى جمعها الحافظ الشامى رحمة الله عليه وقد وضع هذا الرجل أكبر كتاب فى سيرة رسول الله أسماه (سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد) ، وهو كتاب من ستة عشره مجلدا ويقول الرجل لم أضع هذا الكتاب إلا بعد اطلاعي على ألف كتاب فى سيرة النبي بمعنى أنه جمع فيه ملخص ألف كتاب فى سيرة حضرة النبي ﷺ.

وقد جاء هذا الكتاب بما كان يملكه حضرة النبي وكما قال الكتاب كان يملك مائتا رأس من الأغنام وكانت ألبانها تذهب للضيوف وأهل الصفة من الفقراء والمساكين وكان يملك دواجن فى البيت تحكى عنها السيدة عائشة وتقول ﷺ: كانت لنا دواجن يتصايحن فإذا دخل ﷺ البيت سكتت ولم نسمع لها صوتاً.

وكان ﷺ يملك أكثر من عشرة جمال ومشهورون بأسمائهم، هذا بخلاف الخيل والبغال والحمير وأشياء كثيرة ذكرها أصحاب السيرة مجموعة يستطيع أى واحد الإطلاع عليها فى كتب السيرة .

فعندما يقول واحد أن النبي كان فقيراً فقد جانبه الصواب وكل ما عليك أن تقوله فى هذا المجال أن النبي كان غنياً بالله لأنه كان لحسن توكله على الله لا يمانع فى أن يخرج كل ما عنده فى لحظة وذلك ثقة بأن الله سيعطيه ويمنحه لأن الله ﷻ تولاه.

---

١٣٩ مجمع الزوائد وجامع المسانيد والمراسيل والترمذى عن عمر بن الخطاب ﷺ.

وقد كانت دوابه ﷺ عجيبة وغريبة:

وخذوا مثالاً : الناقة .. الناقة التى دخل عليها المدينة كان يقول دعوها فإنها مأمورة، وكان كل بيت من الأنصار يعمل تحية للنبى المختار، فمنهم من أعد التمر ومنهم من أعد اللبن، ومنهم من أعد العسل، واليهود كذلك ظناً منهم أنهم سيضحكون على حضرة النبي ,.. أعدوا تحية لحضرة النبي، فكانت الناقة إذا وصلت عند بيت الأنصاري تقف حتى يقدموا التحية !! وإذا مرت ببيت يهودي تسرع ولا تقف!! فما الذى عرفها أن هذا بيت يهودي! وأن هذا بيت أنصاري مسلم ؟ حتى أن الناقة التي كان يركبها كان عندها بصيرة وأخيراً وقفت عند بيته الذى جهزه له مولاه.

وقد ركب ﷺ ناقته فى الطواف وطاف بالبيت الحرام سبعة أشواط، وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، ولكنها لم تخرج شيئاً فى البيت الحرام!! حتى خرجت منه فلا تبولت ولا أنزلت روثا حفاظاً على حرمة البيت الحرام .

إذاً فهي ليست دواباً عادية.

ثم الحمار :الحمار الذى يملكه ﷺ كان إسمه يعفور، فقد كان ﷺ يسمى كل دابة باسم، وقد أخذ حضرة النبى هذا الحمار من خيبر عندما فتحها، وقد جعل الله له سهماً فى خيبر خاصاً به وهو الخمس، وكانت خيبر من أغنى المناطق فى بلاد الحجاز وبذلك أصبح خمس ريع خيبر لحضرة النبي وقد كانت بساتين غناء وحدائق جناء.

وكان ﷺ عندما يحتاج واحداً من أصحابه، ينادى على يعفور ويقول أريد فلاناً فيمشى الحمار فى طرقات المدينة حتى يصل إلى بيت هذا الرجل ويضرب الباب برأسه فيعرف أن حضرة النبي يريده، فيركب الحمار ويذهب إلى رسول الله.

فأين هذه الدواب العاقلة الآن ؟

وكان إذا أراد أن يصلى وهو مسافر أو فى الغزو وكما تعلمون فإن المصلى من المفروض أن يضع أمامه حائلاً لكي لا يمر أمامه أحد وكان الحائل الذى يضعه رسول الله هو أن يأتى ببغلته أو بفرسه ويوقفها أمامه، فهل يستطيع الفرس أو البغلة أن

تقف لحظة بدون حركة ؟ أبـــداً ... ومع ذلك كان الفـــرس لا يحرك ذيلاً ولا قـــدماً حتى ينتهي رسول الله من صلاته مع أنه لا يربطه ..ز وذلك لأن الله ﷻ ســـخر كـــل الكون وكل ما فيه للحبيب المختار ﷺ .

إذاً رسول الله لم يكن فقيراً وإنما من أغنى الأغنياء ولكنه كان يكثر من الإنفاق والعطاء، ولا يسأله أحد إلا أعطاه، وقد صنعت له امرأة بالمدينة عباءة قيمـــة وقالـــت هذه لك يا رسول الله فلبسها .. فوجدها ملائمة له .. وإذا برجل يقول: يا رسول الله إنى فى حاجة إليها! فلفها وأعطاها له، فلامه أصحاب رسول الله وقالوا: لم طلبتها مـــع أنك تعلم حاجة رسول الله لها؟ .. فقال: والله ما طلبتها إلا لتكون كفناً لى، فكان ﷺ كما يقول سيدنا عبد الله ابـــن عباس ﷺ أجـــود بالخير من الريح المرسلة.

أما الرواية التى تقول أن النبى ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودى قال عنـــها الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه: أنا أشك فى صحتها، وذلك فى تفسيره لجزء عم.

حيث قال: أن النبي ﷺ كما تقول رواية ابن اسحاق فى الـــسيرة لم ينتقـــل إلى جوار ربه إلا والجزيرة العربية كلها تدين بالإسلام، إذاً لم يكن بها يهودى أو مـــسيحي – فقد أخرج اليهود بنفسه من المدينة ومن خيبر وذهبوا إلى أزرعات ببلاد الـــشام– فأين اليهودى الذى كان بالمدينة ليقترض منه حضرة النبى؟

وأضاف الشيخ محمد عبده فقال: إن هذه الرواية عليها أثار الدس اليهودى .. لكي يقولون أن النبي كان محتاجاً لنا وانتقل وهو مديون لنا، والواقـــع كمـــا سمعـــتم يكذب ذلك – وحتى لو وجد هذا اليهودي ! هل يترك النبي أغنى أغنيـــاء أصـــحابه كعثمان ابن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن معاذ وغيرهم ويطلب من يهودي !! هل يجوز ذلك ويليق يا إخواني؟ كلا!!

ومثل هذه الروايات يجب أن تمحَّص ...

لأننا يجب أن نتره رسول الله كما نزهه مولاه، فإن الله ﷻ عظمـــه وعـــصمه وجعله مكرماً ﷺ فى كل آيـــات قرآنه ... إذاً لا يليق بالمؤمنين أن يـــسيئوه فى أمـــر صغير أو كبير مع تتريه الله وعصمته له ﷺ .

ولم يُسْحَر ﷺ كما شاع!

بل وشاع أيضا أنه ﷺ سحر وأورده البخارى فى صحيحه ... وقد ردَّ الشيخ محمد عبده على ذلك أيضاً عند تفسيره لسورتى الفلق والناس، فقد فسر الشيخ محمد عبده القرآن لكن التفسير الذى كتب وراءه وطبع هو جزء (عم) فقط، أما التفسير الآخر فقد كتبه الشيخ محمد رشيد رضا وطبعه فى كتاب تفسير المنار، وقد قال فى ذلك الشيخ محمد عبده عند تفسيره للسورتين أن هذه الرواية (فى البخارى) فى النفس منها شئ! وإن كانت فى الصحيح، لماذا؟ ....

ذلك لأن الله عصم النبى ﷺ وقال له: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [٦٧ المائدة]، والسحر يتنافى مع العصمة.

كما أن الرواية تقول أنه كان يخيل إليه أنه يأتى الشيء ولا يأتيه، فما بال السحر قد أثر فيه ولم يؤثر فى أصحابه! فلم نسمع عن واحد من أصحابه أثراً للسحر ظهر فيه من اليهود!

وكون أن الله ﷻ قد حفظ لسانه ليبلغ، فكذلك يحفظ جسده وذلك لأن أقواله سنة وأعماله سنة، ونحن نقتدي بأعماله كما نقتدي بأقواله، كما نأخذ بإقراره عندما يقرر أى أمر! فكيف يتعرض ﷺ فى جسمه لما لا يحمد ونحن نقتدي به!

وقد جاء الرجل بأدلة مفصلة لا أذكرها الآن ... ولكنها موجودة فى كتاب تفسير جزء (عم) للشيخ محمد عبده، وقد نقلنا جزءاً منها فى كتابنا "الكمالات المحمدية" عند الكلام عن النبي ﷺ .

ويجب على المؤمن أن يضع أمام عينيه عند الكلام عن رسول الله عصمة الأنبياء والمرسلين فلا يتكلم بما ينافى ذلك ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [٦٧المائدة].

ونحن جميعاً بشر !

فربما كما كان يحدث فى العصور السالفة وقد حكى ذلك الشيخ عبد الوهاب

الشعراني ﷺ فقد كانت كل الكتب تكتب بخط اليد، قال:

لما أخذ الناس بعض المآخذ على الشيخ محي الدين بن العربي، وقالوا أنه يدعو بعقيدة الحلول ووحدة الوجود مع أن هذا الكلام غير موجود فى كتبه فجاء الرجل بكتبه واختار منها الأقوال التي توافق العقيدة الصحيحة، وقال أظن أن هذا الكلام مدسوس، واستشهد بما حدث معه هو نفسه وقال:

عندما كنت أخط كتاباً كنت أعرضه على العلماء وأطلب منهم أن يوقّعوا عليه، فأخذ بعض الحاقدين كتاباً من كتبي ودسوا عليه ونشروه وتحاملوا عليَّ، فلما أخبرني العلماء بذلك جمعتهم وجئتهم بالنسخة الصحيحة التى وقعوا عليها فراجعوها فلم يجدوا شيئاً!! فعرفت وعرفوا أن الحاقدين والحاسدين قد دسُّوا على ذلك، ومثل هؤلاء موجودون فى كل زمان ومكان ...

واليهود عند بداية الإسلام توارروا عندما كان الإسلام قوياً ....

لكن بعد ذلك بدأوا يلعبون وأنتم تعلمون أن من أثار فتنة عثمان هو عبد الله ابن سبأ اليهودي فهو الذي ذهب إلى مصر والعراق واليمن ومعه اليهود وأموال اليهود لكي يثير الفتنة بين المسلمين.

وبعد ذلك وفى عصر ضعف الإسلام بدأوا يكيدون للمسلمين فى أحاديث سيد الأولين والآخرين، وكانت تروى فى هذا الوقت شفاهة وسماعاً والمؤمنين يصدقون.

فالواجب علىَ دائماً أن أضع أمامي ميزان عصمة الأنبياء وكل كلام يتنافى مع عصمة الأنبياء أضرب به عرض الحائط وعلىَ بعد ذلك كتاب الله وإذا أردت أن أتكلم عن رسول الله فكتاب الله موجود وبه كل شيء فهو:﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [٤٩ الكهف].

نسأل الله ﷻ أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يعيننا على العمل بما علمنا ليرفعنا وأن يجعلنا من ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ [١٨ الزمر]

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس الثانى والعشرون

حقيقة الأمانة التي حملها الإنسان [١٤٠]

نحمد الله ﷻ على جميع عطاياه ونشكره سبحانه على ما خصنا به من فضله ونوره وجدواه والصلاة والسلام على سبب كل نعمه ومصدر كل عطاء سيدنا محمد، الذى يقول فيه الإمام الشافعى ﷺ وأرضاه (أمسينا وما بنا من نعمة ظاهرة أو باطنة فى دين أو دنيا أو آخره إلا ورسول الله ﷺ سببها وهو الذى أوصلها إلينا.

فاللهم أوصل صلة الصلاة على حضرة الحبيب المختار الذى زينته الأنوار وملأت قلبه بالأسرار وجعلته قبلة وكعبة للصالحين والأخيار ﷺ وعلى آله الأبرار وصحابته الأطهار وكل من دعا بدعوته إلى يوم القرار وعلينا معهم بمنك وجودك ياعزيز ياغفار .

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين بادئ ذى بدء فالفضل فضل الله ولا يعلم السر الذى نقتبس منه فى مجالسنا هذا إلا الله لأن الأخيار لهم أسرار خصهم بها العزيز الغفار ويقول فى بعضها : { **إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره** }١٤١.

أى قد يكون رجل فى الشارع والناس لا تعبأ به ولا تهتم بشئونه ومع ذلك له سر وجاه عند ربه لو سأل الله أعطاه وهذا فضل الله ﷻ على هذه الأمة المجتباه فليس الشأن شأن العلم ولا شأن الكلام ولا شأن الأحاديث وإنما الشأن شأن الأسرار التي ملكها العزيز الغفار ﷻ والحمد لله علمنا الصالحون من عباد الله أن أرزاق العلوم تأتى من الحي القيوم على حسب أحوال الحاضرين السامعين ونحن موزعين ومبلغين والفضل لمنزل هذا العلم وهو رب العالمين ﷻ

---

١٤٠ طفنيس يوم الاثنين ٢محرم ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨/١/٢٨م، درس بعد العشاء - بديوان الحميرات.
١٤١مسند الشاميين عن معاذ بن جبل.

كل الذى أنـا فيـه فـضل محمـد منه بدا وإليـه كـان وصـوليا

وإذا كان الصديق الأكبر ﷺ بعد أن اختاره المسلمون خليفة عن رسـول الله ﷺ ، انظر إلى حكمته فى الكلام وبيانه الذى تعجز عنه العقول والأفهام صـعد منـبر الحبيب وكان المنبر ثلاث درجات فوقف على الثانية ورفض أن يصعد الثالثة حـتى لا يقف فى موقف رسول الله ﷺ لأدبه ثم قال لإخوانه وأحبابه : { **أَيُّها النَّاسُ، فَإِنِي قَدْ وُلِيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ...** }... وانظر إلى مقام الأدب الجم مع أنـه بلـسان القرآن وبيان النبي العدنان أفضل هذه الأمـة بعد المصطفى ﷺ وهكذا يكون الرجال الذين تعلموا على يـد المصطفى ﷺ ثـم يزيـد فيقـول :

{ **أَيُّها النَّاسُ، فَإِنِي قَدْ وُلِيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِمُونِي.... وَأَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلاَ طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ** }[١٤٢] آداب غاليـة وعالية مـشى عليهـا أئمة المتقين منذ عهد الصديق الأول إلى يوم الدين .

ولذلك تجد دائماً وأبداً أن كمل الصالحين الذين يلبـسون ملابـس العجـز والمسكنة والإنكسار بين يدي رب العالمين فلا تجد منهم من يلبس ملابس الكبريـاء أو يرى لنفسه حالاً أو قالاً ولا عملاً وإنما يرى نفسه بالله فإن أقامه مولاه أعانـه وقـواه وإن تخلت عنايـة الله ﷻ عنه لحظة أو طرفـة فى ليـل أو نهار فإنما هـو طيـن وتـراب فقد الجمال والكمـال الذى كمـل الله به الرجال والصالحين والأبـدال وهذا يا إخواني هو المقـام الذى قالـوا لنا فيه (قـف علـى تـرب العبـودة خاضعاً) فـدائماً يـرى الرجـل الصالح نفسه إمـا فى مقـام التـراب وإمـا فى مقام الماء المهين وإما فى مقام العـدم البحت .

وكما قلنا إما فى مقام التراب والتراب ليس به عين أو سمع أو عقل ولا حيـاة ويرى أن كل هذا الجمال الذى جمل به من سمع وبصر ونطق وحياة وحسن وقدرة هو جمـال مولاه تفضـل بـه عليه ﷻ فى هـذه الحيـاة وعليـه أن يرعـاه كما أراد

١٤٢ ابن إسحاق فى السيرة عن أنس (جامع الأحاديث والمراسيل)

مولاه وهـــذه هى الأمانة التى يقـــول فيها:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [٧٢ الأحزاب]

فمــا هى حقيقة الأمــانة ؟ ليــس لهي شــــأن بــأقـــوال المفــــسرين العقــلانيين . فمنهم من يقــول أن الأمــانة هى العقــل ومنهم مــن يقــــول أن الأمــانة هى التكاليــف الشرعية .

فهل يعرض الله التكاليف الشرعية على السموات والأرض والجبــال ؟ كــلا فليس لهم شأن بتلك التكليفات لأنهم طائعين باســتمرار .

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [١٥ الرعد]

أى طائعين وســاجدين فبمــاذا يكلفهــم وماذا يفعلــون بالعقــــل فهــل يحاسبون ؟ فالعاقــل هــو الذى سيحاسب وهــو الإنســان.

إذاً مــاذا تكــون الأمــانة؟

الأمــانة هى صــفات الله التى عرضــها ولــم يتحمــل بـــها كلــها إلا الإنسان فقد أخذت السموات وصفاً واحــداً ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا ﴾ [٧ الـرحمن] هــل رفعها بأعمـــدة أم بجبــال مــن أعلى ؟ كــلا ولكــن رفعها باسمه ﷻ الرافع وهو اسم واحد تجلى عليها الرافع فرفعت ولــذلك إذا أراد الله ﷻ زوالها تجلى عليها باسمه ﷻ الخافض فينتهي أمــرها ويــزول شــأنها .

أما الأرض ﴿ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ﴾ [نوح] اسم الله البــاسط فهو الــذى بســط الأرض ومهدها وهــو الذى يحملها فالأرض الــتي تجـــرى فى الكـــون وأولادنا فى المــدارس يعرفــون مقــدار سرعــة جريانها وهــى تجـــرى حــول نفســها وحــول الشمس فى ذات الوقت وذلك لأن الكل يجرى.

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ

﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس]

أما نحن فمتحيرون ولا ندرى كيف ننظم المرور فى القاهرة ؟ فمـــن الذى ينظم مرور الأفلاك والنجوم فى المجرات التي لا حد ولا عد لها – هل هناك رجال مـــرور أو إشارات ضوئية؟ ... ومع ذلك لا شئ فى هذه المجرات يحدث بينه وبـــين الآخـــر أى تداخل أو صدام لأنه لو حدث ذلك لقامت الساعة – والحفيظ ﷻ هو الذى حفـــظ التوازن بين هذه الأفلاك والنجوم والمجرات باسمه الحفيظ.

أما الجبال فقد أخذت إسمين من أسماء الله (القـــوى والمتين).

فمن الذى أخذ كل الأسماء ؟ أنت وأنا!!!!

وأنا وأنت ما أصلنا ؟ إما من تراب ، وإما مـــن طين وإمـــا من ماء مهين وقد جاء الله بكل هذه الصور فى القـــرآن ﴿ خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ [٣٧ الكهف] والتراب غير مباشر فهو بتسلسل ﴿ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [المؤمنون] فالـــتراب خـــرج منه النبات، والنبات أكله الإنسان فيتـــكون منه المـــاء المهين، أو يأكل الحيوان النبات أو الطير فيأكل الإنسان مـــن الطير أو من الحيوان فيتجمع منـــه كذلك الماء المهـــين: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [المؤمنون].

وسلالة أى تسلسل بعد ذلك يدفع كل عضو من أعضاء الإنسان زكاته ومـــن يجمع الزكاة هو الدم الذى يسيره الله فى أرجاء الإنسان بعد ذلك تذهب الزكـــاة إلى بيت المال وهو النخاع الشوكى الموجـــود فى مؤخـــرة الإنســـان فيصنع الله ﷻ منها إنسان لا تراه العينان ولكن يـــرى بالمكبرات آلاف المرات لكن فيه كل خصائـــصك يأيها الإنسان ففيه عينك وأذناك وشعورك وشكلك وبصماتك وفيه كل شـــئ منـــك حتى عندما يراه أحد يقول أنه صورة منك.

هذا الإنسان هو الذى كونه الرحمن أصله تراب أو طـــين أو مـــاء وصـــفه الله بالمهين هل كان يسمع أو يرى أو يتكلم أو يتحرك ؟ أبـــــداً وعندما يتجلى عليه الله ﷻ بأسمائه الحسنى يأخذ هذا الجمال فإذا تجلى بالسميع سمع الإنـــسان بأذنيـــه ، وإذا تجلى عليه بالبصير أبصر الإنسان بعينيه ، وإذا تجلى بالمتكلم نطق الإنسان بلحمة لسانه

، وإذا تجلى الحى وهذا يكون بعد أربعة أشهر يتحرك الإنسان ويحيا بامر الرحمن ﷻ ، وإذا تجلى بالقوى قوى بنيانه ولذلك تجد أن الإنسان وحده هو الذى فيه كل أسماء الله الحسنى

يأأيها الإنسان من طين فخار تكونت كى ترأى مظاهر أسرارى
ومن طينة أنشأت آياً جلية فصرت بمحض الفضل حصن قرار
أكنت سميعاً أو بصيراً وعالماً لكننى أحسنت بالمدرار
نسيت جمال الله فيك تيقظن فمن ينسه يلقى سعير النار

ولذلك فإن سيدنا على ﷺ وكرم الله وجه يقول:

{ أيها الإنسان تبصر بشحمة وتسمع بعظمة وتنطق بلحمة}

فما الذى تنظر به؟ قطعة شحم والعزيز الغفار جعلها مالحة لكى لا تتعفن وتسمع بعظمة والحفيظ ﷻ يحفظها بمادة مرة لكى لا يدخلها دبيب أو حشرات صغيرة أو كبيرة تؤذيك وتغلق السمع الذى فتحه خالقك وباريك وتتكلم بقطعة لحم وتتذوق الطعام بها وتلوك الأكل وتدخل بها وتشعر بمذاق كل شئ بها لأن فيها حاسة التذوق، وكل ذلك جاء من تجلى الله على الإنسان الذى جعله خليفة عنه فى هذه الحياة :

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٢٦ ص]

كيف يكون الخليفة؟

لأنه حمل أسماء الله وصفات الله.ومن يحمل أسماء الله وصفات الله عليه أن يعرف أنها أمانة فيستخدمها كما يريد الله وكما وضح الله فى كتاب الله وكما بين حبيب الله ﷺ فى سننه ولا يستخدمها فى حظه وهواه وهذا هى العتبة التى يقف عندها العارفون والصالحون ويرى الواحد منهم دائما نفسه فى هذه الزاوية ولا يريد أن يتركها إذا ارتقى وتركها قليلا يعود إلى .. خلقتك ولم تك شيئا !!

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ ﴾ [الإنسان]

لم أكن أى شئ ثم أصبحت بعدها شئ لكن بالله ، وبفضل الله ، وبقوة الله وبمعونة الله ، وبتوفيق الله وهذه القوة من الله وليست من الطعام والحول الذى معى كذلك من الله ﷻ ....

إذا لا ينبغى أن ارتكب به الذنوب العظام والآثام التى تغضب الملك العلام ﷻ أتعصى الله بقوته ؟ أتغضب الله ﷻ بفضله وجوده الذى فيك ورحمته ؟ وعلى الإنسان أن يقف عند هذا الأمر ويحكى دائما على فضل الله وعلى كرم الله ولا ينظر إلى نفسه أبداً، فرجوع الإنسان ووقوف الإنسان عند مقام بدايته إن كان طيناً أو ماءاً مهيناً ... أو لم يكن شيئاً هو الدواء للداء العضال الذى هو الشرك بالله ﷻ !! فلا دواء مثل ذلك، ولذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ :

علمت نفسى أنى كنت لا شئ فصرت لا شئ فى نفس وفى كلى
به تنزه صرت الآن موجوداً به وجودى وامدادى به حولى
ومن أنا عدمٌ الله جملنى فصرت صورته العليا بلا نيل

وجاء الله فى القرآن وبين لنا أن السبب فى الطاعات والصالحات والقربات والأعمال والخيرات التى نعملها فى كل وقت وحين ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [٧ الحجرات] ... فما الذى يدفعك ويحثك على فعل الخير والصالحات والمبرات والقربات ؟

وإياك وأن تظن أن عقلك أو فكرك أو نفسك !!! فهى التى تدعوك إلى المخالفة !! أو بمهارتك وذكاءك؟

ما يد فعك هنا هو السر الذى أودعه صاحب السر فى القلب ليواجهك إلى عمل البر فإن الله ﷻ بمنه وكرمه وجوده جعل تجوايف قلب كل مؤمن ضميره من نور حبيبه يقول فيها ﷺ فى حديثه الذى يرويه الإمام البخارى ﷺ :

{ إِنَّ الله عز وجل خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ

ذَلِكَ النُّور اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ}

إذاً فإن سبب الهداية وسبب العناية وسبب كل الصالحات والخيرات والمسبرات هو الجزء الذى فيك من نور رسول الله ﷺ وذلك لأن الله يقول ﴿ فِيكُم ﴾ [١٧الحجرات] فجعل الله ﷻ فى الأكوان وارثاً للنبى العدنان، وجعل الله فى قلب كل إنسان له كيان نور من نور النبى العدنان ومن ليس معه هذا النور فهو فى الطريق الآخر !!!

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور]

وهذا حتى لو أسمعناه كل كلام العلماء فلن يهتدى لأن الهداية لها سببها وهو النور الذى استودعه الله ﷻ فى صدور المؤمنين والمؤمنات وهذا يقول فيه رسول ﷺ ما معناه إن فى القلب لغيب وإن فى الغيب لسر وإن فى السر لأنا، ويقول أيضاً فيما اشتهر من الحديث على ألسن الناس: { أَنَا مِنَ اللهِ وَالمُؤْمِنُونَ مِنِّي }١٤٣

إذاً المؤمنون من نور رسول الله ﷺ ... فظاهرك فيه أسماء مولاك ... وباطنك فيه النور الذي حباك به مولاك ...

إذاً فأن من يتصرف فيك بالكلية ظاهراً وباطناً هو الله جلا فى علاه ..

فيجب عليك أن تنسب كل فضل إلى الله وتشكر الله على أن جعلك سبباً لهذا الفضل وتشكر الله على أن أقامك مقام الموفقين وجعلك فى ديوان المحبين وأجلسك فى رحاب المؤمنين لأن هذا الفضل لا يستطيع أحد من الأولين والآخرين أن يشكر الله ﷻ عليه لأنه فضل رب العالمين ﷻ .

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ ﴾ [١٧ الحجرات] فقال سبحانه قل لهم:

﴿ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات]

---

١٤٣ أورد الديلمى عن عبدالله بن جراد بلا إسناد، وورد فى اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة فى التعليق عليه قول المؤلف: قال بعض الحفاظ هذا اللفظ لا يعرف عن النبي لكن ثبت في الكتاب والسنة أن المؤمنين بعضهم من بعض كما قال تعالى "بعضكم من بعض"، وقال رسول الله "الاشعريين هم مني وانا منهم"، وقال لعلي ﷺ "انت مني وأنا منك" ، وقال للحسن "هذا مني وانا منه" وكلها صحيحة.

ولذلك فإن أصحاب حضرة النبى كانوا يقولون:

اللـــهم لـــولا الله مـــا اهتـــدينا ولا تـــــصدقنا ولا صـــــلينا

فـــــأنزلن ســــــكينة علينـــــا وثبـــت الأقـــــدام إذ لاقـــــينا

وكان سيدنا أبو بكـــر الصديق ﷺ يقـــول:

{ عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى }[144]

فمن منا يستطيع أن يعرف الله سبحانه بذاته بدون فضل الله وتوفيق الله ومعونة الله وهباته، فدائما المؤمنون والصالحون والمقربون واقفين عند هذا المقام يا أخــــوان وأمامهم فضل الله وكرم وعطاء الله وذلك لكى يــشكروه علـــى هـــذه النعـــم فيستحقوا المزيـــد من الله وحقيقة أعمالهم.

لو نظرنا للعمل فى حقيقته نجد أنه كله فضل من الله لأنه إذا أقامك أعانك ولو تخلت معونة الله عنا طرفة عين هل نستطيع أن نطيعه ﷻ ؟ ولو تخلـــى عنـــا بحفظـــه وصيانته هل نستطيع أن نمنع أنفسنا من عصيانه ومخالفة أمره؟

إذاً لا حـــول لنا عـــلى طاعته إلا بفضله وقوته ولا طاقة لنا على صيانة أنفسنا من عصيانه إلا بحفظه ﷻ وصيانته بذلك يجب على الإنسان دائما وأبداً أن يكون مع الله فى كل أحواله ولله فى كل أطواره ويذكر الله ﷻ بأفضاله فى كل وقت وحين يرى لنفسه الذنوب والمعاصى والغفلة والجهالة والبعد والصدود وكل سوء ينسبه لنفـــسه وكل فضل ينسبه لربـــه:

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [٧٩ النساء]

فعـــلا ما يتباهى الإنسان وماذا لى كى أتباهى به ؟ فالبيان إلهام من الرحمن حتى ولو حصلته فإن النطق بالبيان لا يتم إلا بتأييد من الرحمن وتذكـــر البيان وسوق البيان مسلسلاً للسامعين كما يحب الرحمن لا يأتى إلا بمعونة من الرحمن ولو حفظ الإنـــسان

١٤٤ مرقاة المفاتيح.

منا القرآن الكريم حفظاً جيداً وأحكم حفظه وتجويده هل يستطيع أن يتلوه أو يتلفظ به إلا إذا أعانه الله ﷻ فلو قطع الله ﷻ عنه المعونة فى آية فماذا يفعل ؟ سيقف ولو قطع المعونة عنه فى كلمة فمن أين يأتى بها ؟ ولو قطع المعونة عنه فى حرف فلن يستطيع أن يأتى به.

إذاً فكل أمر بتوفيق الله ومعونة الله ولذلك قال لنا اجعل كل ما تعمله خلف ظهرك فبماذا تفرح ؟ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس].

حتى أن الرجل الصالح سيدى عبد الكريم الجبلى ؓ لما نظر إلى نفسه وهو يتحدث لأخوانه قال:

أنا آلة والله جل الفاعل أنا قلم والاقتدار أصابع

أى أن ما يحركنى هى القدرة ومن جاء بالكلام ومن يعين على نطق الكلام ومن يجعل للكلام وقع فى نفوس السامعين هو رب العالمين ، فإذا جاء لك بالكلام وأعطاك الفصاحة ووفق اللسان للنطق وأعطاك أيضاً الصوت لأن الصوت من عنده ولم يجعل لك قبولاً فى نفوس الحاضرين والسامعين فمن الذى يجلس ويستمع؟

فالأمر إذاً فى البدء وفى الختام من الله وبالله ولا يجب على العبد أن ينظر إلا إلى توفيق مولاه جل فى علاه.فعلى من تتباهى ؟ فمن يتبهى بصوته مثلاً هل أنت الذى صنعته أو أنت الذى جملته وأبدعته أو أنت الذى تستطيع أن تحافظ على هذه الأوتار فلو حدث بها خلل من الذى يستطيع أن يصونها غير الواحد القهار ؟ وأين العقل الذى تجمع الكتب وتضعها فيه؟

لا يعلمه ولا يعلم موضعه إلا خالقه وكذلك الإرسال الذى يأتيك من العقل لا يطلع عليه أحد من البشر مهما أوتى من قوة الصنعة والاختراعات والقدر فأين الكابل الواصل منه العقل لك، والذى لو توقف لتوقفت على الفور فمن الذى يستطيع أن يحركه ويشغله إلا من يقول للشئ كن فيكون !!!، وهذا يا أخوانى ما يجعل العارفين يقفون عن هذا الأمر فيتجلى عليهم المتجلى ويعطيهم كما قال فى حديثه:

{ وَمَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا. فَإِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي، أَعْطَيْتُهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي، أَعَذْتُهُ }[١٤٥].

فإذا أعطاه عينه فإنه يرى الذى فى الصدور بنور حضرة الغفور ويرى الذى فى الملكوت بنور العزة والجبروت ويرى ما فى اللوح المحفوظ وما فيه من كنوز بالنور الذى يمده به الله ﷻ {اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله}[١٤٦] ...

ومع ذلك لا يتباهى ولا يفتخر لأنه يعلم علم اليقين أنه لا يرى إلا بالله جل فى علاه فإذا دفع بيده يكون الدافع هو حضرة الله وإذا سمع أصوات الكائنات وإلى تسبيح ملائكة السموات يعلم علم اليقين أنه يسمع هذه النغمات بما تجلى عليه الله ﷻ وأعطاه من سمعه الذاتى فبماذا يفتخر أو يتباهى ؟

ولكل ذلك لا يفتخر أحد من العارفين إلا بفضل الله وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى ﷺ إذا سمع أحداً يثنى عليه يقول: **{حدثونا بفضل الله علينا}** لأنه يرى أن ذلك بفضل الله وكان سيدى الجنيد ﷺ يقول: **{ لى ثلاثون عاماً أكلم الحق فى الخلق والخلق يظنون أنى أتحدث معهم }.**

إنها أحوال عالية وراقية لماذا ؟ لأنهم عرفوا نفوسهم ذلاً ومسكنة ونسبو الفضل إلى الله ولم يجحدوا هذا الفضل وينسبوه لأنفسهم فوفقهم الله وأعانهم الله عليه رجالاً يمشون فى الأرض كما قال الله ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [١٢٢ الأنعام]

نسأل الله ﷻ أن يعرفنا بنفوسنا وأن يكشف لنا عن معانى صفاته وعن جمال حضرة ذاته وعن الكمال الذى كملنا به فى الأكوان وأن يجعلنا دائماً وأبداً على ترب العبودية لحضرته خاضعين لفضله سبحانه وتعالى فينا ولنا وحولنا ناظرين ولا نرى فضلاً لنا ولا حولنا إلا من حضرته فى كل وقت وحين، ونسأله ﷻ أن نكون من عباده الذاكرين الشاكرين الفاكرين الحاضرين ..

١٤٥ صحيح البخارى عن أبي هريرة.
١٤٦ سنن الترمذي عن أبي سعيد الخدري.

وألا يتركنا إلى أنفسنا أو إلى أهوائنا طرفة عين أو أقل حتى لا نذل أو نضل وأن ينظر إلينا بعين عنايته ويوالينا دوماً بخالص رعايته حتى لا نتحرك ولا نسكن إلا بإرادته ولا يكون لنا هم ولا مراد إلا وفق مشيئة، ونكون فى الدنيا والآخرة من الواقفين دوماً على أعتاب حضرته طالبين لعطفه ونظرته ورحمته وحنانته وشفقته ومودته مع خيار بريته ومع سيد أهل كونه وخليفته .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس الثالث والعشرون

حقيقة الكائنات العالية والدانية[147]

بسم الله الرحمن الرحيم .... الحمد لله الفتاح العليم الوهاب الرزاق الكريم الذى جعل كل ما يريده من خلقه فى قرآنه الكريم ففيه ما يريده منهم من عبادات وفيه ما خصهم به من أخلاق ومعاملات وفيه ما خفهم به من لطف، وكرم وعنايات وفيه ما منحهم ﷻ فيه من وصايا نورانية ربانية إلهية وتوجيهات وفيه كل العلوم والفهوم التي يحتاج إليها المسلم والمؤمن والمحسن والموقن صغيراً وكبيراً غنياً وفقيراً عالماً وجاهلاً رجلاً وامرأة فى كل الحالات.

والصلاة والسلام على من اختاره الله ﷻ لنزول القرآن ونظر إلى قلبه فأعلى شأنه ومنحه الغفران فغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر سيدنا محمد الذى كان حاله القرآن وكلامه بالقرآن وعمله بالقرآن وأكله وشربه بالقرآن ونومه وجلوسه بالقرآن وحركاته وسكناته بالقرآن فقد كان خلقه القرآن صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المباركين وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين.آمين يا رب العالمين.

---

١٤٧ الثلاثاء ٢١ محرم ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨/١/٢٩م درس بعد صلاة العشاء بمسجد السيدة زينب بالقرايا بمركز إسنا.

اخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين.دائما ما نجتمع فى بيــت الله علــى مأدبة كتاب الله وليس لنا حديث إلا عما سمعناه من آيات كتاب الله جل فى عـــلاه وهذا منهجنا وهـــذا دأبـــنا الذى علمنا إياه السادة العارفون ..... فنحن دائمـــا فى المساجد على مأدبة كلام الله وما سمعناه من الآيات نبينه على قدر الحاضـــرين وعلـــى قدر ما يستطيع تحمله السامعين بما يمنحنا رب العالمين من فضله وعلمه ﷻ ونرجو من وراء ذلك كله أن نعلم ولو آية فنعمل بها فنكون من أهل العنايـــة ويرزقنـــا الله ﷻ البركات والخيرات التى يتنزل بها لأهل العناية والرعاية فما أحوج المسلمين أجمعـــين فى هذا الزمان إلى العمل ولو بآية من القرآن.

فالقرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار يتلى فى السيارات ويتلى فى الإذاعات ويتلى فى الفضائيات لكن أين العاملون بكتاب الله ؟ أين الذين يستمعون هذا القـــول بقلوبهم ثم ينفذونه بأجسامهم وجوارحهم طلباً لمرضاة رب العباد ﷻ.نرجو الله ﷻ أن نكون أجمعين من هؤلاء وأنا على ثقة أن الحاضرين أجمعين ما اجتمعوا فى هذا المكان إلا لأن الله خصهم بـــذلك وأرى فيـــكم حديـــث حضرة الـــنبى ﷺ: { **أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ**}[١٤٨] والآيات التى استمعنا إليها من القـــرآن الآن تـــبين حقيقـــة الكائنات العالية والدانية وأنها لا تتماسك ولا تتحرك لمن يتحرك منها ولا يسكن مـــن ســـكن فيهـــا إلا بنـــور الله ﷻ الذى تجلى بـــه عليهـــا ﴿ **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ [٣٥ النور].

كل شئ فى السموات وفى الأرض فيه قبس ولو قليل من نور الجليـــل ﷻ .... وقد أثبت ذلك العلم الحديث فقالك أن كل شئ فى الأكوان يتكون مـــن ذرات ... وكل ذرة تتكون من كهارب ... ونقول أن الكهارب وإن كانت من الدنيا الظـــاهرة إلا أنها عبارة عن نور من نور الله ﷻ الذى يسير الكون بأمره وبـــسره .... وبـــذلك عندما نسمع قول الله عز شأنه :

﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ** ﴾ [٤٤ الإسراء]

١٤٨ مسند الإمام أحمد عن أنس بن مالك.

نعرف أن كل الوجود يسبح الرب المعبود بما فيه من حياة نورانية خصه بها رب البرية ﷻ صحيح أنها ليست كحياة الإنسان لكنها حياة أوجدها فيه الرحمن ﷻ لأن الله جعل لكل صنف من الكائنات حياة خاصة به لا يستطيع أن يطلع على ذلك ولا أن يرى قبساً من ذلك إلا من قربه مولاه وكشف حجابه وأطلعه بفضله على ذلك لأن الله ﷻ لو كاشفنا بذلك تستعصى علينا الحياة ولا نستطيع أن نعمل لأننا سنرى نور الله فى الحوائط وفى الأعمدة ونرى نور الله فى الجمادات والنباتات ونراه كذلك فى كل الكائنات وبذلك لا يستطيع الإنسان أن يتحرك يمينا أو شمالاً لما يراه من نور مبدع الكائنات ﷻ.

حتى أن الصالحين الذين يصفون قلوبهم ويطهرون نفوسهم ويبلغون درجة من الصفاء يرون بها هذا النور وهذا الجمال وهذا البهاء يطلبون من الله ﷻ أن يتنزل لهم بغطاء مع أن هذا عطاء لكى يستطعون الحركة والعمل فسيدى أبو الحسن الشاذلى ﷺ وكان يمشى فى الصحراء يذكر الله ﷻ يقول:

قوى على النور فرأيت ذرات الرمال كلها نور فأخذنى حصر البول فتحيرت أين أتبول وكل ما أراه حولى نور؟ فسألت الله ﷻ أن يحجب هذا المشهد عنى فنوديت:{لو ناديتنا بكل رسلنا وأنبيائنا ما حجبناك ولكن سلنا أن نقويك على هذا المشهد، فسألت الله ﷻ أن يقوينى فرأيت بالعينين } (رأيت المشهدين) .

إذاً من يرى النور الصافى الصرف كيف يمشى و يتحرك ؟ لن يستطيع مع أن كل شئ فى الوجود حياته بسر النور الذى فيه من حضرة المعبود ﷻ:

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [٣٥ النور].

والآية فيها بيان كثير امتلأت به كتب التفسير لكننا نريد أن نأخذ بيان يخصنا

فى حياتنا يقربنا إلى العلى الكبير ﷻ فالله نور والقرآن نـــور:﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِى مَا ٱلۡكِتَـٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلۡنَـٰهُ نُورًا ﴾[٥٢ الشورى]، والنـــور هنا هو القرآن ﴿ نَّهۡدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾ [٥٢الشورى].

إذاً فالله نور ... والقرآن نور.... والرســـول ﷺ نـــور: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [المائدة].

وسأطيل فى هذه القضية لأن نورانية الله ونورانية كتاب الله لا يختلف فيها أحد من خلق الله .... لكن المصيبة أن كثيراً من المسلمين لا يرتضون بنورانية رســـول الله ﷺ مع أنها حقيقة فى الكتاب المبين، و يقولون أن النور فى الآية هو الكتاب .. ولـــو كان النور هو الكتاب هو الكتاب لحذفت الواو الموجودة بينهم ولكانت الآية (قَدْ جَاءكُم مِّـــنَ اللّه نُـــورٌ) مـــا وصفـــه (كتَابٌ مُّبِينٌ) ، وهذه الواو يسمونها فى اللغة واو المغايرة وهى تقتضى أن ما قبلها غير ما بعدها فعندما أقول جاء محمد وإبراهيم هـــل يكـــون الإثنان واحداً ؟ لا فمحمد واحد وإبراهيم واحد آخر لكن عندما أقول جـــاء محمـــد إبراهيم فهو شخص واحد .. إذاً الواو تقتضى أن ما قبلها غير ما بعدها.

فالنور هو رسول الله والكتاب المبين هو كتاب الله الذى بينه رسول الله وفصله رسول الله فى تشريعاته وفى أخلاقه وفى معاملاته فقد أمرنا الله ﷻ بالصلاة وقال مرة: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾ [٤٥ العنكبوت]، ومرة أخرى يقول: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [طه]، ومرة ثالثـــة يقـــول: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴾ [٢٣٨ البقرة]، ورابعة يقـــول: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [٥٦ النور] ..... فكيف نصلى ؟... وكم فرض؟ ومـــتى؟ وهذا الفرض كم ركعة؟ ....وكيف نركع؟ ... وكيف نسجد ؟ أين كـــل ذلـــك فى كتاب الله يا أحباب؟ من الذى أبان الصلاة ووضحها؟ ..... رسول الله ﷺ !!!

فقال الصبح ركعتين ووقته كذا والظهر أربع ركعات ووقته كذا والعصر أربع ركعات ووقته كذا وكذلك كل الفروض وقد وضح أيضا كيف نركع وكيف نسجد وماذا نقول فى الركوع والسجود ؟ وماذا نقول فى الوقوف ؟ وماذا نقول فى الجلوس

وكيف نخرج من الصلاة ؟ رسول الله ﷺ هو الذى بين الكتاب ووضحه ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾ [١٠٣ التوبة] ما هى؟ وَآتُوا الزَّكَاةَ ما مقدار الزكاة فى الزرع؟ وكم فى الضروع؟ وكم فى المال؟ وكم فى الذهب؟ وكم فى الفضة ؟ من الذى جاء بالمقادير وبينها ووضحها ؟ سيدنا رسول الله ﷺ .

وكذلك الحج وكذلك الصيام وكذلك كل أحكام شرع الله ﷻ الذى بينها ووضحها هو المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ولذلك عندما يقول بعض الجاهلين نكتفى بالقرآن دون السنة فكيف يصلى واحد من هؤلاء ؟ وقد قال ﷺ {صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي}[149] و قال: {خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ}[150] من إذاً الذى يستطيع أن يعمل بالقرآن وحده ويترك السنة؟

لا يستطيع أحد... إذ لا بد من البيان الذى بين القرآن وهو رسول ﷺ ...

نعود مرة أخرى لموضوعنا عن الذين يقولون عنه ﷺ كيف يكون نورا؟

وماذا فى ذلك ؟ بل إنى أقول أننا جميعا نورٌ وليس رسول الله فقط، والآية تقول ذلك بل أنها تقول أن كل الكائنات فيها نورا! ... فلماذا نستكثر على حضرة النبى أن يكون نوراً؟ وهو نور من رب العباد ﷻ ... وقد كان ﷺ كما ورد فى الرويات :

{ كانَ إِذَا مَشَى لم يَكُنْ له ظِلٌ }[151] والذى ليس له ظل هو النور وكان كما قال أصحابه الكرام {إِذَا تَكَلَّمَ رُؤِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ}[152] فهل رأى الكل هذا النور الذى يخرج من بين ثناياه؟ بالطبع لا واسمع إلى ربك وهو يقول:

﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [الأعراف]

أى لا يرون النور الذى خصه به العزيز الغفور ﷻ وكان ﷺ فى كل ليلة عند صلاة الفجر يقول:

{ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً، وَفِي لِسَانِي نُوراً. وَفِي بَصَرِي نُوراً،

١٤٩رواه البخارى عن مالك بن الحويرث.
١٥٠سنن البيهقى الكبرى عن جابر.
١٥١ غريب القرآن ، وشرح البهجة
١٥٢رواه الطبراني والبيهقى عن ابن عباس.

وَفِي سَمْعِي نُوراً، وَعَنْ يَمِينِي نُوراً، وَعَنْ يَسَارِي نُوراً، وَمِنْ فَوْقِي نُوراً، وَمِنْ تَحْتِي نُوراً، وَمِنْ أَمَامِي نُوراً، وَمِنْ خَلْفِي نُوراً، وَاجْعَلْ لِي فِي نَفْسِي نُوراً، وَأَعْظِمْ لِي نُوراً }[153].

ودعاء رسول الله كما تعلمون مجاب بل أنه قال له ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾ [الضحى].

أى سيظل يعطيك حتى ترقى ومادام طلب ذلك فإنه يعطيه لكن من الذى سيرى هذا النور ؟ ...ليس الغافلين والجاهلين قد رآه سيدنا حسان مرة فقال فيه :

لما نظرت إلى أنواره طلعت وضعت من خيفتى كفى على بصرى
خوفاً على بصرى من نور طلعته فليس أنظره إلا على قدرى

عندما شعشع النور ورأه وضع يده على بصره وذلك خوفاً على بصره فكان ﷺ نوراً يتحرك بين الناس وهذا النور أوضح الله ﷻ أننا جميعا نملك جزء منه وذلك فى الحديث الذى رواه البخارى ﷺ وكثيرون غيره عن عبدالله بن عمرو بن العاص وفيه يقول ﷺ : { إِنَّ الله عز وجل خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّور اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ } وهذا ما قال فيه الله:

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝ ﴾ [النور]

هذا النور الذى تفضل علينا به الله جعله فى أعلى مكان فى الإنسان وأغلى مكان فى هذا البنيان وهو القلب وبسر هذا النور آمنا بالله وصدقنا برسول الله ونريد أن نسمع دائما ولا نمل من آيات كتاب الله واستجبنا إلى الله ونقوم إلى الصلاة ونفعل ما يرضى الله ويشعر الواحد منا بالحياء والخجل عندما يفعل شيئاً يغضب مولاه بهذا النور – أين هذا النور ؟ بينه الله لنا وقال: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ مثل نوره فى قلب عبده المؤمن مثل المشكاة وهو جسم الإنسان – فيها مصباح – وهو نور الله ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾ [٣٥ النور] وهو القلب الشفاف الذى طهره

[153] (حم ق ن) عن ابن عبَّاس رضيَ اللَّهُ عنهُمَا

الله ﷻ من جميع الأوصاف لكى ينزل فيه الإيمان والقرآن ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ [٢٢ المجادلة] ... يكتب فى قلوب المؤمنين الإيمان وينزل فيهم نور القرآن:

﴿ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾ [٥٢ الشورى]

وقد قال هنا نهدى به ولم يقل بسماعه ولا بتلاوة آياته وإنما ينزل نوره فى الصدور والقلوب لكى تستجيب القلوب لحضرة علام الغيوب ﷻ

﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ﴾ [٣٥ النور]

والمشكاة مثل الكوة أو الشئ الحسى الجمادى هذه الكوة فيها مصباح الإيمان هذا المصباح جعله الله فى زجاجة القلب ليحفظه ولذلك من فضل الله علينا أهل الإيمان أن الله ﷻ لم يسلط الشيطان على القلب وذلك لكى يحفظ للمؤمن رأس المال وهو الإيمان.

فأين يوسوس الشيطان؟ ﴿ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ ﴾ [الناس] .. فى الصدور فقط .... أما لو وصلت الوسوسة إلى القلب لانتهينا جميعاً !!

إذاً من يحفظ الإيمان فينا هو الحفيظ ﷻ بذلك فإن الإيمان يا أحباب الله ليس للاجتهاد ولا الجهاد لكنه محض فضل من رب العباد

﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ ﴾ [١٧ الحجرات]

هو الذى هدانا له وحببنا فيه فلم نحبه من عند أنفسنا ... ﴿ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ وأين زينه ؟ ﴿ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ [٧ الحجرات] ...

وزينة الإيمان يا أخوانى هى الخوف من الله وخشية الله والخشوع لله والخضوع لله والانكسار بين يدى الله ومعرفة أن الله جل فى علاه هو وحده الذى بيده العز والنفع والحشر والنشر والرزق والحياة وهو وحده الفعال لما يريد وكل ما يحدث فى الدنيا لا يحدث إلا كما يريد لا كما يريد العبيد وهذه هى زينة

الإيمان فى قلب أهـــل الإيمان التى زينها الرحمن ﷻ.

وإذا ظن أحد أنه هو الذى زين الإيمـــان فى قلبـــه !!! فهـــل يستطيـــع مثـــل هذا أن يعـــطى هـــذا الإيمان لواحد من صلبه إذا لم يرد الله؟

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝ ﴾ [القصص]

إذاً فالإيمان فضل من الله بالنور الذى خص به الله أهل الإيمان من قبل القبـــل وهذا النـــور من رسول الله ﷺ ومن كتاب الله ولذلك نما الإيمان فى قلـــوب المـــؤمنين: ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾ [٣٥ النور] فالزجاجـــة إذا صفت والتى هى القلـــب كانها كوكب درى تنير للإنسان كل ظلمات الحيـــاة.

لأنه إذا القلب صفا ... والجسم وفا .... و أتصل القلب بالحبيب المصطفى ... فإن الله يذهب عنه كل رين وغين وجفا ...

و يبين له سبيل أهـــل الصفا ... فيعرف بالنور الذى تفضل عليه به الله كـــل شئ فى هذه الحياة كيف ؟ كما قال الرسول: {**اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ، فإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله** }وقد روى هذا الحديث الإمام الترمزى والإمام أبو داود وزاد الإمام الترمزى فى إحدى رواياته لفظه فقال: { **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينور بور الله وينطق بتوفيق الله**} ... ويرى المؤمن بنور الله هنا فى الدنيا والدليـــــل:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [١٢٢ الأنعام]

يمشى به هنا بين الناس وليس فى الآخرة فيعرف الإنسان بهذا النور الطيب مـــن الخبيث والغث من الثمين والحلال من الحـــرام فيمشى بنـــور الله إلى العمل الذى يحبه مولاه ويرضاه ويبتعد بالنـــور الذى آتـــاه الله عن كل سبيل حذر منه الله وحذر منه ســـيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وذلك لأن القلب تشعشع وامتلأ بالإيمان وأصبح مثل الكوكـــب الدرى ...

أما إذا زاد لمعانه وقويت أضواءه فإنه يرى أنوار العوالم العليا أى الملكوت الأعلى وهو هنا يرى نور السموات ويرى نور الجنات ويرى نور العرش وذلك مثل الرجل الذى قال له سيدنا رسول الله {كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ ؟ قُلْتُ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِناً حَقًّا، فَقَالَ: اُنْظُرْ مَا تَقُولُ فَإِنَّ لِكُلِ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمانِكَ ؟ قُلْتُ: قَدْ عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لِذلِكَ لَيْلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِي أَنْظُرُ إِلى عَرْشِ رَبي بَارِزاً، وَكَأَنِي أَنْظُرُ إِلى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِي أَنْظُرُ إِلى أَهْلِ النَّارِ يَتَضاغَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ: يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ. قَالَهَا ثَلاَثاً ». ثم التفت إلى من حوله وقال : عبد نور الله بالإيمان قلبه}[١٥٤]

ونور الإيمان هنا ليس لجرح الناس به أو يكشفهم ويقول فلان فعل كذا أو فلان ارتكب كذا لأن مثل هذا يجاهر بالمحرمات وأهل الإيمان ستر وغطاء حتى على العصاه والمذنبين.

أما إذا كاشف واحداً فى وقت أو حين فإنه يكاشفه لكى يأخذه من سبيل الظلمة إلى النور المبين وهو نور كتاب رب العالمين ﷻ وليس لكى يتباهى أو يفتخر ومثل هذه الأمور تكون لحظات يكشفها الله ﷻ للأصفياء والأولياء من رجال الله لكى يهدى بهم الله الخلق إلى الله ويردوهم إلى سبيل الله وطريق الله جل فى علاه .

﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ﴾ [٣٥ النور] والزجاجة كأنها كوكب درى فأين ذهب هذا الكوكب الدرى من عندنا الآن ؟ نحن نتزل إلى الدنيا وقلوبنا كالكوكب الدرى بما فيها من إيمان فما الذى يحدث؟

قال حضرة النبى ﷺ: {إِنّ العَبْدَ إِذَا أَخطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فإِذَا هو نَزَعَ واستَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُه وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتّى تَعْلُو قَلْبَهُ وهُوَ الرّانُ الذّي ذَكَرَ الله}[١٥٥]

أى الستار أو الغطاء.فهذا المصباح كما ترون مضئ بنور الكهرباء هل لو غطيناه بغطاء أسود يظهر منه أى قبس من النور ؟ لا كذلك القلب.إذا توالت عليه

١٥٤ طب، وأبو نعيم عن الحارث بن مالك الأنصارى.
١٥٥ مسند الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة.

الذنوب فذلك الـران ثم تلى قول الله ﷻ : ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ﴾ [المطففين]

من الذنوب والآثام وفى ذلك الوقت يكون الحجاب من الـذنوب والعيـوب والغفلة والبعد عن حضرة علام الغيوب – فيقول الصالحين لنا تعالوا لنجلى القلـب ونصفيه ونرقيه لكى يعود باهى النور ظاهر الجمال كما خلقه الواحد المتعال ﷻ.

بمـاذا نجليـه ؟ كمـا قـال الخبير ﷺ :

{إِنَّ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ، قِيلَ: فَمَا جَلاَؤُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كَثْرَةُ تِلاَوَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالى، وَكَثْرَةُ الذكْرِ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ}[١٥٦]

والذكر ليس حلقات الذكر فحسب فالعلم ذكر وتلاوة القرآن ذكر والصلاة على النبى ذكر والاستغفار ذكر وكل عمل بر أو خير تقصد به رضاء الله ووجـه الله فهو ذكر لله جل فى علاه وذلك كى يعود القلب ويرجع كالكوكب الدرى كما كان.

إذاً كل ما علينا هو أن نصفى الزجاجة ونجعلها كما أنزلا منزلها كيف نصفيها ؟

نصفيها بالجهاد فى العمل بشرع الواحد الأحد واقتفاء سنة الحبيب المـصطفى وإذا فعلنا ذلك نعود إلى الأصل الأول الذى كنا عليه عند النزول إلى هذه الدار. هذا المصباح أو هذا القلب قال الله فيه لقد وضعته فى قلوب المؤمنين وبسبب رقته وصفاءه من شفافيته ومن نورانيته يكاد يضئ حـتى ولـم يكـن فيـه زيـت.

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ ﴾ [٣٥ النور] يكاد يضئ وذلك لأنه نور الله ﷻ ونـور كتاب الله ونور رسول الله الموجود فى قلوب المؤمنين ... فلو أن الإنسان حفظ من الدنيا وشهواتها وحظوظها وأهوائها فسيظل منيرا على الدوام.

وكل موضوع أنه يحتاج إلى جهاد يسير وعمل ليس بالكـثير بشـرط إخلاص القصد وتصحيح النيـة وتوجيهها للعلى الكبير، فليـس المهم الإكـثار من الأعمال لكـن المهم أن تكون النيـة بها الإخلاص للواحد المتعـال ولذلك قال الحبيب ﷺ:

١٥٦ ابن شاهين في الترغيب في الذكر

{أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ}[١٥٧]

ولو أخلص الإنسان يجد نفسه فى لحظات من الخواص الذين ذكرنا بعض أوصافهم فيرى ما فى الدنيا من الشبهات فيجتنبها ومن الكدورات فيبتعد عنها ومن الحظوظ والأهواء فيتجنبها وبعد أن يجتهد فى ذلك يقوى النور فيرى غيب الله بما يكاشفه به مولاه على قدر نوره الذى قواه به ووهبه له حضرة الله جل فى علاه.

هذا النور يا أخوانى لكى يقوى ويزيد لا بد وأن تروى الفؤاد من شرع الحميد المجيد الذى نزل على النبى الفريد ﷺ ثم قال الله أن الشجرة التى سترى بها هذا النور: ﴿ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [٣٥ النور] ماذا تعنى هذه الآية؟

آيات كتاب الله تفسر بعضها بعضًا.وسأتلو ولن أبين! وعليكم أن تعرفوا :

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [القصص]

واليهود قد تمسكوا بالأعمال الشرعية فقط ولا غيرها ولذلك نزل سيدنا المسيح عيسى لهم بشرع ليس بجديد ولكنه نزل بالأخلاق وبالأعمال الروحانية التى تقربهم إلى عالم الملكوت وقال الله: ﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾ [مريم] ... أى الروح فقط! فقد كانت دعوته للروح وللتصفية فقط ... وليس هناك مكان للدنيا ولا للأعمال !!! .... أما دعوتنا فهى الوسطية المحمدية :

وهى أن يعمل الإنسان بشرع الله فى ظاهره ويقبل على الله ﷻ بالروحانية فى باطنه فلا تطغى الشريعة على أعمال القلوب ولا أعمال القلوب تجعل الإنسان يترك شرع علام الغيوب وإنما ميزان قويم ومنهج حكيم كان عليه الرءوف الرحيم ﷺ وبالمثال يتضح المقال.

إذا كنا نصلى لله مثلاً فإن كل عمل نعمله لله له ظاهر وله باطن :

وعند الصلاة سنقضى أثر حبيب الله فى الحركات الظاهرة فى الصلاة من

١٥٧ابن أبى الدنيا فى الأخلاص (ك عن معاذ).

وقوف وركوع وسجود وجلوس والتسبيحات والتهليلات – وكذلك الوضوء.

لكن لو تركنا الباطن مملوءاً بالدنيا والأهواء والمشاكل والعيال والعمل!!! هنا إذا أردت أن أصلى لله فإن قلبى يذهب ويسرح مرة فى البيت !!! ، ومرة فى الحقل!! ، ومرة هنا !!! ، ومرة هناك !!! فهل تنفع مثل هذه الصلاة وترفع ؟ لا ! .... لأن الصلاة التى ترفع هى التى يقول الله فيها:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون]

لا بد من الخشوع والحضور ولا بد من الاخبات والتبتل إلى الله ولا بد من أن يكون هناك تذلل وتضرع وتملق إلى حضرة الله وكذلك الإنكسار بين يدى الله والاخلاص لله كل ذلك يا أخوانى فى القلب.

إذاً يجب أن يكون للقلب عمله لكى تكون الصلاة كما ينبغى.فالمسلم الذى يريد أن يكون من أهل القلب الشفاف والكوكب الدرى المنير عليه أن يصحح ظاهره وباطنه كيف يصحح باطنه ؟ فكلما توضأ وغسل الجسم من التراب والأوساخ عليه مع ذلك أن يغسل القلب من الأحقاد والأحساد والغل والكره والبغض والأثرة والأنانية والشح وكل الصفات التى تجعل الإنسان بعيداً عن رب البرية ﷻ وكل ذلك يدخل فى.

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧ ﴾ [الحجر]

وإذا كان القلب سليما وخاليا من كل ذلك.فلا منازعات ولا مكروهات ولا مشاغل تشغله عن رب البريات !!!

فعندما يقف فى الصلاة تكون الصلاة كما يجب أن تكون .... لأن ظاهر المؤمن فيها كظاهر رسول الله ... وباطنه كباطن رسول الله من حيث الخشوع والإخلاص والخضوع لله جل فى علاه ... وعندما يصلى هذه الصلاة لا بد أن يكرم لأن الله قال فى حديثه القدسى:

{ طوبى لمن تطهَّر فى بيته ثم زارنى فى بيتى، وحقاً

على المزُور أن يكرم زائره }[158]

وقد فهم البعض من هذا الحديث أن الذى تطهر فى بيته أى توضأ أو استحم فى البيت وهذا خطأ لأن البيت الذى يريده هو القلب

{إِنَّ اللّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ. وَلكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ}[159]

إذاً البيت الذى يريد أن يراه هو القلب.. ويريد الله أن يراه سليما ومستقيما فإذا تطهر العبد ظاهراً بالماء وتطهر فى باطنه من كل خصلة ذميمة نحو الأحياء ومن كل شاغل يشغله عن خالق الأرض والسماء فإنه يقف ليكرم:

فاما أن يلهمه الله ﷻ بمعانى عالية فى الآيات القرآنية التى يقرأها فى الصلاة واما أن يكشف الله ﷻ له من أنواره العالية ما يجعله يزيد اقبالاً على مولاه ، وإما أن يذيقه الله حلاوة الطاعة فيتلذذ من هذه البضاعة فتعلوا همته ويزيد من الطاعات لله وذلك لحلاوة الطاعة التى تذوقها وهو بين يدى الله والتى اعطاها الله ﷻ له فى الصلاة.وحتى لو كان عنده بعض الشواغل وهو فى هذا الحال فإن الله يقضيها له ويذكره بها وهو فى الصلاة !!

وقد كان سيدنا عمر ﷺ وهو خليفة المسلمين وأمير المؤمنين يأتيه العمال أى الولاه ويريدون منه أن يحاسبهم فيقول: استريحوا إلى أن أصلى ركعتين لله، وبعد أن يفرغ من الصلاة ينادى عليهم ويقول: يا فلان أن حسابك كذا ، وكذا و يا فلان أن حسابك كذا ، وكذا فيقولون : كيف عرفت ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول ألهمنى الله بذلك وأنا فى الصلاة.

وقد ذكر ذلك الإمام الغزالى ﷺ فى كتاب الأحياء.فكلما قلنا إن مشاغل المؤمن ومشاكله يحلها الله له فى الصلاة: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [٢،٣ الطلاق].

وعلماء السلف الصالح الأجلاء كالإمام الشافعى وأبى حنيفة وغيرهم كان يأتى

١٥٨رواه الطبرانى عن ابن مسعود.
١٥٩رواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة.

السائل للإمام الشافعي ويسأله عن مسائل لا يملك إجابة عنها فى وقتها !!فكان يقول: انتظر يا أخي حتى أصلي !! فيتوضأ ويصلى ركعتين لله .... فيلهمه الله ﷻ بالإجابة وهو فى الصلاة .

وإياكم أن تظنوا أن ذلك كان فى زمن السلف الصالح فقط لأنى رأيت فى هذا العصر من أطباء المسلمين الأتقياء رجالاً.

رجل منهم كان يحافظ على صلاة الفجر فى جماعة فى مسجد سيدى أحمد البدوى ﷺ ، وعرضت عليه وعلى زملائه وكان أستاذاً فى المسالك البولية عملية جراحية استعصت عليهم كيف يجرونها؟ قال الرجل فنمت فرأيت طريقة جديدة لإجراء هذه العملية وقمت من منامى فسجلتها ثم دخلت غرفة العمليات ونفذتها كما رأيت فسجلت كأول عملية تجرى بهذه الكيفية فى كل الجهات العالمية.

إذاً فالإلهام موجود لمن يطهر القلب والفؤاد وهذا ما جعل الناس تذهب إلى الصالحين لأن مشايخنا العظام يعلموننا كيف نتوضأ وكيف نتطهر وكيف نؤدى الصلاة لله ﷻ أما نحن فإننا نريد من يطهر لنا القلب لكى نؤدى الصلاة التى يحبها الله فنذهب لهؤلاء الصالحين لأن لهم عظيم الخبرة فى هذا المجال فقد طهروا قلوبهم فصفت أرواحهم فظهرت عليهم بشريات من الله ﷻ .

رأيناها فقلنا لهم كيف وصلتم إلى هذه البشريات ؟ فعرفونا وعلمونا وهذا هو التصوف والمتصوفة فقد صفت قلوبهم وسمت أرواحهم فنالوا البشريات من ربهم ﷻ فنذهب إليهم ليعلمونا الطريقة السديدة من منهج رسول الله التى بها نصل إلى الكمال فى آداء الأعمال ليكون الظاهر مع الله والباطن فى إخلاص وصدق وصفاء ويقين مع حضرة الله إذا وصلنا إلى هذا الكمال فلا بد وأن تأتينا البشريات من الله.

وإذا وصلنا إلى هذه البشريات علينا أن نعلم غيرنا بهذه الطريقة السديدة التى كان عليها ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩ الفتح].

نسأل الله ﷻ أن يعلمنا علمًا نافعاً وعملاً رافعاً وأن يرزقنا الإخلاص فى قلوبنا والصدق فى أقوالنا واتباع الشرع الشريف فى أعمالنا وأن يجعل حب الحبيب

أغلى شئ عندنا فى قلوبنا ... وأن يجملنا بجمال الصالحين ... ويوفقنا للمنهج السديد الذى يحبه من المؤمنين .... وألا يتخلى عنا بعنايته طرفة عين ولا أقل .... وأن يأخذ بأيدينا دائماً إلى المنهج الرشيد والطريق السديد ..... ويحفظنا دائما وأبداً من المعاصى والفتن ما ظهر منها وما بطن .... وأن يقبل بنا عليه ويجعلنا من خيار المقبلين به عليه، وأن يجعلنا من أهل الزلفى بين يديه وأن يكشف لنا عن الأنوار والأسرار التى لديه

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس الرابع والعشرون

الآداب التى فرضها الله لرسول ﷺ [160]

الحمد الله الذى كشف لنا الستار فى آياته البينات عن جمال رسول الله المعنوى الذى جمله به وأظهره عليه وبين أنه ﷺ لشدة حيائه كان يتحمل مالا تتحمله الجبال، ولا يستطيع أن يطلب من أصحابه لذوقه الرفيع ما ينبغى عليهم نحو حضرته .. فتولى الله ﷻ عنه ذلك ... وأمره الله أن يخاطبهم ويكاشفهم بذلك فقال عز شأنه :

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ ﴾ [٣٨ الأحزاب]

والصلاة والسلام على مصدر الأنوار وسر الأسرار واللمعة الربانية المشرقة فى قلوب الأخيار فى الدنيا ويوم القرار سيدنا محمد المختار وآله الأطهار وصحابته الأبرار وكل من تبعهم بخير إلى يوم القرار وعلينا معهم أجمعين.

كان رسول الله ﷺ هو النموذج الأقوم والمثل الأعلى فى شدة الحياء حتى أنهم قالوا فى شأنه كان أشد حياءً من العذراء فى خدرها- أى الفتاة البكر التى لم تتزوج شديدة الحياء التى تستحى أن يراها أحد أو يطلع على شئ من عورها أحد- وقد كان

١٦٠ الثلاثاء٢١ محرم١٤٢٩هـ ٢٩ /١/ ٢٠٠٨م درس بعد العشاء بديوان نجع الحشانلة بالقرايا بمركز إسنا.

ﷺ أشد حياءً من هذه الفتاة ومن شدة حيائه ﷺ كان لا يستطيع أن يثبت بصره فى وجه أحد .

فعندما يتكلم اثنان ويتحاوران ينظر كلاهما فى عين الآخر أما الحبيب فلا، أما عن شدة حيائه من ربه فحدث عنها ولا حرج فقد كان ﷺ لا ينظر أبداً إلى السماء حياءً من ربه حيث تجده على الدوام مطرقاً ببصره إلى الأرض وكان ﷺ حتى إذا دخل الخلاء ليقضى حاجته يتقنع أى يلبس غطاء على رأسه حياءً من ربه ﷻ.

فمن شدة حيائه كان لا يستطيع أن يخاطب أحبابه وأصحابه بما ينبغى عليهم نحوه ، حتى أنه عندما تزوج أحدى زوجاته وهى السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها دعا أصحابه إلى وليمة الزواج والوليمة فى الزواج سنة ، وكان منزل الزوجية عبارة عن حجرة واحدة وكذلك كان لكل زوجة من زوجات النبى حجرة واحدة والعروس فى زاوية من زوايا الحجرة جعل عليها ستارة، وجعلت وجهها إلى الجدار وظهرها إلى الستارة ثم قدم الطعام وبعد أن أكلوا أخذوا يتجاذبون أطراف الحديث وحضرة النبى كان موجودا ... ومن شدة حيائه استحى أن يقول لهم اخرجوا وذلك لأنه كان شديد الحياء ، ولذلك تولى الله ﷻ الأمر بذاته فقال:-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ [٥٣ الأحزاب]

فكما ترون حتى دخول بيت النبى والجلوس فى بيت النبى علمه الله لأصحاب النبى وذلك حتى نعرف أن الله لم يترك شيئاً إلا وذكره .

ومثل بيت النبى فى الأدب .. كذلك بيوت الصالحين الوارثين لحضرة النبى وينسحب عليهم هذا الأدب إلى يوم القيامة وعلينا أن نتنبه لذلك .. وإلا نسخت هذه الآية فنفس هذا الأدب يطالب به الله المريدين والعواد والزائرين للوارثين فى كل وقت

وحين،ــ وهــذا نموذج من تعليم الله لأصحاب رســول الله.

ونعود للآية ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ [٣٨ الأحزاب] ... فكثير من العلماء والغير منتبهين يفسرون الآية على أن الله قد فرض على حضرة النبى فرائض لم يفرضها على المسلمين كقيام الليل فهو لنا سنة وفــرض عليــه أيضا صيام الوصال وليس علينا صيام الوصــال

فهــل الآية تقول فيما فرض الله عليه أم تقول ﴿ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ [٣٨ الأحزاب] ؟ قال: ﴿ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ لأنه لو قال فيما فرض الله عليه لقلنا نعم وهى معرفة كما قلنا من قيام وصيام وفرض عليه أشياء كثيرة أخرى لا يسعها الوقت.

لكن ما فرضه الله لــه فهو منا إلى حضرة النبى وقد فرضها الله لحضرة الــنبى الذى كان يستحى أن يطلبها من أصحابه فقال له الله لا حــرج فى أن تقــول ذلــك لأصحابك وأنا بذاتى سأقول ذلك فى القرآن وعليك أن توضح ذلك لهم وتبينه بأجلى بيان .... فماذا فــرض علينا الله لحضــرة النبى ؟

﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ أولاً الإيمان به ،ثم ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ [٩الفتح].

أى تساعدوه وتعاونوه على نشر دين الله ﷺ وهذا الأمر سارى فى كل زمان ومكان خاصة مع الورثة المكلفين من الله ورسوله لتبليغ شريعة الله ونشر المحبــة بــين العباد الله والسير فى الأرض بالنصيحة لعباد الله فلا بد أن تعاونهم بما تــستطيع {مَنْ جَهَّزَ غَازِياً فَقَدْ غَزَا. وَمَنْ خَلَفَ غَازِياً فِي أَهْلِهِ فَقَدْ غَزَا}[١٦١] فمن يعينهم بكلمة فلا مانع ومن يعينهم بنفسه فــلا مــانع " جاهــدوا المــشركين بألــسنتكم وأمــوالكم وأسلحتكم " يجب على كل واحد أن يكون له جهاد فى سبيل الله.. وأعلموا يا أحبابى علم اليقين أن المقامات والدرجات فى الآخرة بقدر المجاهدات فى معاونــة رجــال الله الصادقين فى نشر دين الله وليس قيام الليل وصيام النهار أو أداء العمرات والحج فمثل هذه الأشياء لك أنت ولها أجر وثواب وستأخذه أضعاف مضاعفة.

لكــن إن أردت مقاما فلــن يكــون عــلى ذلك ولكنه لأهــل المجاهدات:

١٦١رواه البخارى ومسلم عن زيد بن خالد.

﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [٩٥ النساء]، أنه قاعد ولا يضر أحداً بسب أو شتم أو بلعن أو بغيرها هل يستوى هذا مع ذاك؟ ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ [٩٥النساء].

إذاً التقدير هنا بالدرجات فمن يريد الدرجات ويريد الفتوحات والهبات ويريد العطاءات التى خص بها الله الصالحين والمقربين لا بد وأن يعاونهم.لماذا ؟ لكى يكون له حق وسهم عندما تأتى الغنيمة.غنيمة الفتح الربانى والفضل الإلهى.

إذاً لا بد وأن نعاون الصالحين فى نشر دين الله طلبًا لمرضاة الله لا للظهور ولا للرياء ولا للشهرة ولا للسمعة ..... هل هذا واضح بين!!! وإياكم أن يأتى واحد منكم فى يوم من الأيام ومهما جاهد وتضحك نفسه عليه ويقول : لقد فعلت معكم كذا وكذا .... لأنه بذالك قد ضيع كل ما عمله، قال تعالى .. واسمعوا:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات]

فإياكم أن يفعل أحدكم ذلك فى يوم من الأيام حتى مع أحد من أحبابه فيقول أنى أفعل كذا وكذا فهل فعلت بنفسك أم بمعونة ربك ؟ من الذى أعانك؟ ومن الذى قواك؟ ومن الذى وفقك ؟ الله فهل يجوز أن تنسب كل ذلك لنفسك ؟ لا بل يجب عليك أن تقول وفقنى الله وأعانى الله أو أمدنى الله.فلا يجب أن يمن واحد على رجال الله لان رجال الله قائمين بالله... لله والذى يتولى سياسة أمورهم وكل شئونهم هو حضرة الله جل فى علاه أما أنت فيكفيك شرفاً وفخراً وتيهاً أن الله يقيمك فى معاونة رجال الله وتنتهى بهذا المقام فمن تكون لكى يقيمك الله فى معاونة رجال الله الصالحين ؟ ألا تعلم أن الملائكة طوع أمرهم ورهن إشارتهم ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ ﴾ أين؟ ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [٣١ فصلت]

ولما كان أصحاب حضرة النبى قالوا فعلنا كذا وكذا وقتلنا فلان وضربنا فلان قال لهم انتظروا

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ [١٧ الأنفال] فكيف قتلت؟ كل ما فعلت أنك ضربت لكن القتل ممن يقول للشئ كن فيكون ولذلك من يريد أن يفوز ويحوز صحبة الصالحين ومن الله عليه بمعاونتهم فى نشر الحكمة والفضل والدين ألا يرى لنفسه عملاً ولا حالاً ولا قالاً لأنه لو رأى نفسه فى ذلك فسيأتيه اليوم الذى يكون له مطامع فيه ويقول أريد كذا وإلا فلن أفعل كذا .

هنا إن كنت لا تريد أن تفعل يقولون ﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾ [٦٥ يوسف] ... فرجال الله كما كان الأنصار والمهاجرين رضى الله عنهم أجمعين كانوا لا يرون لأنفسهم حالاً ولا قالاً أمام سيد الأولين والآخرين ﷺ

إذاً فرض علينا أن نعاون رسول الله ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [٩الفتح] وعلينا أن نبجله ونعظمه ونكرمه فلا نذكر أسمه إلا بالتعظيم والتكريم :

﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [٦٣ النور]

ولا نسمع اسمه إلا ونسارع بالصلاة والتسليم لكى لا نكون بخلاء يوم لقاء الله {**الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**}[١٦٢] ولا نقوم بعمل فى سنته إلا ونستحضر هيئته عند القيام بهذا العمل ولا نستحضر بشريته ولكن نستحضر روحانيته ... لماذا؟.

حتى يمدنا الله بروح من عنده نستطيع بها أن نتم العمل ونحقق الأمل على منهج الحبيب المختار ﷺ وتعظيم رسول الله مذكور فى كتاب الله فى ثنايا آيات كتاب الله والوقت لا يسمح حتى لسرد هذه الآيات ففى أول سورة الحجرات:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

١٦٢مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن حسين بن على

ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الحجرات]

إياك وأن تقدم مصالحك الشخصية على المصالح الخاصة بخير البرية ﷺ لأنـك بذلك قد حكمت على نفسك أنك غارق إلى رأسك فى الدنيا الدنية فلكـى تعظـم رسول الله يجب أن يكون أمره هو المعظم ونهجه هو المكرم وسنته لها الأولوية فى كـل الأحوال الدنيوية فإذا كنت متعبا وأريد أن أنام لكنى سمعت الآذان هنا لو أنى لبيـت فإن الرحمن سيعطينى قوة من عنده تجعلنى وكأننى نمت أياما وذلك لأننى عزمت علـى تنفيذ سنة رسول الله أما إذا استسلمت لهوى نفسى وقلت مازال فى الوقـت متـسع سيحل الله قواى ويأتى الخبث إلى نفسى والكسل والوخم إلى جسمى وأعضائى طوال اليوم وذلك لأنه فضل نفسه ونام ولم ينفذ سنة المصطفى عليه الصلاة السـلام:

لـسنته فاخـضع وكـن متأدبـاً ... وحاذر فحصن الشرع باب السلامة
على الجمر قف إن أوقفتك تواضـعاً ... يكن لك برداً بل سـلاماً برحمـة

فلـو أن السنة قالت قف على الجمر فقف لأن الله هنا سيقول كـونى بـرداً وسلاماً وذلك لأنك تريد أن تنفذ السنة وقد قال الإمام أبو العزائم ﷺ فى ذلك :

{ حافظ على السنة ولـو بشـرت بالجـنة }.

﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح]

فهذه فرائض فرضها علينـا الله لرسـول الله، ... وهـناك فرائض أخـرى ومنها أن يكون حبه صلى الله عليه وسلم فى قلوبنا أعلى وأغلى من أولادنا وأزواجنـا وعائلاتنا وعشيرتنا ودورنا وتجارتنا وكل شئ لنا، وإذا كان هناك شئ من هؤلاء أعلى فى القلب من حبِّ الله ورسوله!! قال تعالى ... أنتبه وانتظر ما يحدث لك :

﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ

ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ [٢٤ التوبة]

هنـــا نطـــق رســـول الله وقال لأصحابه مبيـــناً:

{ فَوَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ لا يؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتى أكونَ أَحَبَّ إليهِ من والدِهِ وَوَلَدِهِ}[163]

إذاً لا بـــد وأن يكون حب رسول الله أعلى ، وأغلى شئ فى قلبك وحقيقـــة الحب هنا هى متابعته والسير على سنته والاقتداء بهديه فى أخلاقـــه وفى معاملاتـــه وفى عبادته وفى كل حالاته ﷺ فكل واحد فينا متمسك بعادته ولا يريد أن يغيرها ويريـــد بعد ذلك أن يفوز ويكون من أهل هذه الكنوز العالية وأهل هذه المقامـــات الراقيـــة والأسرار الإلهية السامية.كيـــف ؟

والسلف الصالح كان الواحد منهم لا يأكل إلا بعد أن يستحضر كيف كـــان يأكل رسول الله، والصنف الذى لم يصل إليه كيف كان رسول الله يأكله؟ كان يمتنـــع عن أكله، فسيدنا أحمد ابن حنبل ﷺ والـــذى يظـــن الكثيرون منكـــم أنـــه كـــان مـــن أئمة الشريعـــة وحســـب! لكنه ﷺ كان مـــن أئمـــة الـــشريعة والحقيـــقة قـــد امتنـــع عـــن أكل البطيـــخ؛ فســـألوه: لمـــاذا لا تأكل البطيـــخ مـــع أنـــه ورد عـــن الحبيـــب أنه قـــد أكله؟ قـــال: وصل إلى بالسند القوى أنه كـــان يحـــب البطيخ، ولكن لم يصل إلى عن طريق أعول عليه كيف كان يأكل البطيخ، فأخـــاف أن آكله بطريقة تخالف هديه ﷺ فأبوء بغضب الله وسخطه، وعندما وصـــله أن ســـيدنا رسول الله كان يشق البطيخة نصفين .. ويقطع القطعة على شكل هلال .. ويأكل من اليمين إلى اليسار... نفذ هذه السنة فى الحال وأكل كما كان يأكل الحبيب ﷺ .

وانظروا إلى كيفية التمسك بالسنة وهذا هو الذى بلَّغهم المـــنى ورفعهـــم إلى الدرجات العلى، وذلك لأنهم كانوا حرصين على أن يكون الحب ترجمة عملية سلوكية

---

١٦٣ صحيح البخارى عن أبي هريرة.

لحياهم فى حب سيد الأولين والآخرين، لكـــن الحب كلام ..لا ينفـع! أو الحـب مديح وأنغام ونسمع ونطرب .. وبعد الطرب كل يمشى على هواه! فما قيمة الحب؟

أما حقيقة الحب هو أن تقتدى بهداه وتقتضى أثره حتى لا تضع قدماً على قــدم إلا على قدمه ولا تتحرك حركة صغيرة أو كبيرة إلى على أثره :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب].

أنها فرائض كثيرة فرضها الله علينا لرسوله وأسهلها والتى قربت لنا المسافات:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب]

الصلاة على حضرة النبي هل هى فريضة أم سنة ؟ إنها فريضة فلو أن هناك من صلى وقرأ التشهد ولم يصلى على حضرة النبى هل تصح صلاته؟ لا تصــح هــل لو ترك آل بيت النبى من التشهد تصح صلاته؟ لا تصح والإمام الشافعىكان يقــول

يـــا آل بيـــت الـــنبى حبكـــم ... فـــرض مـــن الله فى القـــرآن أنزلـــه

يكفيكمُ مـــن عظيـــم الفخر أنكـــم ... مـــن لم يصلى عليكـــم لا صلاة لـــه

إذاً فإن أسهل الفرائض الواجبة علينا نحو رسول الله هى الصلاة عليه وأقل القدر بعد الصلوات المفروضات كما قال ﷺ : {مَنْ صَلّى عَليَّ حِينَ يُصْبحُ عَشْراً، وحِينَ يُمْسِي عَشْراً أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ}١٦٤.

ولذلك فإن أجدادنا كانوا أناساً عقلاء وأفضل منا، لأنهم كانوا بعد أن يصلوا الفجر أثناء ختم الصلاة يصلون على حضرة النبى عشر مرات، وكذلك كانوا يفعلون بعد صلاة المغـــرب وذلك لكى ينفذوا الحديث، أما نحن الآن فنقول سنزيد عن العشر وهذا لا يحدث لأننى عندما أخرج من المسجد أنشغل بالكلام مع الأنام وأذهب هنـــا

١٦٤رواه الطبراني عن أبي الدرداء.

وهناك فأنسى أما أجدادنا فكانوا عقلاء فقبل أن يخرجوا من المسجد كانوا يؤدون ما عليهم لحضرة النبى ويصلون عليه عشراً ومن يزيد فيا هنـاه لأنه كلما يزيد كلما زاد له الفضل من حضرة الله ﷻ.، لإنها فرائض كثيرة منها ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى]، أن نود ذوى قرباه ولما أتصفح كتاب الله تجد الفرائض التى قال لنا فيها وقال لحضرة النبى فبها ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ [الأحزاب الآية٣٨] ...

أى ليس عليه حرج فى أن يقول لنا ذلك بل إن الله علمها له وقال له قل لهم لكى يحسنوا الأدب لكى يرتقوا إلى أعلى الرتب.

نسأل الله ﷻ أن يجملنا بالآداب العالية مع حبيبه ومصطفاه ... وأن يرزقنا العلم الصحيح والذوق الصريح حتى نتذوق معانى كلام الله ونقبل به على حضرة حبيبه ومصطفاه .... وأن يجعله عندنا أعز علينا من كل شئ لنا فى الدنيا ... ويجعله قبلتنا فى كل عمل ..... ويجعله أملنا عند كل حاجة ... ويجعله بغيتنا عن كل فتح .... ويجعله سبيلنا إلى الله.... ووسيلتنا إلى رضوان الله .... وشفيعنا يوم نلقاه .... ويرزقنا جواره فى جنة المأوى بمشيئة الله. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس الخامس والعشرون

أنواع الهجرات ومقاماتها[165]

بسم الله الرحمن الرحيم .... لقد سمعت أخى وأنا قادم إلى المسجد يتكلم عن الهجرة، والهجرة التى يجب أن نهاجرها تختلف عن هجرة أصحاب رسول الله لأن هجرتهم كانت انتقال من مكان إلى مكان بعضهم هاجر من مكة وبعضهم هاجر من آفاق أخرى خلاف مكة لكن هجرتنا تختلف عن ذلك فهى هجرة لكل مسلم ولكل

١٦٥ الأربعاء ٢٢ محرم ١٤٢٩ هـ–٣/١/٢٠٠٨م درس بعد صلاة الظهرمسجد نجع المطاليم بمركز أرمنت.

مؤمن فهى هجرة بأمر الله من المعاصى إلى الطاعات.

إذ يجب على المسلم و المؤمـــن أن يهجر المعاصى بالكليـــة ويهاجـــر منها إلى الطاعات لرب البرية ﷻ ويقول فيها رسول الله ﷺ :

{ المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ، والمهاجِرُ مَن هَجرَ ما نَهى اللّهُ عنه}[166]

فمن إذاً المهاجر إلى يوم القيامة ؟ الذى هاجر ما نهى الله عنه ولذلك فإن الهجرة بأمر الله ضرورية وإلزامية فلا بـــد على الإنسان إن كان من أهل مقام الإسلام أو من أهل مقام الإيمان أن يهجر كل المعاصى ما ظهر منها وما بطن ولا يستصغر معصية لأنه ربما يراك الكبير ﷻ وأنت على هذه المعصية ويسخط عليك ويغضب عليك غـــضباً شديداً ولا تستطيع أن تصل إلى رضائه ﷻ أبـــــداً فهناك من عبد الله سبعين ألـــف سنة كلها طاعة لله ﷻ ومع ذلك طرده الله من الجنـــة بسبب معصية واحدة فقـــط.

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ ولست وحدك ﴿ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأعراف].

وهذا هو ابليس عليه لعنة الله وقد يقول قائل إن الله أراد أن يطرد ابليس مـــن رحمته من البداية.فما بالكم بأبينا آدم الذى أدخله ربنا الجنة ومعه زوجته وقال لهما:

﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ أى تمتع كما ترد من الجنـــة فقـــط: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ [البقرة].

وقد خرج من الجنة أيضاً بذنب واحد فأين نحن من ذك والذنوب تحاصرنا ليل نهار فى مواجهة علام الغيوب، الله ﷻ يعلمنا أنه إذا كان آدم خرج من الجنة بـــذنب واحد فكيف نطمع أن ندخلها ونحن نرتكب كل يوم مالا يحصى ولا يعد من الذنوب؟

إذاً من يريد الجنة فعليه أن يهجر المعاصى.وإيـــاك أن تستصغر معصيـــة فمـــا دام أن أسمها معصية عليك أن تبتعد عنها نهائياً وهذه هـــى الهجـــــرة الأولى لكـــل

١٦٦صحيح البخارى عن عبدالله بن عمرو.

المسلمين والمؤمنين وإذا استطاع الإنسان أن يقـدر على نفسه وهذا باختصار شديـد حتى لا أطيـل عليكم لأننى والحمد الله أرى فيكم قـول الحكيم الـوارد فى الأثـر العظيم : { **المؤمـن يكفيـه قليـل الحكمـة** }.

وهاجر هذه الهجرة، وهى أمر اجبارى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ وفى نهاية الآية ... ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [٩ النحل].

والهجرة الثانية أن يهاجر بقلبه وبعمله من الدنيا إلى الآخرة ويلزم لذلك توفيق من الموفق ﷻ فهى هجرة بتوفيق الله من الدنيا إلى الآخرة، والدنيا أى كل الأعمـال الدنية التى تجعل الإنسان بعيداً عن الله أو غافلاً عن مولاه أو بينه وبين الله حجـاب أو راناً أو غيناً .. كل ذلك يجب على الإنسان أن يهجره ويهاجر منه إلى الآخـرة.

ما الدنيا لكى نهاجر منها إلى الآخرة ؟ نسـأل الـذى خلقها:

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [٢ الحديد].

الدنيـا هنا خمسة أشياء .. ومن فى واحدة من هؤلاء منكم فهو فى الدنيا فالذى يلهو عن الله إن كان فى أماكن خليعة أو مسارح فاجرة أو فى أفراح غير ملتزمة بشرع الله فهو فى الدنيا، ومـن يلعب منكم إن كان دومينو أو الطاولـة أو الكوتـشينة أو الشطرنج أو ما شابه مما يلهى عن الصلاة والذكر فهذه الألعـاب يقـول فيهـا ﷺ: { **اللاَّعِبُ بالنَّرْدِ**- وهى ما ذكر - **فَكَأَنَّمَا غَمَسَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ** }[١٦٧]

فتذكر هجرتك إلى الله وتجنب الألعاب التى تشغلك عن واجباتـك أوعملـك وصلاتك فتهمل الصلاة أو المذاكرة وينطبق عليها اليوم ألعاب الكمبيوتر والنـت إذا قادت لنفس المفاسد وكم يعانى الأباء بسببها، وقد تجرك للقمار كأن يأخذ الفائز مـن الخاسر صندوق بيبسى أو مالاً أو يدفع الخاسر فلوس النت، والقمار منهى عنه قطعاً :

﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ ﴾ [٩ المائدة] والخمر نحـن نعرفه والميسر هو القمـار أى اللعب عـلى أى شئ مـن المـال أو خـلافـه

١٦٧سنن أبى داود وابن ماجة عن بريدة.

والأنصاب هى الآلهة التى كانوا يصنعونها من الحجارة والأزلام هى الأصنام التى كانوا يصنعونها من الخشب كل ذلك يقول فيه الله: ﴿ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ ﴾ [المائدة]

وكان من الممكن أن يقول الله هنا فاجتنبوهم لأنهم أربعة لكن عندما قال فاجتنبوه فمعنى ذلك أن الأربعة يتساوون ، فالذى يلعب القمار كالذى يشرك بالواحد القهار ويعبد الأنصاب والأزلام وكذلك من يشرب الخمر وكل مسكر كالذى يعبد الأنصاب والألازم لأنهم أخذوا حكماً واحداً:

﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ ﴾ [المائدة]

إذاً علينا أن نجتنبهم ولا نقرب منهم أبداً.

وكذلك الزينة .. فإذا كان الإنسان كل همه فى الدنيا ماذا يلبس وماذا يفرش فى بيته ويزينه ويشغله ذلك عن الله؛ فهو فى الدنيا لأننى أريد من الدنيا كما يقول الرجل الصالح الذى قال لأحبابه أريد جلباباً؟ فقالوا ما وصفه؟

قال: أشتهى ثوباً يخدمنى لا أخدمه! أنا أى أريد الثوب الذى يخدمنى لكن إن أتيت بثوب غالٍ فإنى أحرص عليه كل الحرص! وإذا مسه أحد بسوء أتعارك معه! أو إذا سقط عليه شئ أسرع به إلى المغسلة وأريد أن أمشى به أمام الناس ... فيقول الناس ما أحسن هذا الثوب؟ فيشغلنى هذا الثوب عن الله ﷻ!! أما الثوب الذى يجب أن أبحث عنه هو:

﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [٢٦ الأعراف]

جلباب التقوى الذى ألبسه لقلبى من الذى ينسج هذا الجلباب ويصنعه ؟ ليس إلا أنا.وهل القلب يلبس جلباباً ؟ نعم فهو محل نظر الله فعندما ينظر إلى القلب وهو يلبس جلباب الزهد فوراً يرفع شأن صاحبه أو ينظر إلى القلب فيجده يلبس جلباب الخوف من الله فيعطيه جنتان من عنده ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ ﴾ [الرحمن] ... وإن رأى أن القلب يلبس ثوب الخشية من الله

يجمله بالعلـم الذى يجمل بـه الصالحين من عباد الله:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ﴾ [٢٨ فاطر]

أو ألبس القلب ثوب المحبة لكى أكون من الأحبة أو ألبسه ثوب الإخلاص لكى أكون من المخلصين أو ألبسه ثوب الصدق لكى أكون من الصادقين :

﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة]

ولـو أنى ألبسته ثوبـاً واحـداً من هـؤلاء فبها ونعمـت أمـا إذا ألبسته كل هـذه الأثواب فيـا هنـاى ويـا منـاى عند رب العـزة ﷻ لأنـه سـيرانى دائماً فى أحوال تليق بالرجال أهـل الكمـال الذيـن كانـوا حـول النبى ﷺ

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩ الفتح]

إذاً على الإنسان ألا ينشغـل بزيـنة الـدنيـا وزخرفها وبهرجها عن الله ﷻ والخليفة الأموى الذى بنى قصر عظيم وتـزوج امرأة من الصالحات ذهـب بهـا إلى القصر وسألها عـن رأيهـا فيـه وفى القصر فقـالت :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقـى غـير ألا بقـاء للإنـسان

والأعـلى والأرقى أن نبحث عما يـدوم كأصحاب حضرة النبى ﷺ عنـدما ذهبوا لزيارة سيدنا أبى ذر فلم يجدوا فى البيت سوى حصيرة يجلس عليها وطستاً واحد يتوضأ فيه ويعجن فيه ويغسل ملابسـه فيـه، وكـوباً يشرب به الماء ... فقالوا أين متاعك ؟ فقال ﷺ :

{ إنا لنا منزلاً خير من هذا سننتقل إليه وسندوم فيه طويلاً فكل متاع وجدناه صالحاً نقلناه وحولناه إليـه }

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التى كان قبل الموت بانيهـا
فإن بناها بخير طـاب مـسكنه وإن بناها بشر خـاب بانيهـا

فمن منا الذي استلم منزله هناك في الجنة وجهزه، إذ لا بد أن تستلم مكانــك من هنا فأين اشتريته، ومن الذى اشــترى فى الفــردوس ؟ ومن الذى اشترى فى حي النعيــم أو فى دار الخلــد أو فى دار الســلام أو فى جنــة المأوى ؟ فمــا دام ليــس لك مكان هناك فأين تسكن وليــس هناك مساكن للإيجــار ولا يــسكن أحـــد هــناك إلا فى ملكه وهذا الملك لا يشترى إلا من هنا ولا بد أن تعمره وأنت هنا.

مــن الذى قال ذلك ؟ صاحب الدار ﷻ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [١١١ التوبة]

لا بد وأن يدفع الإنسان نفسه وماله لله ليأخذ جنة الله جل فى علاه.وإذا كنت تريد تقسيم معين فى الجنة فانظر إلى المواصفات فى كتاب الله وكراسة الشروط الــتى أنزلها الله فى كتاب الله ووفى بهذه الشروط لكى تأخذ فى المكان الذى تحبه وترضــاه.

فإن كنت تريد الفردوس فإن كراسة الشروط فى أول ســورة المؤمنــون وفى آخــرها يقــول الله:

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ [المؤمنون]

وهكذا كل جنة لها شروطها ولها مواصفات أهلها وأعمالهم فى الدنيا .

ولذلك فإن الملائكة الذين يعملون عندك هناك وهم المقاولون الــذين كلفهــم رب العزة أن يبنوا هناك قصور لك ويجهزوا منازلك، فعندما تلعــب هنــا فى الــدنيا وتلهوا يتوقف العمل فى هذه القصور فتسألك اللجنة الهندسية الجنانية بقيادة رضــوان مدير عام الجنان لماذا لا تعملون ؟ يقولون حتى يأتينا الزاد، هذا الزاد من هنا من الدنيا تحوله إلى رصيدك إلى هناك فيعملون به أما إذا كان الرصيد صفر فكيف يعملون..

إذاً كل ذلك على حسب ما تعمل من الأعمال الصالحة ، ففى [٢ المزمل]:

﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾

على أن أقدم الباقيات الصالحات وأحوها إلى الله وأرفعها إلى الله وأجتهـد فى عملها والإكثار منها لكى أجد مكاناً عظيماً يوم ألقى فى جنة الله ﷻ

إذاً طالما أن الإنسان يعمل فى الدنيا ومشغول بالزخارف إن كان فى البنيـان أو الملابس فهو فى الدنيا " وتفاخـر " إذا كان هم الإنسان كله فى الدنيا الفخر والتفاخر بالمنصب والأولاد ويتباهى على خلق الله بما آتاه الله! فهل منا من يستطيع أن يـصنع ظفر طفل من أولاده ؟ أنها ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [٨٨ النمل].

فماذا صنعته فيه لتتفاخر به على أبناء الأخرين !! عجباً!!! هل أنـت الـذى صورته؟ هـل أنت الذى أحييته؟ هـل أنت الذى ترزقه؟ لا ولكنه فضل الله، أما إذا أردت أن تتباهى .,.,. فعليك أن تقول هذا من فضل الله على أن أعطانى كذا .... أو من اكرام الله لى أن أعانى بكذا ... أو من تدبير الله العظيم لى أن منَّ على بكذا ..

بذلك تنسب الفضـل لله رب العالمين.

وإذا وفقك الله وجعلك فى وظيفة كذا عليك أن تشكر الله على هذه الوظيفة بأن تنصر بجاهك المستضعفين وتخدم الفقراء والمساكين .. شكراً لله على هذه الوظيفة التى أقامك فيها رب العالمين وهكذا فى كل أمـر ...

فإذا كان الإنسان يتفاخـر ويتبـاهى وكل همـه فى الدنيا الفخـر والمباهـاه فهو فى الدنيـا ﴿ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ﴾ [٢ الحديد] أى إذا كان الإنسان يجمع الدنيا لكى ينظر إليه الناس .... وتحترمه .... وتقدره ويقولوا أن فلاناً هذا يملك كذا وكذا فهة إذاً فى الدنيا ، لكن إذا كان يجمع الدنيا لكى يرضى بها الله !! وهـذه نواياه .... فهو ليس فى الدنيا وإنما فى الآخرة !! .. إذاً فهى خمسة اشياء جعلـها الله هى الدنيا ... ثم لخصها مرة أخـرى فى اثنين :

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [٣٢ الأنعام]

وفصلها تفصيلا كـبيراً فى ثمانيـة ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ

ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ ومثلها السيارات والطائرات ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ هؤلاء جميعا ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [١٤ آل عمران].

إذاً ذكرها الله مرة بإيجاز شديد فى اللهو واللعب ومرة بتفصيل وسط: ﴿ ٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [٢ الحديد] ومرة ثالثة مفصلة ثمانية ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ إلى أن قال فى آخرها ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [١٤ آل عمران].

فإذا كنت فى أى عمل من غير المذكورين فى هذه الآيات فأنا فى الآخرة .... فمثلاً نحن الآن فى بيت الله ... فى مجلس علم ... فهل مجلس العلم هذا مذكور فى الثمانية؟ أو الخمسة؟ أو فى الاثنين ؟ لا .... إذاً فنحن الآن فى الآخرة.

وهذه هى الهجرة الثانية التى هى من الدنيا إلى الآخرة... ولذلك عندما وصف الله مجلس النبى قال لأصحابه النبى عندما يدعوكم حضرة النبى ويدرس لكم ﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾ [١٥٣ آل عمران] ... أى عندما يدعوكم الرسول ... تكونون فى الآخرة .....

وكذلك أثناء الصلاة أكون فى الآخرة ... إذا كنت تصلى الفرائض أو النوافل أو أصلى على حضرة النبى ... وكذلك إن كنت أذكر الله ... أو أتلو كتاب الله أو أصلح بين متخاصمين أو أعود مريضا لوجه الله أو أشيع جنازة رغبة فى ثواب الله فإذا كنت فى أى عمل من أعمال الخير هذه ... فأنا فى الآخرة ...

إذاً فالهجرة من الدنيا إلى الآخرة تعنى الهجرة من الأعمال الدنية التى وصف الله بها الدنيا فى الآيات القرآنية إلى الأعمال الفاخرة التى جعل الله من يعملها كأنه فى الدار الآخرة، وهذه الهجرة يلزمها توفيق الله! وإذا عملت ذلك وأكرمنى الله به فأنه قد يتفضل على فأهاجر من الكونين إلى مكون الأكوان! أى أهاجر من الدنيا والآخرة إلى الله! أى لا أشتغل إلا بحضرة الله! فلا يكون على البال إلا الله! ولا يشتغل الجسم بأى شئ إلا بالشئ الذى يرجو به وجه الله؛ مثل الذين أثنى عليهم الله وقال فيهم:

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الكهف٢٨]
يريدون وجه الله فى كل عمـــــل .

هذه الهجرة يلزمها أن يفر الإنسان من الدنيا ومن أهلـــها الـــساكنين إليهـــا والمشغولين بها ومن أهل البطالة ومن أهل الغفلة ومن أهل البعد عن حـــضرة الله ﷻ وإلا يلحقه منهم عدوى هذه الأمراض ولذلك قال الله لنا جميعاً فى هذه الهجرة:

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [٥ الذاريات]

كيف نفر إلى الله ؟

الناس البعيدون عن الله لا نساكنهم ولا نجالسهم ولا نحادثهم ونكون دائما مع الله ... وإذا قدر لى أن أكون وسط الناس الغافلين المنغمسين فى الغيبة والنميمة فـــالله قال لى فى ذلك ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام] فوقت رأس مالك فهو غالٍ وثمين فاحرص عليه !واجعله كله فى رضاء رب العـــالمين، واجعل قدوتك فيه سيد الأولين والآخرين ... الذى قال فى سورة الأنعام:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾

حياتـــه كلها لله .. ووقتـــه كله مشغول بالله ... وكان كمـــا تقـــول السيدة عائشـــة رضى الله عنها { **كَانَ لاَ يَجْلِسُ وَلاَ يَقُومُ إِلاَّ عَلَى ذِكْرٍ** }[١٦٨] ...

وذلك لأن وقته كله كان مع الله ... حتى أنه من غلبة الذكر عليه كان إذا نام لا ينام قلبه عن ذكر الله ... فمن شدة شغله بالله كان إذا نامت عيناه فإن قلبه لا ينام! بل يستمر دائباً على ذكر الله جلَّ فى علاه.

وهـــذا هو الحـــال العـــالى الـــذى يريـــد لنا صلى الله عليـــه وســـلم أن يدخلنا فيه ... وهذه الهجرة يلزمها فضل الله لأنه عندما يتفضل المتفضل على العبـــد يجعل كل وقته مع الله ويحول كل أعماله حتى العادية منها لرضاء الله. كيـــف ؟

يتولى الله تحسين نواياه فيجعله ينوى نية صالحة عند كل عمل يرجو بها رضـــاء

١٦٨جامع الأحاديث والمراسيل.

الله ويرجو بها وجه الله ﷻ {إنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإنَّمَا لِكُلِّ امْرِيءٍ ما نَوَى}[١٦٩]

وهذا بعض ما خطـر بالبـال من الهجـرة التى خص الله بها الرجـال.

وهنـاك هجـرات لا تعـد ولا تحصى لو أقبلنا علـى الله وأنـشغلنا بـالله واستمعنا بآذان قلوبنا وليس بآذان رؤوسنا إلى كتاب الله فأن الله سيفتح لنا علـوماً لاحد لها ولا حصر لها وسنقول كما قال الله: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس]

نسأل الله ﷻ أن يتولانا بولايته ... وألا يتركنا إلى أنفسنا ولا إلى غيره طرفـة عيـن ولا أقـل ..... وأن يعيننا بفضله وقوته .....

وأن يجعلنا فى الدنيا من أهـل ذكره وشكره وحسن عبادته وأن يلين أجسادنا وجوارحنا لخدمته وأن يلين قلوبنا لذكره والحضور بين يديه فى كل الحالات وأن ينقلنا من الغفلات إلى الطاعات وأن يجعلنا من أهـل الذكر والفكر والحضور مع الله فى كل حال وأن يوفقنا للعمل الصالح فى الدنيا ويجعلنا من السعداء يوم المآل.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس السادس والعشرون

النفخ فى الصور[١٧٠]

بسم الله الرحمن الرحيم .... الحمد الله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لـولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على من خصه الله بهدايته وأمر الخلـق جميعـاً باتبـاع هديـه وسنته وجعله وحـده قـدوة لجميع بريتـه سيدنا محمد الأسـوة الحـسنة والقدوة الطيبـة لنـا وللخلق أجمعـين صلى الله عليـه وعـلى آله الطيبيـن

١٦٩ رواه البخارى عن عمر بن الخطاب.
١٧٠ الأربعاء ٢٢ محرم ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨/١/٣ م بعد صلاة العشاء بالمسجد العتيق بالرزيقات قبلى.

وصحابته المباركين وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين. آمين يا رب العالمين .....

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين... ونحن كما تعلمون ليس لنا فى الحقيقة قدوة فى السابقين ولا فى اللاحقين لا من المشايخ ولا من العلماء غير سيد الرسل والأنبياء ﷺ :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ليس هناك أحد معه ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب]

كل العلماء وكل الصالحين وكل الأولياء وكل الأدلاء يدعون الخلق إلى سيد الرسل والأنبياء ومن يدعو منهم الخلق إلى إتباعه هو لا يصح إتباعه.

لكن الكل يدعو إلى إتباع سيد الكل والأسوة للكل والقدوة للكل سيدنا رسول الله ﷺ وسيدنا رسول الله ﷺ لا يدعو الخلق إلى ذاته وإنما يدعو الخلق إلى الله رب العالمين .... إذاً الأمر فى البداية والنهاية لله :

فكلنا نذكر أو نفكر أو نبين ونوضح فى سنة الحبيب المختار وليس هناك واحد من السابقين أو اللاحقين يستطيع أن يقول قولا من عنده فلكى نؤمن به ونتبع كلامه لا بد وأن يقول قال الله ، و قال رسول الله وإذا قال أنا أقول كذا ونقول لا نريد كلامك فماذا نفعل به ؟ ولا نريد إلا كلام الله وكلام رسول الله وكل ما عليك إذا نسينا أن تذكرنا وإذا كنا غافلين تنبهنا من النوم وتقول هيا يا قوم :

﴿ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحقاف الآية٣١]

وداعى الله هنا هو رسول الله حيث يقول يا قوم انتبهوا وارجعوا إلى طريق رسول الله لأنه ليس هناك طريق البتة بين الخلق وبين الله إلا طريق رسول الله

﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [١٥٣ الأنعام]

وانظر إلى جمال كلام الله لانه لم يقل { إن هذا صراطى مستقيما فامشوا عليه } والصراط يعنى الطريق ولكنه قال ﴿ فَٱتَّبِعُوه ﴾

إذاً فالصراط المستقيم هنا هو سيدنا رسول الله ﷺ والكل يدعو إلى ذلك وإلى صفاته وإلى جمالاته وإلى تشريعاته وإلى سننه وإلى كمالاته ويكفينا شرفاً وفخـــراً أن الله ﷻ أقامنا لأن ندعو إلى ذاته ﷺ فأى مريد إذا أرد أن يكون سعيد لا بـــد أن يتبـــع النبى الفريد ﷺ .... وهذه حقائق نكررها دائما ونوضحها ونبينها لإخواننـــا لكـــى يعرفوا أن من هو مثلى ليس معه علم ولا عمل ولا حـــال ولا أقـــوال إلا إذا أمـــده الواحد المتعال ببركة ســـيد الرجـــال ﷺ ودائما ما نقـــول

كل الذى أنـــا فيـــه فـــضل محمـــد منه بدا وإليـــه كـــان وصـــوليا

فكل البضاعة التى معنا بفضل الله جاءتنا ببركة رسول الله ﷺ

بعد ذلك ندخل على درس اليوم الذى فتحه لنا الله فنحن دائما نجلس فى بيت الله على مائدة كتاب الله وهذا هو منهجنا الذى علمنا إياه الـــسادة الـــصالحون .... ومشينا عليه ، نسأل الله أن نحافظ على ذلك إلى أن يتوفانـــا مـــسلمين و يلحقـــــنا بالصالحين ..... فنجلس على مائدة القرآن ونصيبنا من الحق الذى يتلوه القـــارئ أى قارئ لآيات الرحمن ﷻ! .. ولذلك دائما ما نقول هاتوا القارئ من عندكم لكـــى لا يقول البعض أننا متفقون مع القـــارئ الذى معنا على بعض الآيات التى نجهزها لذلك ونحفظها ثم نرددها ونبينها وانتهى الأمـــر!!!فقولنا هاتوا القارئ من بينكم لمـــــاذا ؟ لكـــى يأتينا بفضـــل الله ونرى الرزق الـــذى أرسله لنـــا الله فى تلك الساعـــة .

فالقرآن الكريم كما قال حضرة النبى {**مَأْدُبَةُ اللَّهِ فِى الأَرْض**}[171] فهو المأدبة التى نأكل منها ونشرب.شراب من النور يترله الله ﷻ عنـــد الـــتلاوة والـــسماع فى الصدور يفعل فى القلوب كما يقول العزيز الغفـــور ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإنسان] .... هذا الشراب يطهر القلوب فـــلا شئ يجلى القلوب ويطهرهـــا من العيوب مثل كلام عـــلام الغيـــوب ﷻ .

فعندما يسمع الإنسان القرآن بالأذان الواعية وهى أذان القلب التى حث على السماع بها حضرة الرحمن.تترل أنوار من القرآن لا تراها العين ولكن يشعر بها القلب

١٧١سنن الدارمي والمستدرك للحاكم عن عبدالله.

ويحس بواقعها ويشعر بها الإنسان تشرح الصدر وتسر البال وتنزل على القلب فتزيل كل الهم والغم والمشاكل والدنيا وتجعل الإنسان يحيا مع الله كأنه يطلع عليه ويراه وهذا هو المقصد من كتاب الله جلا وعلا .

والآيات التى استمعنا إليها اليوم من أخى الشيخ أسامه بارك الله ﷻ فيه وزاده الله حلاوة فى صوته وطلاوة فى آدائه أذكر ما خطر على بالى عند السماع فهى تتكلم عن الموقف العظيم وبعض ما سيحدث فيه للعوالم فسيأتى النفخ فى الصور لتجهيز أرض النشور والنفخ فى الصور عندما نراه فى آيات القرآن نجد أنه ثلاث نفخات.

النفخة الأولى : هى نفخة الفزع ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [٨٧ النمل]

وكل من فى السموات والأرض سيحدث لهم فزع وهلع وخوف عظيم لأنهم سيشعرون بقرب النهاية وذلك لمن يكون على قيد الحياة ونسأل الله ﷻ ألا يأتى علينا هذا اليوم لأن الحديث يقول {لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}[١٧٢]

والحديث الآخر {لا تَقُوْمُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْلِبَ عَلى الدُّنْيَا لُكَعُ بْنُ لُكَعٍ}[١٧٣]

وعندما يهيئ الله ﷻ الأرض للقيامة يرسل ريحاً باردة تأخذ أرواح المؤمنين لكى لا يروا الأهوال التى ستحدث فى القيامة .... ثم يموت الباقى فى وقت واحد... ويرسل الله ﷻ ملائكته ليقوموا بتجهيزهم وتغسيلهم ودفنهم .... بعد ذلك تتجهز الأرض من أجل العرض على الله ﷻ.

ونفخة الفزع هذه سيكون فيها هزات وزلازل وبراكين

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ ﴾ [الزلزلة]

هذه الزلازل تكون شديدة وعظيمة لا مثيل لها وغيرها من الوقائع مثل:

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ ﴾ [الانفطار]

---

١٧٢ صحيح ابن حبان عن أنس بن مالك.
١٧٣ رواه الطبراني فى الأوسط عن أبي ذر.

وغير ذلك كثيرا واقرأ فى كتاب الله لكى تعرف وهذا فى نفخة الفــزع!!

النفخة الثانية هى نفخة الصعق .. وهى تأتى بعد ذلك:

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [٦٨ الزمر]

والصعق هنا أى أن الكل سيموت ولن يتبقى إلا الكبار أمثال جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، فبعد هذه النفخة يقول رب العزة لإسرافيل لأنه صاحب النفخة، وانظروا إلى الحبيب الشفيق ... وكيف كان يــستعد لهذه النفخات منذ أنزل الله عليه هذه الآيات البينات :

{قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: استَأْذَنْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ في مَشْرُبَةٍ وَإِنَّهُ لَمُضْطَجِعٌ عَلَى خَصَفَةٍ إِنَّ بَعْضَهُ لَعَلَى التّرابِ وَتَحتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مَحْشُوَّةٌ لِيفاً، وَإِنَّ فَوْقَ رَأْسِهِ لإهَاباً عَطِناً، وَفِي نَاحِيَةِ المَشْرُبَةِ قَرَظٌ فَسَلَّمتُ عَلَيْهِ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: أَنْتَ نَبِيُّ اللّهِ وَصَفْوَتُهُ وَكِسْرَى وَقَيْصرُ عَلَى سُرُرِ الذّهَبِ وَفُرُشِ الدِّيبَاجِ وَالحَرِيرِ، فَقَالَ: أُولَئِكَ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ وَهِيَ وَشِيكَةُ الانْقِطَاعِ، وَإِنَّا قَوْمٌ أُخِّرَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي آخِرَتِنَا }[١٧٤].

وقال ﷺ:{ كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ. قَالَ المُسْلِمُونَ فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رسُولَ اللهِ؟ قَالَ: قُولُوا: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ تَوَكّلْنَا عَلَى الله ربنا }[١٧٥].

ويقصد بذلك كســرى وقيــصر وذلك لكى يخرجــوا مــن الدنيــا ولا حسنة لهم يطالبــون بها الله ﷻ أما نحن فقد ادخر لنــا الله ﷻ الأجــر والثــواب فى

١٧٤صحيح ابن حبان عن أنس.
١٧٥سنن الترمذي عن أبي سعيد الخدري

الآخـــرة ولذلك ابتـــلانا مرة بالهم ومرة بالغم ومرة بالمرض ومرة بالفقر ومرة بالبرد ومرة بالحر ومـــرة بالحروب ومرة بالكروب وذلك لكى يخرج كل واحد فينـــا مـــن الدنيـــا وليـــس عليه سيئة واحدة يطالبـــه بهـــا الله ﷻ

قال ﷺ {**لَا يُصيبُ المرءَ المؤمنَ مَنْ نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمَ ولا حُزْنٍ ولا غمَ ولا أذىً حتى الشوكةُ يُشَاكُها إلا كَفَّرَ اللَّهُ عنهُ بها خَطايَاهُ**} وهذا الحديث رواه سيدنا الإمام مسلم ﷺ

وكما تعرفون فإن المسلمين عاتبون على حضرة الله ويقولـــون لمـــاذا يعطـــى الكافرين كذا وكذا ويملكـــون القصـــور والجنـــات والخيرات ويتركنـــا ؟ أنـــه لا يتركنا ولكنه يطهرنا ! ومن ليس عليه وزر يزيده درجات فى الجنات! وذلـــك لكـــى نخرج من الدنيا وليس علينا سيئة واحدة يطالبنا بها من يقول للشئ كـــن فيكـــون ... وقد ضرب لنا سيدنا رسول الله القدوة فى هذا الأمر.

والصور الذى ينفخ فيه إسرافيل عبارة عن العالم الذى بعض ما فيه الـــسموات السبع والأراضين السبع وما فيهن وما بينهم.. وعندما ينفخ هذه النفخة فإن كل ما فى السموات ومن فى الأرض وكل الذى بينهم يصعق وينتهى أمره !! ... فيقول الله مـــن الذى بقى؟ يقول لم يبق إلا جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل فيقـــول الحـــق ﷻ ليمت جبريل فيموت، وليمت عزرائيل فيموت ، وليمت إسرافيل فيموت، وليمـــت ميكائيل فيموت ... فيقول الحي الذى لا يموت ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [١٦ غـــافر] فلا يجيبه أحـــد! ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ ؟ ولا مجيب ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ ؟ فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه بنفسه :

﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر]

النفخة الثـــالثـــة وهى نفخة البعث:

وبعد ذلك تتجهز أرض المحشر وأرض المنشر وكذلك تتجهز الموازين ويتجهـــز الصراط وبـــعد أن يتم تجهيـــز أرض القيامة بقدرة الله يحي الله تعالى إسرافيـــــل " ثم ينفخ فيه أخرى " وهى النفخة الثالثة: ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر].

ويعود الكل للحياة ولا أستطيع أن أروى ذلك بالتفصيل لأنه يحتاج إلى وقت طويل وعند هذه النفخة قال ﷺ {النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ}[١٧٦] لكن ذلك بعد رسول الله وذلك حتى لا يظن أخواننا الغير منتبهين أن أول من يقوم هو موسى ويقولون قال رسول الله.مع أن رسول الله هنا يخبر.

إذاً فأن أول من يقوم بعد رسول الله هو موسى عليه السلام.فى ذلك الوقت تكون الأجسام قد تحللت ولم يبقى منها إلا التراب لكن حكمة الله ﷻ وهو العزيز الحكيم أنه جعل الإنسان فريداً فى كل ما تفضل به عليه المتفضل فكل واحد له وجه لم يسبقه سابق ولا يدركه لا حق من الأولين ولا الآخرين وكل واحد له صوت خصه به من يقول للشئ كن فيكون وكل واحد له بصمات إن كان فى أصابعه أو فى عينه أو فى أضراسه خصه بها الخالق المبدع ﷻ وكل واحد له روح وله قلب وله عقل بمواصفات وقدرات خاصة لم يعطها الله ﷻ لأحد سواه من السابقين أو من المعاصرين أو من اللاحقين وذلك لكى تظهر فيه قدرة رب العالمين.

وعندما يرى الناس يقرأ ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [٣ التغابن]

فيجب أن تقرأ هذه الآية بقلبك .... وعندما تنظر إلى الناس .... ترى قدرة رب الناس فتزيد إيماناً ...

ومع هذا فأن كل واحد حتى الطين والتراب المتبقى منه فى القبر يختلف عمن قبله ومن بعده .... فلو وضعنا فى القبر مائة ألف أو يزيد ...!! فلا يختلط تراب أحد بالآخر فكل واحد له خصوصية خصه بها رب العزة ﷻ لأن الخالق ﷻ أبدع الإنسان صورة فريدة قال فيها ﷺ: {خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ}[١٧٧] فى الفردانية وعدم المثلية !!! وكل واحد فريد فى صورته الظاهرة والباطنة!!! وليس له مثيل فى

١٧٦صحيح البخارى عن أبي سعيد.
١٧٧صحيح البخارى عن أبي هريرة.

كل أوصافه الظاهرة والباطنة ..... وذلك لكى نرى قدرة القادر .... وعظمة العظيم وإبداع المبـــدع ﷻ.

وقد جعل القادر ﷻ لكل واحد فى جسمه مغناطيساً ربانياً يجمع عليه ترابــه كالمغناطيس الذى يجمع الحديد هذا المغناطيس موجود فى أسفل العمود الفقرى يقـــول فيـــه ﷺ: {كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ. مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ}[178] وعجب الذنب هـــو ما يقولون عنـــه فى اللغة العامية { العصعص }، هذا العصعص لا يفنى أبـــدا لأنـــه المغناطيس الذى سيتجمع عليه تراب الإنسان.

وبعد نفخة الصعق التى هى قبل نفخة القيامة يأمر الله ﷻ الأرض وما ســأقوله قد رواه وصرح به باب علوم النبوة الذى قال فيه حضرة الـــنبى: { أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ }[179] ، ومن يريد أن يرجع لذلك يجده فى كتاب نهج البلاغة للإمام عـــلى وهو عبارة عن ستة عشر مجلد جمعه أحد أولاد الإمام على اسمه الشريف الرضي ﷺ ، وقد جمع فيه بعض أقوال الإمام على لأنه لايـــستطيع أحد أنه يجمع كل أقواله وقد كان سيدنا على يقـــول:

" لو فسرت فاتحة الكتاب بما أعلم لو قرتم سبعين بعيراً "

أى تستغرق ورقاً يحمله سبعون جملاً ، وهذا هـــو من علم النبوة خصه بـــــه الله لفدائيته وحبه لرسول الله ﷺ . وقـــد قال سيدنا على فى ذلك: يأمر الله الريـــاح أن تعتقم الأرض من جهاتها الأربع وتشتد صدمات الرياح وتشتد قوة الريـــاح حـــتى تحول الْجِبَالُ إلى ما قال فيه الواحد المتعال : ﴿ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴿١٤﴾ ﴾ [المزمل].

أى كوماً هائلاً من الرمل فى هـــذه الرجـــة ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ ﴾ .... أيـــن تذهـــب هذه الجبـــــال ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ [الواقعة] ......

أى كأنها لم تكن فيتجمع بسبب هذه الريح تراب كل إنسان على المغنـــاطيس

١٧٨رواه مسلم عن أبي هريرة.
١٧٩عق عد طب ك) عن ابن عبّاس رضيَ اللَّهُ عنهُمَا (عد ك) عن جابر رضيَ اللَّهُ عنهُمْ (جامع الأحاديث والمراسيل).

وهو العصعص.الخاص به حتى من أكله السمك أو احترق فى النار أو الذى هنا أو هناك كل ذلك سيجمعه الجامع ﷻ ويكون حقيقة الإنسان ثم بعد ذلك يتكون جسم الإنسان كيف؟

لما يقدر الله ﷻ نطفة الإنسان أن يخرج منها ولد يهئ الله الدواعى والأسباب بين الرجل وزوجته فإذا لامسها أمر الله ﷻ ملكاً يترل من السماء فيقسم هذه النطفة أو الماء إلى ثلاث أقسام يترل فى الرحم يتكون منه الإنسان وقسم يوضع فى موضع قبره الذى سيدفن فيه ولذلك عندما: { **مرّ النبيّ بجنازة عند قبر فقال: «قبر من هذا؟» فقالوا: فلان الحبشي يا رسول الله، فقال رسول الله : لا إِلهَ إِلّا الله لا إِلهَ إِلّا الله سِيقَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمائِهِ إِلى تُرْبَتِهِ الّتي مِنْها خُلِقَ**}[180].

إذاً لا بد وأن يدفن الإنسان فى المكان الذى فيه جزء منه أما القسم الثالث فيصعد إلى عالم المزن ويضعه الله ﷻ فى سحائب المزن فإذا قدر الله الخلق ؟ كما قال فى الحديث الصحيح ﷺ { **يُنْزِلُ اللّهُ ــ مَطَراً كَأَنّهُ الطّلُّ أَوِ الظّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النّاسِ**}[181] وذكر عن عبدالله بن مسعود ﷺ أنه قال:{ **ثم يرسل الله ماء من تحت العرش كمني الرجال فتنبت لحمانهم وجثمانهم كما تنبت الأرض من الثرى ثم قرأ عبد الله: {الله الذي يرسل الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ} حتى بلغ: {كَذلِكَ النُّشُورُ}**}[182]

فيأمر الله ﷻ السماء أن تمطر فتمطر أربعين عاماً منياً كمنى الرجال، الأربعين سنة هذه هل بسنيننا أو بسنين الله؟ الله أعلم لأن ايامنا تختلف عن أيام الله فيوم الله ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحج]

ولذلك عندما تسمعه وهو يقول:

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [٥٤ الأعراف]

فإنه سبحانه يعنى أنه قد خلقها فى ستة آلاف سنة أما يوم القيامة فإنه يختلف

١٨٠المستدرك للحاكم عن أبي سعيد الخدرى.
١٨١رواه مسلم والإمام أحمد
١٨٢مصنف ابن أبي شيبة والمستدرك للحاكم.

عن هذه الأيام لأن مقـدارهُ ﴿ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ ﴾ [المعارج].

وقال مقداره لأنه سيقدر لأنه ليس هناك شمس ولا قمر ولا نجوم وإنما تقـدير يقدره الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وكل واحد منا سيترل على ترابه مـن الماء الذى خلق منه في البداية ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝ ﴾ [الأعراف].

فتتكون مـرة أخرى هيئة الإنسان وتكون على حسب ما قال الرحمن ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ۝ ﴾ [الواقعة] فإذا كان من أهل الجنة فإن تكوينه يكون على الشاكلة التى تناسب أهل الجنة وإن كان من أهل النار والعياذ بالله يكون تكوينه مناسب لجهنم.

إذاً فالهيئة مختلفة أما الشكل فظاهر... والكل سيعرفه .... لكن أهـل الجنـة سيكون الواحد فيهم كما قال حضرة النبى فى طول آدم عليه السلام سـبعة وسـتون زراعاً وتكوينه مغاير للجسم الذى نحن فيه الآن ... فهو الآن يأكل ويشرب ثم يخـرج الماء والفضلات .... أما فى الجنة فليس فيها فضلات.

إذاً فالإنسان هناك غير محتاج لجهاز الإخراج ... وإذا كان الجو هنا على الدنيا بارد أو حار .... فقد جعل الله العزيز الحكيم للإنسان تكييف عظيم وهو الأنف فإذا دخل الهواء الساخن أيام الصيف يبرده لكى لا يؤذى الرئتين أو الصدر .... وإذا دخل الهواء البارد أيام الشتاء يدفئه لكى لا يؤذى كذلك الـرئتين .... أمـا إذا عرضـت نفسك لتيار شديد فإن الجهاز سيتعطل ويصاب بالزكام والبرد إلى فترة.هـذا الجهـاز أيضا لا نحتاجه هناك ولذلك قـال ﷺ:

{ يأكُـلُ أَهْـلُ الْجَنَّـةِ فِيهَـا وَيَـشْرَبُونَ. وَلاَ يَتَغَوَّطُـونَ وَلاَ يَمْتَخِطُـونَ وَلاَ يَبُولُونَ} فلا مخاط ولا بول ولا فضلات فقالوا يا رسول والفضلات فال ﷺ {جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ. يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ}[١٨٣]

ولذلك لو أنتبهنا جيداً !! ... واسمعوا معى:

فإن حضرة النبى وهو فى الدنيا كان يعيش فى الجنة فقد كانت رائحـة عرقـه أذكى من رائحة المسك .. وإذا صافحه أحد يظل عطر رسول الله فى يده ثلاثة أيام ...

١٨٣صحيح مسلم عن جابر.

وعندما يسأل أحد عن رسول الله ولا يجده يمشى فى الطريق الذى فيه عطر رسول الله وذلك لأن له عطر مخصوص ومازال هذا العطر موجوداً لكن لا يشمه فى هذا الزمـــان إلا أهل القلوب ... فيعرفون به أن رسول أتى إلى هذا المجلس وشرف فيه.

هذا العطر لا مثيل له فى فرنسا ولا فى أمريكا ولا فى أى مكان لأنه عطر ربانى رحمانى جنانى من الجنة ... وكان أصحاب رسول الله رضى الله عنهم يعرفـــون هـــذه الحقيقة فقد كان ﷺ ينام ويقيل عند السيدة أم سليم رضى الله عنها وكـــان ســـيدنا رسول الله غزير العرق وفى يوم استيقظ فوجد معها مناديل تجفف بها عرقه فقال:

ما هذا يا أم سليم؟ قالت نساء الأنصار جئن بهذه المناديل لأجفف بها عرقـــك قال يا أم سليم سليهن ما يصنعن بـــه ؟ .... فذهبت ثم عادت، وقالت: يارســـول الله قلن نصلح به طيبنا وإنه لأطيب الطيب.[١٨٤]

فهى رائحة لا مثيل لها وقد ذهب له يوماً من يقـــول يـــا رســـول الله: { **إني زَوَّجْتُ ابنتي وإني أحبُّ أن تعينني بشيء فقال: «مَا عِنْدِي مِن شَيْءٍ، ولَكِنْ إذَا كانَ غدٌ فَتَعَالَ، فَجِيءَ بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةِ الرَّأْسِ وَعُودِ شَجَرَةٍ، وآيةُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ أَنِّ أُجِيْفُ نَاحِيَةَ البَابِ»أتاهُ بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةِ الرَّأس وعودِ شجرةٍ فجعلَ يَسْلُتُ العرَقَ من ذراعيه حتى امتلأت فقال: «خُذْ وَمُرِ ابْنَتَكَ إذَا أَرَادَتْ أَنْ تَطَيَّبَ أَنْ تَغْمِسَ هَذَا العُودَ في القَارُورَةِ وَتَطَيَّبَ بِهِ» قال: فكانت إذا تطيبت شَمَّ أهل المدينة رائحةَ الطِّيْبِ فسموا بيت المُطَيَّبين** } ..... وكان هـــذا الطيـــب مـــن الزجاجة التى أخذها من رسول الله ﷺ !!!

إذاً كان ﷺ وهو فى الدنيا فى حال أهل الجنة والدليل الثانى كـــان ﷺ إذا أراد أن يقضى حاجته يذهب بعيداً فيبحثون بعد قضاء حاجته فى المكان الذى قـــضى فيـــه حاجته فلا يجدون شيئاً وقد حدث ذلك مرات عديدة فقالـــوا يا رسول الله لماذا لم نجد شيئاً ؟ فقال ما يعنى أن الأرض ابتلعتها، وكان الرد لأنهم لم يستطيعوا أن يـــستوعبوا هذه الحقيقة !!! فكلمهم على قدرهم ... وهذا معناه أنه لم يكن له فضلات مثل حال

---

١٨٤ وفى رواية أخرى نذكره هنا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ فَقَالَ عِنْدَنَا فَعَرِقَ. وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَـــارُورَةٍ. فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعَرَقَ فِيهَا. فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هٰذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟» قَالَتْ: هٰذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَـــا. وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ (صحيح مسلم).

أهل الجنة { وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ وَلاَ يَبُولُونَ }... ولا يكبر أحـــد منـــهم!! بـــل يظل خـــالداً مخلداً فيها أبـــداً فى سن الشباب فى عمر ثلاثة وثلاثـــين .

إذاً من سيذهب إلى الجنة لا بد وأن يكون جسمه الذى يكونه رب الجنة ملائماً للجنة فهل بالجنة مرض أو هم وغم ؟ لا .... إذاً لا بد وأن يكون هذا الجـــسم غـــير قابل للمرض ولذلك سيقولون عندما يـــدخلونها ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ [٣٤ فاطر] ....

ليس هناك حزن وسيكون الجسم معد بهذه الكيفيـــة .أقـــل أهل الجنة كمـــا أخبر الحبيب بمعنى أنه سيكون فيه قوة أربعين رجـــلاً، قوة إلهيـــة ربانيـــة نورانيـــة!!! ونكتفى بهذا الوصف حتى لا نطيل عليكم لأن الوصف يطول شرحه.

أما أهل النار والعياذ بالله ....

لا بد أيضا من تجهيز جسم الواحد منهم ليوافق العـــذاب فما الذى يـــشـــعر بالعذاب ويحس به ؟ .... الجلـــد .... وهذا هو كلام رب العالمين!، وقد أثبت العلـــم الحديث هذا الأمر منذ سنين قليلة: " أن الجلد هو الذى يشعر بالبرد وبالحر وبالألم"، وقـــد قـــال الله تعالى فى ذلك:

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ [٥٦النساء]

إذاً لا بـــد وأن يكون جلد الكافر سميكاً لكى يتحمل قـــال ﷺ:

{ جِلْدُهُ سِوَى لَحْمِهِ وَعِظَامِهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعاً }[١٨٥]

وذلك لكى يتحمـــل العـــذاب ومـــع ذلك سيتغير باســـتمرار وإذا كـــان جلـــده بهـــذا الحجم فمـــا مقدار جسمه ؟

أعطانا حضرة النبى بعض هذه الأوصـــاف وقـــال { مَقْعَدُ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، وَكُلُّ ضِرْسٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرْقَانَ، }[١٨٦].

١٨٥رواه أحمد وأبويعلى والحاكم عن أبي سعيد.
١٨٦نفس الحديث السابق.

وبعد أن يتم هذا التشكيل وهـذا التـصوير: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [٦٨الزمر] ينفخ النفخة الثالثة فتخرج الأرواح كما قال الفتاح:

﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝ ﴾ [القمر]

مثل الجراد!!! وكل روح تذهب لصاحبها فهى تعرفه ولا تـذهب لغـيره ... وعندما تدخل فيه الروح تتحرك فيه الحياة بإذن الحى القيوم ﷻ.

كم مجموعة تكون يوم القيامة ؟

أربع مجموعات مجموعة منهم تقوم من القبور إلى يوم القصور فى الجنة وليس لهم شأن بالحساب ولا بالميزان ولا بالصراط ولا بغير ذلك.

ومجموعة ثانية من القبور إلى جهنم وكذلك ليس لهؤلاء شـأن بالحـساب ولا بالميزان ولا بالصراط ولكن على جهنم مباشرة وبئس القـرار.

والمجموعة الأولى التى نريد أن نكون منهم إن شاء الله ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ ﴾ [الزمر]، حتى أنهم لن يدخلوا من أبواب الجنة الثمانية فالباب الواحد يقول فيـه ﷺ : { مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ }[187] ومع ذلك إن الأكتاف لتكاد تنخلع من شدة الزحام ... إذاً من يدخل الجنة يدخل فى هذا الزحام ...

أما هذه الجماعة الأولى فلا شأن لها بالأبواب! وعندما تنظر الملائكة فى الجنـة تجد أن كل واحد منهم يجلس فى قصره وفى شرفته يشاهدون أرض الموقـف العظـيم فيسألون هل رأيتم حساباً؟ يقولون: لا والله ما رأينا حساباً قط! .. هل جزتم صراطاً؟ يقولون: لا والله ما جزنا صراطاً! فيسألونهم : أأنبياء أنتم؟ يقولون: لا، فتقول الملائكة: من أمة من أنتم ؟ فيقولون: من أمة محمد ﷺ ... وهذا ما أريد أن أبينه !!!

فقد قال الله فى كل الأمم الـسابقة: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ كيف تكون معاملتهم؟

---

187 صحيح مسلم عن خالد بن عمير العدوي.

من قانون ... ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الزمر] .. كل واحد منهم يأخذ ماله وما عليه حتى الملائكة فى ختام السورة: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ ... ثم: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [٧٥ الزمر] إذاً سيكون الحساب بالعدل!

أما نحن أمة الحبيب فالحساب بالفضل وليس بالعدل وذلك خصوصية لرسول الله وأمته ﷺ ولذلك قال لنا: { **لن يدخل أحدكم الجنة بعمله** }[188] وإياكم أن يظن واحد منكم أن عمله هو الذى سيوصله ؟ وهو الذى سيدخله الجنة لأننا سندخل بفضل الله وببركة رسول الله ﷺ لأنه لو حاسبنا على أعمالنا فمن الذى ينجو.

الإمام الجنيد ﷺ سيد الصوفية وكان يصلى فى كل ليلة ثلاثمائة ركعة لله وكان لسانه لا يكل ولا يمل عن ذكر الله ... حتى أنهم عند موته قالوا له: اذكر الله فقال: ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة! أى ذكرتك مع أنى لم أنساك فى لمحة.

وقيل للشبلى عند موته قل لاإله إلا الله ، فأنشد مخاطبا الحق تبارك وتعالى قائلاً:

إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتى الناس بالحجج

أى ليس معى حجة سوى وجهك وأن كانت حجة الصلاة والصيام فإنها لو وزنت بسنجة الإخلاص فماذا يتبقى منها ؟ وبعد أن قبض ﷺ ودفن، رأه بعد أيام أخ صالح له فى المنام، فقال له: ماذا فعل الله بك ؟ فرد عليه قائلا :

"**حاسبونا فدققوا ثم منوا فأعتقوا** " والمعنى أنهم حاسبوه حتى ظن أنه لن ينجو ... ثم منُّوا عليه بعد ذلك ونجى، "فقال الرجل : فما بال العبادات التى كنت تعملها؟ فقال: ضاعت تلك الركعات وتاهت العبارات أمام قدرة من يقول للشئ كن فيكون ﷻ!!" ...... وليس معنى ذلك أن نترك الصلاة والصيام .. لا ! بل نصلى ونصوم ونؤدى ما علينا لله ..... ثم نعتقد ونعلم علم اليقين أن دخول الجنة بفضل الله ... وببركة رسول ﷺ كما قلنا.

١٨٨مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة.

واذكر لكم حديث هذه الفئة العظيمة التى تدخل الجنة بغير حساب لتحفظوه:

{ إذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَنْبَتَ اللّه تَعَالَى لِطَائِفَةٍ مِنْ أُمّتِي أَجْنِحَةً فَيَطِيرُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الجِنَانِ يَسْرَحُونَ فِيها وَيَتَنَعّمُونَ فِيها كَيْفَ شَاؤُوا، فَتَقُولُ لَهُمُ المَلائِكَةَ: هَلْ رَأَيْتُمُ الحِسَابَ؟ فَيَقُولُون: ما رَأَيْنَا حِسَاباً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ جُزْتُمُ الصّرَاطَ؟ فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا صِرَاطاً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ رَأَيْتُمْ جَهَنّمَ؟ فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا، فَتَقُولُ المَلائِكَة: مِنْ أُمّةِ مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ أُمّةِ مُحَمّدٍ ، فَتَقُولُ: نَاشَدْنَاكُمْ اللّهَ حَدّثُونا ما كَانَتْ أَعْمَالُكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُونَ: خَصْلَتَانِ كَانَتَا فِينا فَبَلَغْنَا هذِهِ المَنْزِلَةَ بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللّهِ، فَيَقُولُونَ: وَما هُمَا؟ فَيَقُولُونَ: كُنّا إذا خَلَوْنَا نَسْتَحِي أَنْ نَعْصِيه وَنَرْضَى بِاليَسِيرِ مِمّا قُسِمَ لَنَا، فَتَقُولُ المَلائِكَةُ: يَحِقُّ لَكُمْ هذا }.[١٨٩]

وأظن أن هاتين الخصلتين فى هذا الزمان من العملات النادرة !!! أليس كذلك!

كنا إذا خلونا أى عندما يكون الإنسان وحده يستحى أن يعصى الله، والرضـــا بالرزق بين المؤمنين الآن فى هذه الحياة مع قول الحبيب المصطفى: **{ وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النّاس }**[١٩٠] وهــؤلاء سيدخلون الجنة بغير حساب.

أمـــا الكافرون والمشركون والجاحدون فقـــد قـــال الله فيهم:

﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف]

أما من يدخلون الحساب من المؤمنين أهل اليمين ... أو المقصِّرين .. وهــؤلاء هى المجموعة الثالثة وهى التى قـــال حضرة النبى للســـيدة عائشة رضـــى الله عنـــها ولـــنا أجمعين : **{ يا عائشة: مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذبَ }**[١٩١] ... لماذا؟

وذلك لأن المناقشة ذاتها يكفى فيها الخجل والحياء الذى سيكتسى به الإنسان!!

---

١٨٩ إحياء علوم الدين ، كتاب المحبة والشوق والأنس، وفى طبقات الشافعية الكبرى.
١٩٠ مسند الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة.
١٩١ صحيح البخارى عن عائشة.

ويكفى الخزى!! إلا إذا كان الإنسان ممن سيدخلون فى معية النبى العدنان ممن يحبون الصالحين والمتقين ... ويمشون معهم متأسين بسيد الأولين والآخرين ،كيف ذلك ؟

{ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ. قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللّهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ «وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ؟» قَالَ: حُبَّ اللّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ }[١٩٢]

وف رواية { أبشر أنت مع من أحببت يوم القيامة }، مثل هؤلاء حتى لو حاسبهم الله!! فإن من يحاسب منهم سيحاسب حساباً يسيراً قال فيه الله:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف]

ويكفى أن الله سيحاسب الواحد منهم بينه وبينه فلا يراه أحد ولا يطلع عليه: { يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ. حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ. فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ. فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ }[١٩٣].

وهذا لمن يعيش فى الدنيا وهو يحب حضرة النبى .. وظل يجتهد إلى أن دخل فى قول الله ووعده الصادق للنبى ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ ﴾ [٨ التحريم]، فلن يخزيهم اله .... ولن يفضحهم هناك أبداً ...

أمة هذا فضلها وهذا نورها وهذا حسابها وهذا عطاء الله لها ... أعتقد أنه ينبغى على كل فرد من هذه الأمة أن يتمسك بالحبيب المختار ويحرص على العمل بسنته ليل نهار ولا يفارق حبه قلبه نفساً فى هذه الدار ... حتى يخرج من الدنيا وقلبه متعلق بالنبى المختار.. لكى يقول مثلما قال بلال: {غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه }

نسأل الله أن نكون من هؤلاء ... وأن يجملنا بجمال عباده الصادقين ... وأن يكتبنا من حزبه المفلحين ... وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه فى الدنيا .... وأن يجعلنا من

١٩٢صحيح مسلم.
١٩٣صحيح البخارى ومسلم عن صفوان بن محرز.

أهـــل سعادته يوم الدين .... وأن يغفر لنا ذنوبنا كلها ما ظهر منها وما بطن ما صغر منها وما كبر وما علمنا منها وما لم نعلم... ونسأله ﷻ أن يعاملنـــا بفـــضله ... وألا نكون من أهل المعاملة بعدله وأن يرزقنا صحبة النبى المختار ... وأن يجعلنا مـــن أهـــل شفاعته فى الدار الآخرة ... وأن نكون من الذين يستظلون بظل لوائه يوم العرض ... ومن الذين يشربون من يـــده الشريف شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبـــداً .... وأن نكون من أهـــل جواره فى الدرجات العلى من الجنة .... وأن يكمل علينا المنـــة فيجعلنا من الذين يتمتعون ببحبوحة النظر إلى وجه الله جل فى عـــلاه ... وصـــلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس السابع والعشرون

الغاية من خلق الإنسان[194]

بسم الله الرحمن الرحيم ... الحمد لله الواسع الذى لا منتهى لوسعه واسع فى خلقه واسع فى علمه واسع فى جماله واسع فى كماله ومن سعته لا منتهى لحد فى مخلوقاته فقد خلق السموات وجملها بالكواكب والنجوم السيارات ومازال يوسعها إلى يوم الميقات:

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ ﴾ [الذاريات]

وسعة لا يعلمه إلا الله فى العوالم العالية والدانية إلى يـــوم القيامـــة، والـــصلاة والسلام على الحبيب المحبوب من اختصه الله ﷻ بالوسعة فى القلـــوب، والوســـعة فى الغيوب، والوسعة فى العلم الموهوب، والوسعة فى الدرجات العلى عند علام الغيـــوب، والوسعة فى كل نعيم موهوب لأى رجل من عباد الله الصالحين، صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد الذى تتسع الجنـــات عند سماع اسمه .. وتتزين الحور والقصور عند ذكر اسمه .. وتبتهج الجنان بكل أرجائها عنـــد وجود رسمه ... ولا تفـــتح الجنـــات

194 الأربعاء ٢٢ محرم ١٤٢٩ هـ ـ ٣/١/ ٢٠٠٨ بعد العشاء منزل الحاج عبد الماجد أبو دوح الرزيقات قبلى.

أبوابها إلا لحضرته ... فهو مفتاح الجنة صلى الله عليه وعلى آله السائرين .. وعلى منهاج كماله وأصحابه الطيبين .. الذين يقتدون به فى كل وقت وحين، وكل من مشى على هديه وسلك طريقه الى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يارب العالمين .

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

آيات القرآن كلها حسان وجميعها فيها معان لا تسعها العقول ولا القلوب ولا الأذهان وظاهرها وباطنها نور من حضرة الرحمن وقد أثلج الله صدورنا بما أورده على قلوبنا من علوم إلهية فى آية من آيات القرآن نستمع إليها ويؤولها العلماء ويفسرها الوعاظ والحكماء هى قول الله ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات].

إذ نسمعهم يقولون أن الغاية والحكمة الإلهية من خلق الإنسان والجان هى عبادة الرحمن، ويركزون على هذا الأمر حتى أن كثيراً من السامعين الذين يتأثرون بهم يظنون ويفهمون من أقوالهم ومواعظهم أنهم لكي ينالوا رضاء ربهم ... عليهم أن يتركوا عمل المعايش وأمور النساء والأولاد ويتفرغون لعبادة الله جل فى علاه !!! وهذه المهمة كما تعلمون قد وكلها الله إلى ملائكته فهل نحن جميعاً نستطيع أن نعبد الله كعبادة الملائكة لله جل فى علاه ؟ أبداً !!!

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم]

فمنهم القائم أبداً، ومنهم الراكع أبداً، ومنهم الساجد أبداً، ومنهم المستغفر أبداً، ومنهم التالي أبداً، وكلهم حتى الساجد ... منهم من خلقه الله وهو فى سجدة واحدة إلى يوم القيامة وعندما يقوم منها يقول سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ! فمن منا يستطيع ذلك؟ حتى أنهم من كثرتهم قال الحبيب الأعظم والمصطفى الأكرم ﷺ:

{ أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ لله سَاجِداً }[195].

---

[195] سنن الترمذي عن أبي ذر.

والسموات وما أدراك ما السموات يقول فيها ﷺ لبيان عظمها وعلى قدرنا:
{ كِثَفُ الأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الأَرْضِ الْعُلْيَا وَالسَّمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، ثُمَّ بَيْنَ كُل سَمَاءٍ وَالسَّمَاءِ الدُّنْيَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَكِثَفُ السَّمَاءِ سِتُّمِائَةِ عَامٍ، ثُمَّ كُلُّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، ثُمَّ بَيْنَ كُل سَمَاءٍ مِثْلُ ذلِكَ حَتَّى يَبْلُغَ إِلى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، ثُم مَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلى الْعَرْشِ مَسِيرَةُ مَا بَيْنَ ذلِكَ كُله }[196]

ولك أن تتخيل كم الملائكة الذين يعملون فى طاعة الله وعبادة الله، ناهيك أن منهم من جعل الله ﷻ عبادته استغفاراً لنا ودعاء وهم من أرقى وأعلى الملائكة

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ – ثم بعد ذلك– ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [٧ غافر]

فهم لا يرتكبون الذنوب ولذلك كلفهم علام الغيوب أن يستغفروا لأهل الذنوب ... وهم نحن جماعة المؤمنين، وكذلك يدعون للمؤمنين أدعية عظيمة .. وذلك لكي يعلمونا كيف ندعو الله ﷻ، ومن هذه الأدعية: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ ﴾ – هل بمفردهم ﴿ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ﴾ [غافر] ....

إذاً فهم يدعون لنا ولآبائنا ولأزواجنا ولأولادنا ولأحفادنا بدخول الجنة :﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [غافر] وإذا أرادوا من الله أن يحفظنا يقولون:

﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [غافر]

وانظروا إلى حملة العرش ... بماذا يدعون لنا وهم أكابر الملائكة الكرام:

﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحاقة]

ويقول حضرة النبى عن الواحد منهم: { أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ مِنْ

١٩٦رواه البزار عن أبي ذر.

مَلاَئِكَةِ الله تَعَالَى مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمَائَةِ عَامٍ }[١٩٧] هؤلاء يدعون للمؤمنين والمؤمنات ، بل إن كل مؤمن معه من الحفظة الكرام ومعهم الكاتبين عشرين ملكا على الأقل وقد جمع ذلك الأئمة الكرام من أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ ...

فهناك الكرام الكاتبين وهم يتزلون بالتناوب نوبة من الصبح إلى العصر، ونوبة من العصر إلى العشاء ، ونوبة من العشاء إلى الفجر ، هذا بخلاف الحفظة الذين أمامك والذين خلفك والذين عن يمينك والذين عن شمالك والذين من فوقك والذين من تحتك كما وسبق أن اسلفنا فى الحديث فى مجلس سابق ...، أما نحن الآن فى هذا المجلس فإن كل واحد منا معه سبعون ألف ملك! قال ذلك سيدنا رسول الله حين قال:

{ زُرْ فِي الله فَإِنَّهُ مَنْ زَارَ فِي الله شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ }[١٩٨]

وذلك فى كل خطوة ، إذاً فكل واحد منا يا أحباب معه حرس نوراني إلهي أكثر من أى رئيس جمهورية فى العالم بل إن هذا للمؤمن العادي ..... أما إن كان من المقربين .... فلا يستطيع أحد أن يعد أو يحصر ....وكذلك إن ذهبت لكي تصلى فى بيت الله وقلت كما قال الحبيب :

{مَنْ قَالَ حِينَ يَخْرُجُ إِلَى الصَّلاَةِ: اللَّهُمَّ إِني أَسْأَلُكَ بِحَق السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، وَبِحَق مَمْشَايَ فَإِنِني لَمْ أَخْرُجْ أَشَراً وَلاَ بَطَراً، وَلاَ رِيَاءً وَلاَ سُمْعَةً، خَرَجْتُ اتقَاءَ سَخَطِكَ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، وَكَّلَ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَأَقْبَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ صَلاَتِهِ}[١٩٩]

وكما سمعتم فان معنا جنود لا حصر لها ولكننا لا ننتبه لذلك ، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [٣١ المدثر]...، ولا نعلم قيمة أنفسنا مع أنها غالية وعالية

١٩٧سنن أبي داود عن جابر بن عبدالله.
١٩٨(حل) عن ابن عباس (الفتح الكبير).
١٩٩رواه أحمد وابن السنى عن أبي سعيد.

عند ربنا ﷻ خاصة الإنسان المؤمن الذى يقتدى بالنبي العدنان وعندما تنتهي المسيرة فى الدنيا ويخرج الإنسان للقاء الله، يحدث كما قال رسول فى حديثه الشريف أن رب العزة تسأله الملائكة الموكلة بالعبد أين تذهب بعد موته وماذا تفعل؟ فيأمرهم ﷻ:

{ قُومَا عَلى قَبْرِ عَبْدِي فَسَبحَانِي وَاحْمِدَانِي وَكَبرَانِي وَهَللاَنِي وَاكْتُبَا ذلِكَ لِعَبْدِي إلى يَوْمِ القِيَامَةِ }[200]

إذاً ما الغاية من خلق الله ﷻ للإنسان؟ من أول هذه الغايات معرفة الله ..

كما قال سيدنا عبد الله ابن عباس رضي الله عنه عندما قال عن ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات] أى ليعرفون! وهذه ليست الغاية الوحيدة لأن القرآن مملوء بتلك الغايات وسنعدها أولاً، ثم نتناولها بعد ذلك بالتفصيل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [١٣ الحجرات].

فمن حكمة الله فى خلق الإنسان أن نتعرف على بعضنا البعض، لأن الغاية لو كانت العبادة وحسب! فأن كل واحد منا يمشى وحده ويبحث عن مكان له فى الصحراء !! أو مغارة فى أى جبل يعبد فيها الله !! ولا شأن له بغيره وحضرة الله لا يريد منا ذلك .... فهو يريد أن نتعارف لماذا ؟

لأنه عندما نتعارف فأننا نتعلم من بعض، ونتدارس القرآن معاً ونعين بعضنا على طاعة الله وتقواه، ونتعاون على البر والتقوى والعمل الصالح الذى يريده الله منا جماعة المؤمنين فى هذه الحياة وبذلك ننفذ الحكمة الثالثة التى قالها الله فى كتابه:

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [٦١ هود]

أمرنا بعمارة الأرض لأننا لو اشتغلنا بالعبادة فقط فسنترك الزراعة والصناعة والتجارة فتفسد الأرض ... حاشا لله! ولكن علينا أن نعمرها بشرع الله .. وبقوانين كتاب الله وبسنة رسول الله .. ولذلك إذا عمر المسلمون الأرض فستنتشر فيها العدالة وتنبت الحبة حتى ولو وضعت على الصخرة الصماء أو على الصفيحة السوداء!

---

٢٠٠ المروزي في الْجَنَائز، وأبو بكر الشَّافعي فِي الْغَلاَنِيَّات وأبو الشَّيخ فِي الْعَظَمَة، هب، والدَّيلمي عن أنس بن مالك.

أما إذا تركوا عمارة الأرض لليهود والكافرين والمشركين كما نرى الآن ؟؟ فإن الأرض لا تمنع خيرها وبرها عن غارس أو زارع ... ولكنهم سيملؤها بالجور والظلم والإفساد وسفك الدماء !!! وذلك لأننا تركنا عمارتها للذين : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [١٠ التوبة] ... ولا يخشون الله فى السر ولا فى العلانية.

ولما عمروها أعطى الله الأرض قراره أنها تعطى من خدمها إن كان مسلماً أو غير مسلم ...، أما إذا اتقى المسلم ربه فإن الأرض تعطيه بركات فى الخيرات التى خرجت منها .... مع أن المحصول ثابت لكن ما يكفى الثلاثة يأكل منه العشرة وما يأكل منه العشرة يأكل منه المائة وهكذا .....

وهذا خاص بجماعة المؤمنين :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٩٦ الأعراف]

ولم يقل هنا لفتحنا عليهم خيرات فالخيرات كما هى ولكنه سيربيها بالبركات، وهذه البركات من وجهة نظرى هى الدعم الذى يعطيه خالق الوجود لعباده المؤمنين المستقمين، فهناك من يعطيه دعماً جزئياً وهناك من يعطيه دعماً كلياً على حسب طاعته وتقواه لله جل فى علاه .....:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق]

فالآخرون رزقهم بالأسباب، لكن رزق المؤمن بالأسباب! وإذا اتق الله يكون بغير حساب الأسباب ... ولذلك كان أصحاب حضرة النبى ﷺ ورضى الله ﷻ عنهم أجمعين كانوا يعيشون ببركة هذا الدعم!! فكان الواحد منهم القليل يعيش به ويغنيه عن الكثير... ولا ينتهى إلا إذا حسب وعدَّ هذا القليل ....

وقد أمرنا الله ﷻ أن نعمر الأكوان بشريعة الرحمن لأننا الوحيدون فى الوجود الذين نملك ميزان العدل، ولو كان لنا السيطرة والهيمنة لعاش الوجود كله فى العدالة الإلهية كما كان فى العصور الزاهرة لسلفنا الصالح .... ففى هذا العصر كان

غير المؤمنين يلوزون بالمؤمنين من أهلهم ومن أشباههم لعدالتهم .... وذلك عندما كانت للمؤمنين الدولة والسلطان وكانوا يعمرون الأرض بشريعة الرحمن ﷻ.

أما إخواننا الآن هداهم الله فقد قالوا أن أهم شئ أن نعبد الله بالصلاة والصيام وتلاوة كتاب الله والحج والعمرة والزكاة، وذلك خير لكن ليس كل الأمر هو العبادات، ولكن كل عمل تقصد به وجه الله حتى ولوكان أكل أو شرب أو مشى أو عمل فى حقل أو مكتب أو مدرسة أوعيادة أوأى عمل تقصد به وجه الله فهو عبادة لله!! وليس العبادة لله أن أترك الدنيا وأجلس بين يدى الله لأصلى وحسب! فهذا فهم قاصر .. ولنسأل حضرة النبى ﷺ عن النوافل لكى نرى ماذا تكون أعظم النوافل ؟

نحن نظن أن أعظم النوافل هى قيام الليل والبعض يظنها صيام النهار والبعض الآخر يراها الصدقات أما حضرة النبى فيقول :{ **أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ** } وهو يقصد هنا النوافل وليس الفرائض: { **قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ** }[٢٠١] ، فلو أنك قضيت ليلة لتصلح فيها بين اثنين ونيتك خالصة لله هذه النية يقول فيها الله :

﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء]

حتى ولو كان ذلك فى العشر الأواخر من رمضان فأنت مثلاً تصلح بين أثنين وآخر يصلى التراويح فى هذه الليلة ويتهجد فى الحرمين أيهما أفضل وأعلى فى الأجر والثواب؟ الذى أخبر عنه حضرة النبى الأواب ﷺ لأن من يصلي التراويح ويتهجد فى الحرم فهو يفعل ذلك لنفسه ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [٤٦ فصلت] لكن هذا الصلح بين إثنين ينفع غيرك! ودائماً ما يكون العمل الذى يتعداك ليعمِّ النفع به المسلمين أعظم قدراً وأكثر أجراً وأرفع منزلة عند رب العالمين ﷻ .

أما العمل الذى لك فهو على قدرك ... ليس ذلك وحسب وإنما هو على قدر خشوعك وحضورك وصدقك وإخلاصك لله ﷻ ... لأن هناك بعض الناس سيأتون بأعمال أمثال الجبال يقول فيهم الحبيب المصطفى ﷺ إن الرجل ليأتي بالعمل يوم

٢٠١ مسند الإمام أحمد والترمذي وأبي داود عن أبي الدرداء.

القيامة يملأ ما بين المشرق والمغرب ولا يزن عند الله جناح بعوضة !! فتقول الملائكة يارب لقد فعل كذا وكذا، فيقول إنه لم يرد به وجهي إضربوا به وجه صاحبه ... لأنه ربما كان يعمله من أجل الرياء والسمعه فميزان الأعمال صعب وشديد .

لكن العمل الذى يتعدى نفعه منك إلى غيرك فهو عمل سديد ومقبول ورافع لمترلتك عند من يقول للشيء كن فيكون وقد ضرب حضرة النبي ﷺ الأمثال فى هذا الباب ولا يسع الوقت لذكر حتى بعضها ... وذلك لأن هذه هى العبادة التي أمر بها الإسلام والتي كان عليها نبي الإسلام.

وخذوا مثالاً .... كان رسول الله يمشى مع أصحابه فى إحدى الغزوات ... فرأى واحدٌ منهم عين ماء بجوار جبل، فقال: يا رسول الله إإذن لى فى أن أجلس هنا وأعبد الله ﷻ !! فقال ﷺ مايعن أنه لليلة تقضيها فى سبيل الله – فى حراسة الجيش أو فى الحرب – خير لك من عمر الدنيا من أولها إلى آخرها كلها طاعة لله ﷻ .

وورد فى الأثر أن سيدنا عيسى رأى واحداً يتعبد فقال: ماذا تفعل ؟ قال: أعبد الله، قال: من الذى يطعمك؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك ![٢٠٢]

أيضاً عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ :{ **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي السَّفَرِ. فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ. قَالَ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً فِي يَوْمٍ حَارٍ. أَكْثَرُنَا ظِلاًّ صَاحِبُ الْكِسَاءِ. وَمِنَّا مَنْ يَتَّقِي الشَّمْسَ بِيَدِهِ. قَالَ: فَسَقَطَ الصُّوَّامُ. وَقَامَ الْمُفْطِرُونَ. فَضَرَبُوا الأَبْنِيَةَ وَسَقَوا الرِّكَابَ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ : «ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالأَجْرِ}**[٢٠٣] ......

إذاً يا أخوانى ويا أحبابى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾ [الذاريات]، والعبادة هنا هى أن تقصد وتنوى قبل كل عمل أن يكون هذا العمل لله، حتى لو نمت ونويت بهذا النوم أن تريح الجسم، أو أكلت ونويت بهذا الأكل أن تتقوى به على طاعة الله، وراعيت أن يكون هذا الطعام من حلال أباحه الله، وشكرت الله بعد الطعام على نعمه، فإن هذا الطعام عبادة ليس لها مثيل .... يكفيك فيها قول الله ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [٧ إبراهيم]

---

٢٠٢ إحياء علوم الدين ، العقد الفريد وعيون الأخبار وغيرها.
٢٠٣صحيح البخارى ومسلم.

ألا تعلم أن الله ﷻ جعل للمسلم والمؤمن حتى النفقات التى ينفقها على أولاده أجراً وثواباً أكثر مما يتصدق به على الفقراء والمساكين وينفقه فى سبيل الله ... طالما كان وفقا لكتاب الله وعلى منهج رسول الله.

والمعنى أن يأكل ويشرب بدون إسراف ولا مباهاة ولا خيلاء ، وهذا الطعام أتى به من حلال، وأنفقه على أولاده ... إن كان على طعام أو شراب أو لبس أو درس أو علاج أو زواج أو مسكن .... كل ذلك قال فيه حضرة النبى:

{دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ. وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ. وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أيهما أفضل وأكثر عند الله ﷻ }[٢٠٤]

فسكتوا فقال: **{ الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ }**لكن بهذه القواعد:

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف]

وكم يكون الاجر ؟ قـال ﷺ :

{ نَفَقَةُ الرّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ صَدَقَةٌ }٢٠٥، وروى: **{ إن من النفقة التي تضاعف بسبعمائة ضعف نفقة الرجل على نفسه وأهل بيته }**[٢٠٦], وورد أن : **{ أول ما يوضع فى الميزان نفقة الرجل على أهله }**[٢٠٧]

إذاً فكل شئ تعمله يقول فيه الله:

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف]

وإحسان العمل كما قلنا .... أن يكون له نية صالحة قبله، وأن يكـون على منهج رسول الله ... حتى أنـه ﷺ قد قـال:

{ في بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ» قالوا: يا رَسُولَ اللّهِ أيأتي أَحَدُنا شَهْوَتَه، ويكون لَهُ فيه أُجْرٌ؟ فقال: أرأيتُمْ لو وَضَعَهَا في الحَرَامِ أكانَ عليهِ

---

٢٠٤ صحيح مسلم عن أبي هريرة.
٢٠٥ مصنف ابن أبي شيبة ، عن أبي مسعود، وروى بكتب كثيرة للحديث وقيل حديث حسن صحيح.
٢٠٦ مصنف ابن أبي شيبة ، عن الشعبى
٢٠٧ (طس) عن جابر، فيض القدير

فيه وزْرٌ، فكذلِكَ إذا وضعَهَا في الحلالِ، كانَ لَهُ أجْرٌ } [٢٠٨] .

بشرط النية وهل هذا العمل تلزمه النية ؟ نعم أنوى به أن أعف نفسى وأعف زوجتى عن النظر إلى الغير... ونية أن يرزقنى الله ولدا صالحاً يوحد الله ﷻ ، وقد قال ﷺ فى الحديث الشريف الوارد:

{ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلام لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إلا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ } [٢٠٩]

وإذا نويت مثل هذه النية ولم يأت الفارس فإن الله يعطينى بهذه النية ثواب كما لو ولد لى رجل وجاهد فى سبيل الله ويوضع أجره فى صحيفة حسناته لأنى قدمت النية لله ﷻ ولذلك قال بعض الصالحين فى قول الله ﷻ ﴿ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [٢٢٣ البقرة]

أى قدموا نية صالحة ومادمت قد قدمت نية صالحة فأن كل أحوالك عبادة لله: فنومك عبادة وأكلك عبادة وشرابك عبادة ومشيك عبادة وذلك لأنك قبل كل عمل تنوى أن هذا العمل له وتتحرى عند العمل أن يكون مطابقا وموافقا لسنة رسوله ﷺ.

وهذا ما فاز به الصالحون وبلغ به العارفون درجات القرب من رب العالمين، فإنهم لم يزيدوا عنا فى العبادات الليلية أو فى أيام الصيام النهارية .. بل من الجائز أن يكونوا أقل منا .. لكنهم زادوا علينا بأن استحضروا نية صالحة فى كل عمل يقدمونه لله .. وإذا فتح الله ﷻ على العبد يكثر من النوايا .. وبدلا من أن يكون له فى كل عمل نية واحدة يكون له فى كل عمل نوايا ولا تأتى هذه النوايا إلا من صفاء الطوايا.

مثلاً إذا كان ذاهباً للمسجد ما نيته ؟

---

٢٠٨ صحيح ابن حبان عن أبي ذر.
٢٠٩ صحيح البخارى عن أبي هريرة.

نيته الصلاة وذكر الله ، وتفقد أحوال المؤمنين الذين يراهم فى الصلاة ، والدعاء لله ليستجيب له فيما يرجوه من حضرة الله ، وزيارة الله ﷻ فى بيته ، وتلاوة كتاب الله جل فى علاه، والصلاة والسلام على حبيب الله ومصطفاه، وأن يحوز على ثواب الجماعة التى حض عليها سيدنا ومولانا رسول الله، ونيته أيضا أن يحضر تأمين الملائكة حين يؤمنون على الإمام عندما يقول آمين فى الصلاة، وكلما أكثر من هذه النوايا زاد الأجر عند الله ... حتى أن أحد العارفين قد قال:

{ إنى لا أخرج من بيتى إلا إن نويت سبعين نية كلها لله ﷻ }

وذلك كما نقول لأحد أصحابنا إلى أين تذهب يا فلان ؟ فيقول مسافر إلى القاهرة نقول لماذا ؟ يقول كان لى مصلحة هناك وانتظرت حتى تجمعت لى عدة مصالح وقررت أن أسافر لأقضيها فى مرة واحدة ...كذلك تكون أحوال الصالحين والعارفين الفقهين عن رب العالمين ﷻ يصلحون الطوايا والنوايا.

ودائما يلاحظون ألا يعملوا أى عمل إلا إذا قدموا فيه نية لله صالحة قبل هذا العمل " إنما الأعمال بالنيات " ، فكلنا والحمد لله قد صلينا العشاء مع بعض والركوع واحد والسجود واحد لكن هل كلنا فى الأجر سواء ؟ قال ﷺ:

{ مِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي الصلاةَ كاملةً، ومِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي النِّصْفَ، والثُّلُثَ، والرُّبْعَ، والخُمْسَ، حتى بَلَغَ العُشْرَ }[٢١٠]

وروى أن سيدنا عمر رأى رجلاً يصلى فلم تعجبه صلاته، فأمره بإعادهًا حتى أتقنها ظاهرا، ثم سأله: أليست هذه أفضل مما صلى أولاً، فقال الرجل: لا لأنى صليت أولا لله وثانيا خوفا منك ياعمر! .. المهم هى النية.

لذلك قالوا فى الحكم " كل الأعمال نيَّة (أى غير ناضجة) لا تنضجها إلا النية " وإذا أراد الله بالعبد خيراً أصلح له نوياه واصلح له طوياه فلا يظن بعباد الله إلا خيراً فيلتمس لإخوانه المؤمنين الأعذار ولا يلتمس لنفسه الأعذار مثلا فلان

٢١٠ عن أبي اليسر مرفوعاً، رواه أحمدُ والنَّسائيّ، ورواه النَّسائيّ.

هذا لماذا لم يأت للصلاة ؟

يقــول لا بــد وأن لديه عذر وذلك لأنه يحسن الظــن بإخوانــه المــؤمنين ، وكلنا مأمور بإحسان الظــن أما أنا فليس لى عذر فى ترك الصلاة فى جماعة فى بيت الله وكانوا يقولون " التمس لأخيك إلى سبعين عذراً!! فإن لم تجد له عذراً من الــسبعين ، فعليك أن تقول العيب فيَّ وليس فى أخى "

أما أنا فليس على حساب الخلق وكل ما على هو الــبلاغ ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [٢ آل عمران] وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة وإذا قصروا بعد ذلك فإن من يحاسب هو الحسيب ﷻ فأعود وأذكر ولا أسئ لأحدهم فى قــول ولا أجرحــه بكلمة وإنما التمس له الأعذار حتى أشده بقوة إلى طريق الواحد القهار ﷻ ...

مثلاً ... أقول يا فلان أعرف أنك لم تحضر أمس وأول أمس لعذر... وذلــك لكى يلين ويأتى معى، أما إذا قلت لماذا لم تحضر؟ ألم تعلم أنك ستحرم من كذا وكذا؟ فيقول لا شأن لك بى! هــل أنت مسئول عنى! وهذه هى الدعوة النبوية بالحكمة التى كان عليها خير البرية ﷺ

إذاً كل ما على أن أحاسب نفسى وأزن عمل نفسى بكتاب ربى وبسنة نبى... أما الخلق .. فدع الخلق للخالق ! وما عليك نحوهم إلا قول الله ﷻ لنبيه

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝ ﴾ [الغاشية]

هــل فينا من يستطيع أن يهدى أبنه إلا إذا أراد الله جل فى عــلاه ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [٥٦ القصص] والذكر يذكر كما أذكر الآن ثم ينفض المجلس هــل على أن أرقب السامعين والحاضرين بعد ذلك وأحاسبهم على ســلوكهم ؟ لا! فإن من يراقب الكل هــو الرقيب .. ومن يحاسب الناس هــو الحسيب ... من منــا يستطيع أن يراقب أبنه فى كل حركاته وسكناته ؟ لا يستطيع أحد !!

وكل الموضوع أن أحاول معه باللين وبالمودة وبالرحمة .. أن يستكين لشرع الله وأن يعمل بسنة حبيب الله ومصطفاه .. .. ولو أنى أخذته بالشدة يفر منى وأندم علــى

ما فعلت ... إذاً كل ما علينا التذكير لأننا لا نستطيع أن نسيطر على الناس ولا أفئدة الناس ... ولا على قلوب الناس، لأن من يسيطر عليهم هو رب الناس ﷻ .

نسأل الله ﷻ أن يفقهنا فى ديننا .. وأن يلهمنا رشدنا ... وأن يعيننا على العمل بما علمنا ... وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه... وأن يجعل خطواتنا وحركاتنا وسكناتنا وأنفسنا كلها فى رضاه ... وأن يجعلنا من عباد الله الصالحين ... ومن حزب الله المفلحين ... وأن يرزقنا التوفيق للعمل الصالح وصالح العمل الذى يحبه ويرضاه فى كل وقت وحين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس الثامن والعشرون

فروا إلى الله [211]

﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ... ﴾ [٤٩ الكهف]

﴿ فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ... ﴾ [١٥ الملك]

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران]

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الذاريات]

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله الذى علمنا كل شئ يخصنا فى هذه الحياة وما ترك صغيرة ولا كبيرة نحتاجها إلا وأحصاها وبينها وعدها لنا عداً فى كتاب الله .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، فكان ظاهره ظاهر الكتاب، وباطنه أنوار الكتاب، وكان بأمر ربه كتاباً

---

٢١١ الخميس ٢٣ محرم ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨/١/٣١م درس بعد الغداء بالديوان الرزيقات بحرى.

يمشى بين الناس ﷺ ... وعلى آله الرحماء وصحابته الأتقياء وكل من تبعهم بخير إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين.أمين يا رب العالمين.

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين : ... اعلموا علم اليقين أن كتاب الله ﷻ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة يحتاجها المسلم فى أمر الدنيا أو الدين أو الآخرة أو أى عمل صغير أو كبير إلا وفصله وبينه بياناً وافياً وتفصيلاً كافياً شافياً وعظيماً، فالمؤمن يتحرك إما لقضاء مصالح يحتاجها فى دنياه، أو يتحرك ليعمل عملاً صالحاً يحتاجه فى أخراه ، أو يتحرك لعمل يقصد به فى ضميره وفؤاده رضاء الله ووجه الله... وكل واحد من هذه الأعمال جعل الله له الحركة المناسبة له فى هذه الحياة .

فإذا كنت تتحرك لتقضى المصالح ... أو لتطلب الرزق ... أو لكي تكفل أولادك ... أو لكي تعمل أى حاجة من حاجاتك التي تحتاجها فى الدنيا ؟ كم السرعة التي تجرى بها لكى تحصل على المراد ...

فما قدر لك سيكون – فكما تطلب أنت رزقك!! فإن رزقك يطلبك!! وقد ورد فى الخبر : { **يطلبك رزقك كما يطلبك أجلك** }[٢١٢]، وأيضا : { **يطلبك رزقك كما تطلبه** }[٢١٣] ، فأنت تبحث عنه وهو يبحث عنك، إذا أردت أن تجتهد فى ذلك فانك تجتهد وتجرى وترمح وتكد ليل نهار !!! ولكنك لن تأخذ إلا ما قدره لك الرزاق ﷻ !!ولذلك يقول ﷻ فى الحديث القدسي :

{ **يا ابن آدم لا تخافن من ذي سلطان ما دام سلطاني باقياً، وسلطاني لا ينفد أبداً، يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق ما دامت خزائني ملآنة، وخزائني لا تنفد أبداً، يا ابن آدم لا تأنس بغيري، وأنا لك، فإن طلبتني وجدتني، وإن أنست بغيرك فتك وفاتك الخير كله، يا ابن آدم خلقتك لعبادتي، فلا تلعب، وقسمت رزقك فلا تتعب، وفي أكثر منه فلا تطمع، ومن أقل منه فلا تجزع، فإن أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك، وكنت عندي محموداً، وإن لم ترض بما قسمته لك فوعزتي**

٢١٢ تفسير الألوسي للألوسي البغدادى
٢١٣ روح البيان وتفسير حقى لإسماعيل البرسوى، والمحاضرات فى الأدب واللغة.

وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البر ولا ينالك منها إلا ما قد قسمته لك، وكنت عندي مذموماً، يا ابن آدم خلقت السموات السبع والأرضين السبع، ولم أعي بخلقهن أيعينني رغيف أسوقه لك من غير تعب، يا ابن آدم أنا لك محب، فبحقي عليك كن لي محباً، يا ابن آدم لا تطالبني برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد، فإني لم أنس من عصاني، فكيف من أطاعني وأنا على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط } [214] ..

إذاً مـــاذا نفعـــل يا رب ؟

﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك]

أى امشي على مهل ولا تجـــرى! وإياك أن تظن أنك ستأخذ شـــيئاً ليس لك بهـــذه العجلة! لأن من طبعك العجـــلة ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴿١١﴾ ﴾ [الإسراء]، ومن يتعجل فإنه يركب الصعب! ومن الجائز أن يترك الشريعة خلف ظهره ويـــسلك السبل الملتوية من الغش والخداع والنصب والاحتيال!! ويعتقد بذلك أنه سيبلغ مراده بـــسرعة!! لكنـــه فى النهايـــة لـــن يأخـــذ إلا مـــا كتـــب لـــه قـــال ﷺ : **{ ولا سرق سارق الا حسب من رزقه }** [215] .

وورد أن سيدنا عمر ﷺ ذهب لزيـــارة أخ له فى الله مريضاً وكان راكباً بغلته، ولما وصل عند أخيه نظر فوجد فقيراً قريباً من الباب فناداه وطلب منه أن يمسك بزمام بغلته حتى يعود المريض ثم يرجع، ونوى فى نفسه أن يعطيه ديناراً وهو بذلك يريـــد أن يجعله يعمل لكى يعطيه الحسنة ...

فتعجل الرجل وبمجرد دخول عمر خلع السرج وأسرع إلى الـــسوق وباعـــه، وعندما خرج سيدنا عمر وجد البغلة ولم يجد عليها سرجها ففطن إلى الأمر، فذهب إلى السوق فوجد السرج مع بائع، قال بكم اشتريت هذا السرج ؟ قال يا أمير المـــؤمنين جاءنى رجل أوصافه كذا وباعنى إيـــاه قال أعلم! بكم اشتريته ؟ قـــال بدينار قـــال صدق رسول الله: **{ ما سرق السارق إلا من رزقه}** ، فلو صبر لأخذه فى الحلال!!

---

٢١٤ المستطرف في كل فن مستظرف، وورد مقاطع متفرقة من الحديث بكتب مختلفة بروايات عدة.
٢١٥ مسند الحارث والمطالب العالية لإبن حجرالعسقلانى عن بريدة بن كعب،

لأن سيدنا عمر كان سيعطيه هذا الدينار ولكنه تعجل فأخذه من حرام .

وحكم العلى العظيم أن كل مـال جمع من حـرام لابد وأن ينفق فى الذنوب والآثام وانظر فى الكون كله تجد ذلك والشاهـد على ذلك أن هارون الرشـيد ﷺ عـين أخاه محتسباً – أى مفتش تموين – يراقب الأسواق وكان أخوه مـن الأتقيـاء المشغولين بالله ولذلك أسموه بهلول وبعد أن مر عام على تعيينه سأله هارون الرشيد كم قضية حررت ؟ قال ولا قضية واحـدة قال لماذا ؟ قـال يا أمير المؤمنين وجـدت أن الله يقتص من الظالمين أولاً بأول وكل مال جمعوه من الحرام سلطهم الله على إنفاقه فى الذنوب والآثـام.

وهـذه حكمة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ولذلك قـال لنا حضرة النبي إذا كنت تريد حاجة من حاجات الدنيا فـلا تذل نفسك هنـا أو هنـاك أو تتسـول من هذا وذاك، مـاذا نفعـل إذاً يا رسـول الله ؟ قـال {**أُطْلُبُوا الْحَوَائِجَ بِعِزَّةِ الأَنْفُسِ فَإِنَّ الأُمُورَ تَجْرِي بِالْمَقَادِيرِ**}[216] فلماذا تذل نفسك لعبد مثلك تمدحه وتثنى عليه وتتزلف إليه – كل ذلك لتأخذ مالك مع أن القادر قـدره لك بـدون ذلـك فهو يريـدك أن تكـون عزيزاً.لكـن ليس معنى ذلك أن تجلـس وتقـول مـالى سـوف يأتينى لأنك بذلك تمتحن رب العـزة .

وكل ما عليك أن تمشى حتى ولو فى أعلى الجبـال ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [١٥ الملك] والمناكب فى الدنيا ... هى الجبال ... فامش فى الجبال لكى تطلب الرزق الحلال ... وعليك أن تمش برفق ... فـلا تجـرى ... ولا تخـدع ... ولا تغـش ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ ﴾ [١٥ الملك]

ليس من تعبـك ولا مهارتك ولكن من رزقـه الـذى قـدره الـرزاق ﷻ

هل تعلمون أن الإنسان وهو جنين فى بطن أمه عندما بلغ أربعة أشهر تنزل لجنة من الملائكة وذلك قبل أن يتكون هذا الجلد ويكون عبارة عن هيكل عظمى عليـه بعض الأنسجة البسيطة عندما تنزل هذه اللجنة يكتبون رزقه وعمله وعمره وشقي أم

٢١٦ابن عساكر عن عبدالله بن بسر.

سعيد وبعض الناس تظن أن شقي أو سعيد أى فى الطعام والشراب والنعم مع أن ذلك يندرج تحت بـــند الرزق، لكن شقى أو سعيد أى فى الهدايـــة والعناية ويكتب ذلـــك على الجبهة ولـــذلك نقـــول فى المثـــل العامى (المكتـــــوب عـــــلى الجـــبين لازم تشوفـــه العـــين) ....

إذاً الرزق نسعى إليه! لكـــن إذا أردت الآخرة ... كأن أكون فعلت ذنباً مثلاً أريد من الله أن يغفـــره لى ... أو أريد أن أبادر إلى عمل صالح يثيـــبنى الله عليـــه ... فهـــذا لا يتطلب المشي على مهل دائماً وإنما:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [١٣٣ آل عمران]

وذلك لأنني لا اعرف أين ساكون بعد لحظة ؟ وعلى أن أكون جاهز للقاء الله بادر فى ارتكاب الذنب فوراً للمتاب لماذا ؟ من الجائـــز بعد لحظة أن تكون فى الـــدار الآخرة وقال الحبيب فى ذلك { إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا }[٢١٧] ...

فلو ختـــم لى وأنا عـــلى ذنب فإنى سأخرج يـــوم القيامـــة وأنا متلبس بهـــذا الذنب ومن يختم له وهو يسرق فسيأتى يوم القيامة أمام الموقف العظيم ومعه جريمتـــه والكل يطلع عليه وذلك لأنه لم يتب إلى الله أو العياذ بالله ..مـــن يختـــم له وهـــو يزنى أو يسكر أو وهو يقتـــل وكذلك أى ذنـــب يأتى صاحبه يـــوم القيامـــة وهـــو عليـــه : { إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا }.

ولذلك فإن الأنبياء المعصومين قال لنا ربنا أنهم كانـــــوا يقولـــــون ﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ﴾ [يوسف] يريـــدون مـــن الله أن يكتب لهم الوفاة على الإسلام، أى عندما يأتى أحدهم الموت يكون فى عمل صالح يحبـــه الله ﷻ، فمن يأتيه الموت وهو يصلى فسيبعث يوم القيامة يصلى، ومن يأتيه الموت وهو يحج قال فيه حضرة النبىﷺ :

{ اغْسِلُوا الْمُحْرِمَ فِي ثَوْبَيْهِ اللَّذَيْنِ أَحْرَمَ فِيهِمَا وَاغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ وَلاَ تُمِسُّوهُ بِطِيبٍ وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

٢١٧ صحيح البخارى عن سهل بن سعد.

مُحْرِمَاً }[٢١٨] ، أما من يأتيه الموت وهو يصلى كما قلنا فإنه سيكون مثل سـيدي أبـو الحسن الشاذلي ﷺ حيث قال: يـا رب أريد أن أموت فى بقعة لم تعص فيهـا قـط وتقبضني وأنا ساجد ، وكان الرجل يذهب إلي الحج كل عام فكان يأتى إلى قـنا ومن قنا يذهب إلى القصير ويركب من القصير إلى جـده – وعندما جاء إلى قـنا، قـال لخادمه أبو العزائم ماضي جد الأمام أبى العزائم الأعلى.

قال: جهز مقطفين وفأساً ، قال: لماذا ؟ قال: فى حميثرة سوف ترى، فألح عليـه أن يجيب، فقال: من الجائز أن يموت أحدنا فندفنه هناك، وعندما وصلوا إلى حميثرة قرر المبيت فيها، وبعد صلاة العشاء نـادى على أبي العباس واجتمع به منفرداً ،وقال لـه سيحدث معك كذا وكذا وذكر له كل ما سيحدث له إلى أن يلقى الله.

ثم قال لخادمه: أريد أن تأتيني بقليل من الماء من هذا البئر، فقال: يا سـيدي إن ماء البئر مالح، قال: هات من هذا الماء المالح، فجاءه الرجل بالماء فتمضمض به ثم تفله فى الإناء، وقال: ضع هذا الماء فى البئر، فأصبح ماؤه عذباً من وقتها إلى وقتنا هـذا، ثم صرف الأحباب وأخذ يصلى لله، وعندما كان فى السجود قبضه مولاه جل فى عـلاه، وذلك لأن هؤلاء ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [٣٤ الزمر] ... لدرجـة أن يطلب الواحد منهم الموتة التي يريدها – ويعطيها له الله، فقد طلب أن يموت وهـو ساجد وفى مكان لم يعص الله فيه فحقق له ذلك لأن طلباتهم مجابة ...

فعندما يأتى الموت للإنسان وهو فى طاعة لله فياهناه لأنه يبعث يوم القيامة وهو فى طاعة الله ﷻ فى علاه.فعندما يصاب الإنسان وهو يحارب فى سـبيل الله قـال ﷺ فيـه {**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ**}[٢١٩] وذلك أمام الخلائق أجمعين ولذلك لابد أن نسارع إلى التوبة من أى ذنب وإياك أن تسوف وتقول بعد الـذنب سأتوب عند ميعاد الصلاة فمن يضمن لك أن تصلى هذه الصلاة ؟ فقد تأتى الـصلاة وأنت من أهل الآخرة !!! وإياك أيضاً أن تقول غداً .... لأنه من الجائز أن يكون غداً ليس من أيامك .

٢١٨ (ن) عن ابن عبَّاسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُمَا (ز)، جامع المسانيد والمراسيل
٢١٩صحيح مسلم عن أبي هريرة

إذاً عليك أن تبادر بعد ارتكاب الذنب فوراً إلى التوبة النصوح لله ﷻ ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ - نسارع إلى الأعمال التي تؤدى إلى ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران] ومتى نمشى أسرع من ذلك ؟ إذا كنا سنعمل العمل نقصد به وجه الله ونرجو به رضاه وهنا : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الذاريات]

وانظروا إلى موازين ربنا - متى نمشى ؟ ومتى نجرى ونسرع ؟ ومتى نفر ؟ إنها موازين وضعها الرحمن لعباد الرحمن لكى لا يكون للشيطان علينا سلطان .

نسأل الله ﷻ أن يخلع علينا خلع الرضوان وأن يهب لنا حقيقة الإيمان وأن يغفر لنا كل ذنب جنيناه وكل عمل سئ ارتكبناه ويوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه، اللهم اغفر لنا ما مضى من الذنوب والآثام ووفقنا لصالح العمل وعمل الصالح فيما بقى لنا من العمر والأيام، وباعد بيننا وبين الآثام والحرام وارزقنا أرزاقاً حلالاً مباركاً لنا فيها نحن وأولادنا وبناتنا وذرياتنا أجمعين، واحفظنا بحفظك وصيانتك واجعلنا من أهل قربك ومودتك واسلك بنا طريق أحبتك واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس التاسع والعشرون

العقد الذي بين الله وعباده المؤمنين[220]

بسم الله الرحمن الرحيم .... الحمد لله الذى أكرمنا بنعماه وخصنا بجنة المأوى وجعلها داراً لنا فضلاً من الله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى الصراط القويم لأهل الصفا والوفا والمنهج الكريم لكل من أراد أن يكون الله ﷻ راضياً عنه وينظمه فى عقد أهل الصفا والوفا صلى الله عليه وعلى آله

---

٢٢٠ الخميس٢٣ محرم ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨/١/٣١م درس بعد صلاة العشاء بمسجد أولاد سند الكبير مركز أرمنت.

وصحبه والقائمين بدعوته والناهجين على سنته والمغرمين بسيرته والمتعلقين بأوصاف حضرته وعلينا معهم أجمعين آمين.آمين يا رب العالمين .

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين قدم الله ﷻ لنا فى هذه الليلة الطيبة المباركة نموذجاً للعهد والعقد الذى يتم بين الله وبين عباده المؤمنين، فإن الله ﷻ تعالت ذاته وتقدست صفاته ولا حصر لعطاءاته وهباته ومع ذلك يضرب المثل بنفسه لعباده المؤمنين سبحان الله أنه لابد أن يعمل عقد ويوقعه ويوثقه مع أنه ﷻ

﴿ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝ ﴾ [آل عمران] ومع أنه ﷻ هو الكريم المنعم الجواد ومع أنه كل شئ فى الملك والملكوت من فيض رحمته وما فى الكونين ذرة من بعض نعمته ولكنه ﷻ يضرب المثل لعباده المؤمنين والمؤمنات وقد وعد الله ﷻ المؤمنين الصادقين بالجنة، ولكنه عز شأنه وتبارك إسمه ولا إله غيره آلى على نفسه أن يجرى عقداً بينه وبين عباده المؤمنين، وهو عبارة عن مشتر وبائع، ويحدد فى العقد المشترَى وقيمته، وهل الدفع نقداً وعداً ؟ أم جزء نقداً وآخر آجلاً ؟ ثم بعد ذلك يسجل فى جهات التوثيق الرسمية ...كذلك نفس الأمر فمن هو المشترى ؟ هو الله!

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [١١١ التوبة] وهذا الخطاب يا إخواني يهدم جبال الموقنين ويزيد قلوب المحسنين فمن نحن لكى يشترى منا حضرة الله؟ وماذا يكون لنا لكى يشتريه منا؟ فنحن جميعاً من البداية للنهاية ومالنا من الله فماذا يشترى منا؟ هل يشتري ما أعطاه لنا؟ لكن هكذا ملك الملوك ﷻ إذا أعطانا شيئاً يعتبره خاصاً بنا .. فهو يعطينا فضله ثم يشتريه منا .. لكي يثيبنا ويبرنا ويكرمنا وينعمنا... يعطينا ما به يشتريه منا لينيلنا فضله وعظيم عطاياه جل وعلا فقد قال لنا من البداية ﴿ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝ ﴾ [مريم]

من الذى جعله شئ ؟ الله ﷻ .....

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝ ﴾ [الإنسان]

فلم يكن يعرفنا أحد لا من الجن .... ولا من الإنس ... ولا من الملائكة ...ولا من كائنات الله جل فى علاه .

لكن الله أوجدنا برحمته وكوننا بفضله وبركته، وزادنا فأعطانا هباته وعطاءاته ثم يقول بعد ذلك اشتريها منكم !!! وهذا الكلام كما قلت يلزمه قلوب تتحرك وتشعر بوقع هذا الكلام الذى يقوله الملك العلام ﷻ.

فماذا يشترى الله من المؤمنين؟ اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم! فمن منا صنع نفسه أو يملك قليلاً أو كثيراً فيها؟ هل فينا من يستطيع أن يتصرف فى نفسه إلا بإذن من ربه ﷻ .. فلو ترك الله ﷻ النفس علينا أو لم يعيننا عليها فلن ينجو أحد:

﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾ [٥٣ يوسف]

ونحن والحمد لله قد رحمنا الله وأعاننا عليها وان لم يكن قد أعاننا عليها فلن يستطع أحد أن يجاهد نفسه بنفسه ويقول الأمام أبو العزائم ﷺ فى هذا المقام:

تمنيت رؤية غيب مصون	وأصلى تراب فعز الأمل
ولا حول لى بل ولا قوة	على ذا الجهاد وعقلى سأل
طبائع نفسى عنادية	جهادى لها فوق قدر البطل
وأمارتى سارعت للجفا	أغثنى واشفى جميع العلل

على الرغم من انه تراب يرى الغيب المكنون أو الغيب المصون فمع أنه تراب لكن إذا تجلى عليه الوهاب فانه بفضل الله يرى العجب العجاب – والثمن الذى يعطيه الله لنا مقابل النفس والمال – ﴿ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [١١١ التوبة] وهذه هى صيغة العقد : فالمشترِى هو الله! والبائع هم المؤمنون! والمشترَى هو النفس والمال! والثمن هو الجنة! .... كيف يسدد المؤمن الثمن ؟

﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ [١١١ التوبة]

أين يسجل هذا العقد؟ فى الجهات الرسمية التى تسجل هذا العقد الالهى الباهى .... ﴿ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾

فهم المعتمدون من الله ﷻ ولا شأن لنا بالكتب المحرفة الآن فهو يتكلم عن

الكتب المعتمدة النازلة من الله ﷻ على قلوب الأنبياء والمرسلين الذين اجتباهم وطهرهم واختارهم رب العالمين ﷻ وبعد أن تم العقد:

﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [221]

وهذا العقد عقد عام للجنة لأنه هناك بعد ذلك عقود تخصيص لأحياء معينة من الجنة .. لمن يريد دار السلام .. أو لمن يريد الفردوس ... أو لمن يريد الخلد أو لمن يريد جنة المأوى ... وهناك عقود تخصيص أخرى لها مواصفات وشروط موجودة فى كتاب الله ... ومن أراد ذلك عليه أن يتدبر ويقرأ كتاب الله .. ثم يعقد العقد بينه وبين الله!

وما أريد قوله هو أين الله ﷻ لكى يوقع العقد معنا؟ أن الله ﷻ تنزه فى علوه وكبريائه لا تراه العيون ولا تصل إليه الأوهام ولا الظنون ولا يصل إليه بفكرهم المفكرون ولا بعقولهم المتدبرون .... ولا حتى بقلوبهم الطاهرون ....

إذاً كيف يوقع العقد؟ اختار الله ﷻ مندوباً عن حضرته وأعطاه توكيلاً عاماً بأن يوقع العقد عند مقام عزته لمن أراد أن يكون من أهل جنته:

وهو من قال له ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [١ الفتح]

ولم يقل فكأنما لأنه لو قال فكأنما يبايعون الله لقلنا أنها بروفة أو تمثيلية لكنه قال إنما بالتخصيص وأسلوب القصد يبايعون الله وعندما بايع سيدنا رسول الله ﷺ أصحابه شبكوا أيديهم ثم وضع ﷺ يده فوق أيديهم فقال الله ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾.

فلو قال فوق أيديكم لقلنا يد القدرة فوق الكل ومن ضمنهم سيد الكل ﷺ لكنه قال يد الله فوق أيديهم – أى فوق أيدي أصحابه – فما اليد التي كانت فوق أيديهم ؟ هى يد سيدنا رسول الله ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾ ثم عاد مرة أخرى لكي يطمئنوا ويعلموا علم اليقين أنها بيعة حقة وأنها للحق بلا لبس ولا شك وقال

﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [١٨ الفتح]

إذاً فإن من يبايع المؤمنين أجمعين بالنيابة عن رب العالمين هو رسول الله ﷺ ولا

---

٢٢١ سورة التوبة

نشك فى ذلك طرفة عين ولا أقل ولا نمتري فى ذلك ولا نشك فى ذلك لأن الله أخبرنا بيقين ووعد صادق بذلك فى كتابه الكريم، فالبيعة أساساً لرسول الله وهو يوقع بالنيابة عن حضرة الله ، ومعناها ومغزاها أن كل شئ يعد به رسول الله ﷺ فرداً من أفراد الوجود قبلاً أو بعداً .... أى قبل زمانه أو فى عصره وأوانه أو بعد زمانه إلى يوم القيامة .... لابد وأن يوفيه له الله ﷻ .

فمن الذى بشر بعض المؤمنين بالجنة ؟ سيدنا رسول الله فقد قال مرة – أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وطلحة بن عبيد الله فى الجنة والزبير بن العوام فى الجنة وسعد بن أبو وقاص فى الجنة وأبو عبيده عامر بن الجراح فى الجنة بذلك بشر فى مرة واحدة عشرة بالجنة .... ويعتقد بعض إخواننا أنه لم يبشر غير هؤلاء وهذا غير صحيح ... فهؤلاء كانوا فى مرة واحدة ... أما من بشروا بالجنة بعدهم فكثير لا عد لهم ولا حد لهم ... فهل هذه البشريات لمن عاصروه وحسب ... وإن كان كذلك فما ذنبنا فى ذلك؟ بل لنا نصيب كبير ... لأنه قال له (أنت البشير إلى يوم الدين) ماذا يفعل البشير؟

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يبشرهم إلى يوم الدين ..... ﴿ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب].

ولذلك تجد أن سيدنا رسول الله يأتى لأناس ينتقيهم من هذا الزمان ويبشرهم بالجنة ... منهم من يبشرهم مناماً ! ومنهم من يبشرهم عند خروج الروح لأنهم لا يستطيعون أن يتحملوا هذه الفتوح! ومنهم من يبشرهم عياناً وهم فى عالم الناس! ... لكن هؤلاء أخذوا لقب كاتم أسرار لحضرة النبى المختار... لأن السر الذى يقوله لهم النبى المختار لا يقولونه لأي أحد ... فمنهم من يبشره بالجنة ومنهم من يبشره بمنزلة كريمة عند الله .... ومنهم من يبشره بمقام كريم ..... يوم العرض والجزاء أمام حضرة الله .

ومنهم من يبشره بأنه سيكون بجواره فى نفس الحي وفى نفس الشارع وفى نفس المكان .... وسيكون متمتعاً به طالما أنه فى الجنة مع الحبيب المختار صاحب الأنوار

ﷺ .... ومن ذلك قول الأمام أبو العزائم رضي الله عنه

وبشرنى أنى وكل مـــن يحـــبنى   يفوز ويعطى منه كل مــــراده

فهو يقول أنا وكل من يحبني هذه مرة ومرة أخرى يقول

ونـــادانى أيـــا ماضـــى هُـــنى   فأنت ومـــن يحبـــك فى أمـــان

لا تخاف من شيء بعد ذلك فأنت وكل من يحبك فى أمان، وهذه بشرى مـــن أجل الموقف أى لا شأن لكم بعذاب الموقف ولا بـــأهوال الموقـــف ولا بالحـــساب! والبشرى الأخرى أنكم ستأخذون كل ما تريدون فى الجنة! هذه البشريات يا إخـــواني موجودة على الدوام يبشر بها سيدنا رسول الله الصالحين والصالحات إلى يوم القيامة.

ولذلك يحث الصالحون المريدين على الاجتهاد إلى أن يرى الواحد منهم حضرة النبي ولو مرة فى المنام فقط – جاهد نفسك واجلي قلبك من الصور الكونيـــة ومـــن الحظوظ والأهواء النفسية واجعله يتعلق بخير البرية بالكلية وأمده بأوصاف الحـــضرة المحمدية لكى يتعلق بها وبالشمائل الأحمدية لينجذب إليها وبالأسرار المحمودية لينشـــد إليها !! واجعله يتعلـــق برســـول الله لأنه لـــو تعلق برســـول الله التعلـــق اللائـــق الصحيح فإن رسول الله ﷺ كريم وسيمد إليه يـــد العطاء وسيكشف له عـــن برقـــع الجمال الإلهي كل غطاء ... ويمتعه بأنواره وإذا رأيته مرة فيـــا هنـــــاك قـــــال ﷺ: { مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ، وَلاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي }[٢٢٢]

لا بـــد أن يراه فى اليقظة إما وهو خارج من الدنيا وإما فى الآخرة وإما إن كان من أهل الكمال فسيراه فى اليقظة وهو هنا فى الدنيا وهذه للأكابر – وقد كـــان مـــن يشرف على تربية سيدى إبراهيم المتبولى رضي الله عنه فى البداية والدتـــه وقـــد كانـــت مـــن الصالحات وجاء ذات مرة وهو فرحان وقال يا أماه إني رأيت رسول الله ﷺ فى المنام، فقالت له: لا يتم مقام رجوليتك حتى تراه فى اليقظة كما رأيته فى المنام، فجاهد الصبى وجد ليس فى العبادات ولكن فى التصفية والتخلية لكى تأتيه التحلية من الحبيـــب ﷺ وظل هكذا إلى أن رأى الحبيب ﷺ عيـــاناً بيـــاناً .

٢٢٢ (ق د) عن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنهُ (جامع الأحاديث والمراسيل).

فذهب مسرعاً لأمه وقال يا أماه أبشرى لقد رأيت رسول الله ﷺ عياناً فقالت: اليوم تمت رجوليتك أى أصبحت رجلاً ، ومعنى ذلك أن الذى لم يكن يرى المصطفى عياناً فى هذا الزمان كانوا يعتبرونه طفلاً فى طريق الله .

أما الآن تجد من يريد أن يجمع حوله المريدين ويريد منهم من يسلم عليه ومن يقبل يديه ومن يعظمه ويبجله !! فماذا رأيت يا مسكين لكي يعظموك أو يكرموك ؟

إن سيدى أبي العباس المرسى ﷺ { كان يقول بقى لى أربعين عاماً لو غاب عنى رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المؤمنين }.

وقد جاءه مرة من يقول له أريد أن أصافح هذه الكف لأن هذه الكف صافحت عباداً كثيرين فى بلاد كثيرة ، فقال: والله يا آخي ما صافحت هذه الكف إلا يد رسول الله ﷺ ، ولذلك كان المريدون يتهافتون على تقبيل يد المشايخ والعارفين لأنها يد لمست يد الحبيب... فرسول الله ﷺ لكى نعلم ذلك جميعاً هو الذى معه التوكيل عن حضرة الجليل إلى قيام الساعة، فهو الذى يبشر الصالحين وهو الذى يأتى المؤمنين لكي يطمئنهم ويجهزهم وينورهم ويبشرهم وهو ﷺ الذى عليه كل المهام التي كلفه بها الله ﷻ إلى يوم الزحام .

ولذلك فالمؤمن دائماً يجب أن يتعلق فى كل أوقاته برسول الله فإذا وقع فى شدة ينادى عليه ويقول: يا رسول الله! فيسمعه ويراه وينجده فوراً بإذن الله جل فى علاه، وليس هذا كلامي ولكنها حقائق ووقائع سرد القصص فيها لا يسعه الوقت الآن، فقد كان ﷺ لا ينادى عليه أحد إلا ويقول لبيك وقد أمرنا الله وقال فى القرآن:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ [١٠٤ البقرة]

فاليهود لعنة الله عليهم كانوا عندما يأتون لحضرة النبى يحرفون الكلام وبدلاً من أن يقولون السلام عليكم يقولونها بدون اللام – أى السام عليكم – والسام يعنى الموت، وقد سمعتهم السيدة عائشة ذات مرة فغضبت وقالت وعليكم السام واللعنة، فقال لها النبى: لا تفعلى هكذا يا عائشة! أما سمعتنى وأنا أقول لهم وعليكم، فكانوا عندما يأتون عند رسول الله يقولون: راعنا يا محمد، ومن يسمعها

يظن أهم يقولون راعنا من المراعاة، لكنهم يقصدون الرعونة أى الخفة حاشا لله!

ففعل المؤمنين مثلهم بدون أن يفطنوا لحيلة اليهود، وكان البعض منهم يقــول: راعنا يا رسول الله! والبعض الآن يقول راعنا يا أم هاشم، ويجب على المؤمن ألا يقول هذه الكلمة لأن الله قــد نهى عنها وقال ﴿ وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾ [١٠٤ البقرة]

من الذى أمرنا بهذا القول ؟ الله ﷻ هــل هذا النداء للمؤمنين فى زمانه أم لنا فيه نصيب ؟ لو كان النداء للمؤمنين الذين هم فى زمانه وحسب لنسخت الآية ولكنها آية من القرآن ولذلك فنحن مطالبون دائماً أن نقول انظرنا يا رسول الله – أو نظــرة يا رسول الله ، يا رسول الله نظرة ومدد ويجد ربنا أن نقول ذلك لأن رســول الله ﷺ تحدث ببركته المعجزات وإذا كان الله يقول عن الرجل الصالح { كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ }[٢٢٣] فما بال الحبيب ومقامه عند الله واسمعوا حضرة الله وهو يقول فيــه :

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ [الإسراء]

فكيف رأى وكيف سمع ؟ لما تجلى عليه السميع سمع بسمع السميع الكائنــات والجنات وملائكة السموات وكل عوالم الروحانيات، ولما تجلى عليه بالبصير أبصر كل الأشياء الظاهرات والخفيات النورانيات والماديات وذلك لأنه ينظر بالبصير ﷻ.

فلم يقل أنه سميع بصير.. فقد أعطــاه الوصــف كلــه ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ [الإسراء] ولذلك فإن حضرة النبى قد قــال لنــــا: { تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ كُلَّ لَيْلَة }[٢٢٤] كيف يراها؟ تفضل عليه البصير باسمه البصير فأصبح ينظــر بالله فيرى كل الحقائق فى وقت واحد .... لا يحجبه شيء عن شيء ... وهو هنــا لا ينظر بنور الله ولكن ينظر بالله .... فهناك فرق كبير بين من ينظر بنور الله لأنه علــى قدره ...... وبين من ينظر بالله.

فمن ينظر بنور الله فإن نظره مازال محدوداً .... لكن من ينظر بالله فإن نظــره

٢٢٣صحيح البخارى عن أبى هريرة
٢٢٤ابن سعد عن بكر بن عبدالله (جامع الأحاديث والمراسيل).

بغير حدود ... حيث ينظر إلى جميع الكائنات فى جميع الجهات فى وقت واحد ولا يشغله شيء عن شئ – كيف ؟

لأنه نور الله الذى تجلى به لحبيبه ومصطفاه وأعطاه هذا البصر... لذلك لابد أن نعلم علم اليقين أن أساس حياة الصالحين ورفعة المريدين والمنازل والدرجات العلا التي يحل فيها الواصلون أساسها التعلق المعنوى الكلى بسيد الأولين والآخرين !!! وليس التعلق الصورى أو التعلق الكلامى !! لكن التعلق المعنوى الكامل ... وإذا حدث ذلك يتفضل الله على العبد بنظرات سيدنا ومولانا رسول الله ... فينقله من التعلق المعنوي إلى التعلق النورى ... فيرى بعين قلبه النور الذى يقول فيه سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ :

أفلت شموس الأولين وشمسنا أبداً على فلك العلا لا تغرب

ولذا سماه الله فى القرآن سراجا منيرا ..

أولا أسماه ﴿ شَٰهِدٗا ﴾ [٤٥ الأحزاب] شاهد على المؤمنين الذين لا يرون شيء ثم قال ﴿ وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب] لمن ارتقى من المؤمنين فى سلم الإيقان ودرجات الإحسان .... فيبشرهم النبي العدنان بما اعطاهم الرحمن ﷻ وجهزه لهم فى الآخرة أو فى الجنان.

﴿ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب] لقلوب العارفين فهم لا يغيبون عنه ﷺ طرفة عين ولا أقل لأن حياتهم متعلقة بحياته ونورهم مستمد من نوره وكل ما فيهم متعلق بالحبيب ... من أجل أن الإنسان يطيب ويصبح قلبه على قلب الحبيب ﷺ والتعلق هنا تعلق نوراني ... وبعد ذلك يصبح التعلق روحاني .... بعد ذلك يصل الإنسان إلى درجة كمال القرب والتداني .... فيفنى فى الحبيب ولا يرى لنفسه قليلاً ولا كثيراً كما كان يقول الإمام أبو العزائم ﷺ :

فتارة أنا مخمور أراك أنا وتارة أنا عبد ذاته محقت

وعندما سمع من حوله هذا الكلام قالوا كيف يكون ذلك؟

فرأى أحدهم رسول الله ﷺ فى المنام يجلس على كرسي وأمامه ستارة وأمام الكرسى الأمام أبو العزائم يجلس على كرسى مقابل الستارة، وكلما نطق رسول الله لفظ ردده الإمام أبو العزائم، وكلما قال عبارة كررها الإمام أبو العزائم وكلما قال جملة يبلغها الإمام أبو العزائم وهذا كالمبلغ لكنه كان يبلغ عن رسول الله رأى الرجل هذه الرؤيا فى السويس وعندما ظهر ضوء النهار ركب مسرعاً إلى القاهرة ليرى الإمام أبو العزائم وعندما دخل عليه وهو يجلس وسط الأحباب قال ﷺ:

لولا ولولا ولولا ... عهد وثيق لمولى
لكشفت عنى ستارى ... وبحت بالسر قولا
لست المغنى بقولى ... إلا إذا الفرد أملى
أغيب عنى وأملى ... لمن بسرى تجلى
إن كان ما قلت نوراً ... فالسر أعلى وأغلى
يعطى لفرد مراد ... عن كل غير تسلى
باع النفوس ومالا ... حتى به صرت أولى

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلس الثلاثون

رياض الجنة فى الدنيا[225]

بسم الله الرحمن الرحيم ...... الحمد لله الذى كرمنا وأكرمنا وأعلى قدرنا وشأننا وجعلنا ونحن فى دار الدنيا فى جنات النعيم، والصلاة والسلام على سر كل تكريم ومصدر كل تعظيم ... سيدنا محمد العظيم الجاه الذى أعلى شأنه مولاه وحباه

[225] خميس ٢٣ محرم ١٤٢٩ هـ ٣١/ ١/ ٢٠٠٨ م درس بعد العشاء بديوان أولاد سند مركز أرمنت.

ورقاه وأدناه وكلمه شفاهاً وكفاحاً وكشف له عن جناب طلعتـــه ونـــور بهـــاه ... صلى الله عليه وعلى آله الوجهاء وصحابته الندراء وكل من تبعهم عـــلى هـــذا المنهاج مـــن الأصفياء ... وعلينا معهم أجمعين آمين.آمين يارب العالمين

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين هنيئاً لكم أجمعين هذا المقـــام فـــإن مجلسكم الذى أنتم فيه الآن والذي كنا فيه من قبـــل يقـــول فيه الله:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [الطور]

فلم يقل الله إن المتقين سيدخلـــون جنات النعيم لكنكم الآن فى الجنـــة ومـــن قـــال ذلك هو الله .... إذاً نريد توضيح ذلك وتفسيره من المبين الأعظم لكتاب الله وهو سيدنا رسول الله ﷺ وقد قال:

{ إذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فارْتَعُوا ، إذا مَرَرْتُمْ برياضِ الجنّةِ فارْتَعوا»، قالوا: يا رسولَ الله، ما رِياضُ الجنّةِ؟ قال: مجالِسُ العِلْمِ }[226]، { قالَ: حِلَقُ الذكْرِ، فإنّ لِلّهِ تَعالى سَيّارَاتٍ مِنَ الـمَلائِكَةِ يَطْلُبُونَ حِلَقَ الذكْرِ، فإذا أَتَوْا عَليهِمْ حَفُّوا بِهِمْ }[227] ، { قالَ: المَسَاجِدُ }[228]، { مجالِسُ الذكرِ }[229]

أى تجلس وتنسى نفسك ...فماذا قال رسول الله عن رياض الجنة؟ فمرة يقول مجالس العلم .. ومرة يقول حلق الذكر .. ومرة يقول مجالس القرآن ... ومرة يقـــول المساجد .. إذاً فكل هذه المجالس من الجنة ولا شك فى ذلك، فعندما يقول لنا ربـــنا:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [١٣٣ آل عمران]

أى نسارع إلى مجالس الذكر ومجالس العلم خاصة إن كان هذا العلـــم علمـــاً ربانياً أى مجالس الحكمة ... مجالس النور .. لأنها هى مجالس روضات الجنات .

---

٢٢٦ الطبرانى فى الكبير، عن ابن عباس رضي الله عنه.
٢٢٧ الأذكار للإمام النووى الذى قيل فيه : بع الدار واشتر الأذكار لعظم قدره واشتهاره فى الأذكار.
٢٢٨ عن أبى هريرة رضي الله عنه، سنن الترمذى.
٢٢٩ تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقى.

فأنت يا أخي الآن تجلس فى الجنة، ولذلك جعلنا الله فيها مثل أهلها تماما بتمام فلم نفكر ماذا نأكل اليوم؟ ولم نفكر كيف نحضر الطعام ولا من أين؟ وقد عاملنا الله بذلك كمعاملة أهل الجنة فأتى لنا بالطعام ونحن جلوس وقال لنا أيضاً بعد الطعام:

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الطور]

فلا يوجد فى هذا المجلس من يفكر فى هم أو فى مشكلة فنحن قاعدون فى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ [٣٤ فاطر]

فنحن نجلس فى جنة عالية يقول فيها أحد العارفين " إن لله جنة عاجلة من دخلها لا يحتاج إلى الجنة الآجلة" ألا وهى المعرفة بالله تعالى، فمن يدخل جنة المعرفة لا يحتاج الجنة الآجلة التي فيها الحور والقصور والولدان المخلدون والبساتين، فليس هناك أطعم ولا أهنأ ولا أروع ولا ألذ للقلب والفؤاد من معرفة الله ﷻ .

وقد سهل الله على أهل هذه الجنة الطاعات والعبادات كما سهل الله ﷻ على أهل الجنة الآجلة التي سندخلها جميعاً إن شاء الله الأذكار والتسبيحات والتهليلات والعبادات، لأن أهل الجنة سيذكرون الله فى الجنة لماذا؟ ومن أجل ماذا؟ على الرغم من أنه ليس هناك بعد ذلك حساب ولا عقاب ؟ سيلهمون الذكر من الله ويذكرونه تلذذاً وتفكهاً ... لأنه ليس عندها عبادة ولا ثواب ولاعقاب.[٢٣٠]

وكذلك الأمر فى هذه المجالس نذكره متلذذين غير مضطرين ولا مجبرين ... فنتفكه بهذا الذكر ... ولا نريد أن ننقطع عن هذا الذكر ... وذلك لأنها الجنة جعلها الله ﷻ جنة عالية .... فيها حقائق راقية .... وفيها علوم ومعارف سامية .... يتنزل الله ﷻ فيها وبها لعباده المؤمنين .

فقد كنا منذ قليل فى جنة القرآن .... والآن نحن فى جنة العلم .... وبعد ذلك سنكون فى جنة الذكر .... إنها جنات متواليات ... وكل مجلس من هؤلاء جنة بمفرده ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [الطور].

---

٢٣٠ تفسير الكشاف والألوسى والبيضاوى و روح البيان والكثير غيرها.

وأعلى النعيم يا إخوانى هو نعيم القلب .. بما يتوالى عليه من فضل الله وكـرم الله وعطاء الله الذى يخص به الصالحين من عباد الله جل فى علاه .... فليس هناك نعيم أبهى ولا أجمل من هذا النعيم ... فالعطايا الروحانية التي يتنزل بها الله علـى القلـوب التقية النقية ليس هناك نعيم أكمل منها، ولذلك كان الصالحون يقولـون:

(نحن فى لذة لو علم الملوك ما نحن فيه لحاربونا عليه بالسيوف)

فهل هناك من الملوك من يستطيع أن يجلس كجلستنا هذه؟ فلكي يأتي لمثل هذه المجالس يلزمه كتائب من أمامه وكتائب من خلفه وكاسحات ألغام وكذلك تفتيش كل من حوله ، أما نحن فنجلس مطمئنين وكأننا المعنيين بقول رب العالمين:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد]

فنحن نجلس فى سكينة واطمئنان لأن ربنا ﷻ طمأننا بذكره – والجنة التي نحن فيها الآن بها جنة ظاهرة قلنا وذكرنا بعض أوصافها وملامحها وبها أيضاً جنـة معنويـة روحانية من يصفو قلبه يراها بعيون القلب النورانية فيرى فى هذه الجنة حقائق جليـة وأنوار علية ويكفى أن من يشرفها وينورها حضرة المصطفى بطلعته البهية فهل هنـاك أعظم من ذلك فى الدنيا ؟ وكذلك يطعم الله ﷻ القلوب مع هذا الكـلام المـسموع والمنطوق معاني تتهني بها القلوب من عالم القرب والتداني وذلك لأننا الآن أكرمنـا الله ونريد أن نعطي للقلب نصيبه من العطاء – ونصيب القلب ليس الطعام الذى أكلنـاه فهو نصيب الجسم والجسم لأنه جاء مع القلب وحمله إلى هنا يكرم فيأكل ويتهني.

إذاً فقد جئنا جميعاً لكي نعطى للقلب نصيبه من البهاء العالي ومن السر الغـالي ومن العلم العالي الذى هو طعام القلوب وقوت القلوب الذى يقول فيه الإمـام أبـو العزائم رضى الله عنه وانتبهوا لهذا الكلام

جعنا فأطعمنـا الحقـائق ربنـا   واسقى الجميـع محبـة الغفـار

أى نريد أن نشرب كأس المحبة لكي نصبح من الأحبة، و هوكأس لا يبقـى ف القلب لغير المحبوب حبة، لو شربه الإنسان فإن كل الأغيار والآثار والصور الكونيـة

تزول فوراً .. لكي تتترل أنوار وأسرار العزيز الغفار! وذلك لأن الله ﷻ لا يتترل على المباني وإنما يتترل لك وفيك على عالم السر والمعاني الذى جهزه للقرب والتهانى .

ولذلك قال الحبيب ﷺ :{ **إِنَّ اللّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ** }[231] فهو لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم لأنه هو الذى صور وهو الذى أعطى – إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم – فالقلب بيت الرب ولا يطهره سوى الحب – هل يكون الحب للدنيا الفانية أو لسكان الدنيا الفانية حتى لو كانوا الزوجات والأبناء والبنين ؟ .... لا .. وألف لا .... فالحب هنا لحبيب رب العالمين ولله ﷻ ... وهو الحب الغالي الثمين، وحب الله طريقه هو حب حبيبه ومصطفاه ... لأنه حبيب الله وقد ورد فى الأثر :

{ أنا حبيب الله والمصلى عليَ حبيبي فمن أراد أن يكون حبيباً للحبيب فليكثر من الصلاة على الحبيب } ، وفى الحديث: **{ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيّ صَلاَةً }**[232].

هل هناك طريق أسهل من هذا يا أحباب الله ورسوله، فإذا أحببته عليه أفضل الصلاة وأتم السلام الحب المطلوب:

من لحظة فى الحب تشهد وجهه — وتفوز منه بسره والحال
تعطي العلوم وتشهدن فتترجمن — بلسان أهل القرب والأبدال

تعطى الجمال – ليس الجمال الظاهر ولكن الجمال الروحانى والنورانى

تعطي الجمال فلا يراك مصدق — إلا ويشهد نوره المتلالى
من أين هذا العلم والنور الذى — أعطيته من لحظة فى الحال
من حب قلبى للحبيب محمد — نلت المنى بل نلت كل آمالى

بذلك قد سهلنا لكم الأمر ... وأعطيناكم بضاعة غالية تباع بالجرام وليس بالكيلو ولا بالقنطار .... فهل من متبع!!!! .

---

٢٣١ صحيح مسلم عن أبي هريرة.
٢٣٢ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، مطالب أولى النهي في شرح غاية المنتهى

وهذا هو السهل الممتنع .... فأسهل شئ هو الحب لحبيب الله ومـــصطفاه ... وهذا الحب يلزمه أن تصفى القلب وتطهره من كل ما سواه ... لأنه لا يتزل إلى مكان إلا إذا كان ليس فيه غيره، أما إذا كان فيه سواه فلا يتزل بأنواره وأسراره وأحواله فى هذا المكان، أما إذا رأى المكان أو المقام كما يقال (مفيش غيرك على البـــال وأنـــت وبس اللي حبيبي) فوراً يتتزل بأنواره وأسراره وعلومه وأحواله ﷺ لكي يجهز القلب لحضرة الله جل فى علاه .

ولذلك يقول سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى ﷺ فى حكمه العالية (كيف يرحل قلب إلى الله وهو مكبل بشهواته) ... كيف يسافر إلى الله وشـــهوات الـــدنيا الدنية من الطعام والشراب والنساء والمال والوظيفة والجاه تكتفه ؟ إذاً لابد وأن يفك هذه القيود لكي يرحل إلى الله – كيف يفك هذه القيود؟ ... بأن يخرجها من قلبه !!! وإذا كان مشغولا بها! فليكن باليد وبالجسم .... لكن ليس بالقلـــب!! لأن القلـــب للحبيب المحبوب وعلام الغيوب ﷻ .

كيف يرحل القلب إلى الله وهو مكبل بشهواته أم كيف يرحل إلى الله وصـــور الأكوان منطبعة فى مرآته – فكيف تأتى صورة الحبيب مع هذه الصور ؟ فهو لا يـــبرز صورته إلا لمن تجمل ظاهراً وباطناً وكان فانياً فى حضرته – كيف يرحل قلـــب إلى الله وصور الأكوان منطبعة فى مرآته – إذاً لابد وأن يفك الإنسان أولاً القيـــود! وهـــذه القيود التي يقيد بها هى شهوات النفس لأن النفس هى التي بها كل هذه الشهوات والنفس.شهوة مطعم أو مشرب أو ملبس أومنكح فاحذر بها الـــداء الدفـــين

فطالما الإنسان متعلق بهذه الشهوات فهو عبد لها وقد قال الحبيب فى ذلك:

{تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ. تَعِسَ وَانْتَكَسَ. وَإِذَا شِيكَ، فَلاَ انْتَقَشَ}[٢٣٣]

أى لو دخلت شوكة فى قدمه لا يجد ملقطاً يخرج به هذه الشوكة .إذاً يجب أن تجاهد نفسك إلى أن تصبح حراً من هذه الشهوات ولا تتحكم فيك أي شـــهوة مـــن

٢٣٣صحيح البخارى عن أبي هريرة.

شهوات الدنيا حتى ولو كنت عبداً لكوب الشاي أو عبداً للسيجارة إذ يجب أن تقلع عن كل هذه العادات – فلا تتم حريتك إلا إذا خلعت كل قيودك التي فرضتها نفسك عليك وكما قال سيدنا رسول الله ﷺ فى حديثه العظيم:

{ **الْمُكَاتَبُ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابَتِهِ دِرْهَمٌ** }[٢٣٤]

والمعنى أنه كان فى الزمن الأول حيث العبيد إذا أراد عبد أن يحرر نفسه يتفق مع مالكه ويقول كم تأخذ منى وتتركني حراً لوجه الله ؟ فيقول مثلاً أريد منك خمسمائة دينار فإذا دفع العبد المبلغ وبقي عليه درهم واحد لا يتحرر من عبوديته !!

وكذلك الأمر بالنسبة لشهوات النفس : ... فإذا تخلصت من كل هذه الشهوات وبقيت شهوة واحدة فأنت عبد لهذه الشهوة، ولذلك يجب أن تتخلص من كل الشهوات لكي تكون عبداً لله فلا ، تصح العبودية لله إلا إذا تحررت من كل ما سواه ﷻ ولا تسيطر عليك أى شهوة ما كانت طعاماً أو امرأة أو منصباً أوغير ذلك لأنك قد بعت الكل وطلبت سيد الكل ﷺ.

وبعد أن يتخلص الإنسان من رق الشهوات يقبل على قلبه ويمحو منه بالذكر والفكر كل صور الكائنات التي فيه ليستعد لنزول أنوار حضرة النبي ﷺ فيه – فهل هناك ملك من الملوك يوافق على النزول فى دار غير خاضعة لمملكته ؟ كذلك ملك الملوك ﷻ لا ينزل إلى قلب عبد وفى القلب تبعية لسواه أو ميل إلى عداه أو فى القلب صور مشغول بها صاحب هذا القلب عن حضرة الله .

إذ لابد وأن يكون الإنسان مشغولاً بالكلية بحضرة من يقول للشيء كن فيكون .... وقد يقول قائل: إذ انشغلنا بحضرة الله بالكلية فماذا نفعل فى المصالح والمشاغل؟ يقول: إذا كنت أرزق من غفل عنى وعصانى فكيف لا أرزق من أطاعني ودعانى!! هل تظن أن الله يتركك !! حاشا لله!!

فالشيخ أحمد بن إدريس ﷺ كان يقول لأولاده وهم يطوفون حول الكعبة:

"سيروا إلى الله عرجاً ومكاسير فإن انتظار الصحة بطالة "

٢٣٤سنن أبي داود عن عمرو بن شعيب.

أى تقول كيف أسير إلى الله وأنا متعب ومريض أو مشغول، فإذا كنت ستنتظر إلى أن تفرغ من الشغل أو أن يصح الجسم فلن تجد هذا الوقت ما حييت، لكن عليك أن تسير إلى الله وتشتد على نفسك بأى حال وبأي وضع – **سيروا إلى الله عرجاً** – أى حتى ولو كنت أعرج وكذلك مكاسير فإن انتظار الصحة بطالة ؟

ومن يفعل ذلك فإنه تسويف من النفس فإذا قال أخٌ لأخيه هيا يا فلان يـرد ويقول عندى مصلحة كذا وكذا أو أنا مريض اليوم وتضحك عليه نفسه أما طالـب الله لا يكل أبداً فقد سمع قول الأمام أبو العزائم ﷺ وهو يقول

فهيا يا مريـد الوصـل وانهـض ودع عنـك التقـاعد والتـوانى

وقال ﷺ " **المحب لا يعتذر** " لا يبدى أى عذر لأنه يريد الله – فبعـد أن يحرر الإنسان نفسه من رق الأشياء وهذه هى العقبة الصعبة التي يجب على المريـد أن يجاهد فيها حتى يقطعها وفيها قال ربنا:

﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ ﴾ [البلد]

والمعنى أن تفك رقبتك مـن الـشهوات والحظـوظ والأهـواء والملـذات والمستحسنات التي تستعبد الناس فى هذا الزمان فمنهم من هو عبد للمـال أو عبـد للنساء أو عبد للمنصب أو عبد للأولاد أو غيرها من الشهوات

إذاً لا بد وأن تحرر نفسك من هذه العبودية وتفك رقبة النفس ثم **تدخل علـى** القلب وتصفيه فهو إذاً جهاد مرتب وواضح وبه تصل إلى **المشاهدة – فكمال المجاهدة** توصل الإنسان إلى نور المشاهدة...

وكان الشيخ أحمد بن إدريس ﷺ يقول لأولاده وقد أتى لهم برواية ليضرب بها المثل لكي تقرب الحقيقة، فقال: جمع ملك من الملوك جميع من عنده فى القصر وقال لهم على كل واحد منكم أن يتمنى ما يريد وأنا أقضيه له، فقال واحد منهم أريد كذا مـن المال فأعطاه ما يريد ، وقال أخر أريد أن أكون أميراً على مدينة كذا فأمر له بـذلك، وقال ثالث أريد أن أعين فى الديوان السلطاني فلباه، وبقى أخر واحد منهم ولم يطلب

أى مطلب، فقال الملك: ماذا تريد ولماذا لم تتكلم ؟ فقال الرجل: لا أريد إلا أنـــت!! فقال الملك: ما دمت قد أردتنى أنا ولا شيىء من ملكى! فإن القصر والمملكـــة كلـــها طوع أمرك !! كذلك الأمر ... فمن يريد من حضرة الله مال فإنه يعطيه لـــه:

﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ [الشورى]

أى نعطيه ما يريد أما من يريد الآخرة .. قال سنعطيها له أضعافاً مضاعفة

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ [الشورى]

أما من يريد الله فإنه يسخر له كل الأكوان العاليـــة والدانيـــة ويقـــول لـــه : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [١٣ الجاثية]، وقد ضرب الإمام أبـــو العـــزائم ﷺ مـــثلاً عظيمـــاً للـــسالك فى طريـــق الله وقـــال: عندما يمشى الإنسان وظهره إلى الشمس فأين يكون ظله ؟ أمامه فهـــل يـــستطيع أن يلحق بهذا الظل ؟ أبداً لأنه كلما أسرع يمشى الظل أمامه أما إذا كان وجهه للشمس فسيكون الظل خلفه وكلما مشى وأسرع يكون الظل وراءه .

كذلك نفس الأمر فمن كان ظهره للشمس الكلية ﷺ لا يهمه إلا الدنيا الدنية ويترك الحبيب ووصاياه وسننه وشرعه وتعاليمه، فتكون الدنيا أمامه فيمـــشى مهمـــا يمشى ويجرى مهما يجرى ... فيجد أن الدنيا تجرى أمامه ولا يحصل شيء منها، أما إذا جعل وجهه للشمس الكلية ... فوراً تشرق عليه أنوار الحبيب ﷺ الوهبية.

ومثل هذا يكون كل همه أن يرى أخلاق الحبيب لكي يتخلق بها، ويبحـــث فى سننه لكي يعمل بها، ويرى أحواله لكي يتجمل بها ويرى عباداته لكي يتأسي به فيهـــا، ومثل هذا يجعل الله الدنيا خلفه وكلما مشى تمشى وراءه .. ويسخرها له الله ويجعلـــها تتبعه كالظل... وذلك كله لأنه يريد الله .

فكل من أخلص القصد لله وولى وجهه نحو مولاه جعل الله ﷻ الدنيا بكل مـــا فيها تتبعه كظل الإنسان، وهذه هى حياة العارفين وحياة الصالحين والأمثلـــة فى هـــذا المجال لا عد لها ولا حد لها، فلا يوجد رجل من العارفين السابقين .. أو اللاحقـــين ...

إلا إذا كان على هذا المنوال يمشى والدنيا خلفه .. أو تحت قدميه .. أو يخدمها الله ﷻ له، لأنه قال لنا أنه ﷻ أصدر أمره للدنيا فقال لها (يا دنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه) ... أمر ...

لأنك عندما تشتغل لله وتصفى القلب وتجعله لله فإن الله لا يتخلى عنك ويتركك لفلان أو لفلان ، وهل تتجه إليه فيكلك إلى أحد من خلقه؟ لا يكون ذلك أبداً .. فقد قال الله فى قرآنه ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ ﴾ [الأعراف] .. هو بذاته يتولاهم فى كل طلباهم وحوائجهم إن كان أولادهم أو أبنائهم أو مزارعهم أو أعمالهم ... وكل شيء يريدونه يتولاهم الولي ﷻ !!

وإذا الولي تولى أمورك هل تستطيع أنت أن تقوم بها أفضل من ولاية الله عليها؟ بالطبع فإن ولاية الله أفضل وأكرم .. لأن الله ﷻ أعلم بمصالح الخلق لأن الدنيا والآخرة فى قبضته ولا يتحرك أحد ولا يسكن ساكن إلا بإذنه ﷻ .

إذاً لابد للإنسان من أن يطهر القلب من مساكنه الشهوات ويطهر القلب من الغفلة فى كل لحظة من اللحظات عن الله أو عن حبيبه ومصطفاه .

ولحظة الغفلة نفسها عليه أن يعتبرها ذنباً ويحاسب نفسه عليه ويقول كيف غفلت عن الله هذا النفس؟ .. كيف بعدت عن الله ﷻ فى هذه اللحظة !!

ولذلك فإن أهل هذه الجنة العالية قال فيهم الله ﴿ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ٥٦ ﴾ [الدخان] ... وأكبر عذاب عند هؤلاء هو البعد عن الله... أى أن يحكم الله ﷻ عليهم بالقطيعة والحرمان من شهود وجهه الكريم والعياذ بالله، ويعبر عن ذلك الإمام أبو العزائم فيقول:

أنا لا أخاف وحقه من ناره ... كلا ولا أبغى الجنان لطيبها

فالقرب منه جنتى ومحاسنى ... والبعد عنه ناره ولهيبها

وهذه يا إخواني هى الجنان العالية التي يعيش فيها الصالحون فقد أخذنا جنة القرآن وأخذنا جنة الحكمة العالية ونريد أن ندخل إلى جنة ذكر الله ﷻ :

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [ق]

قربت إليه قرب القرابة – ما الجنة هـنا ؟ اسم الاشارة حقيقة الجنة هو سيدنا رسول الله فهو جنة المعانى العالية والأسرار الراقية والأنوار الباقية وهذه الجنة أقـرب إليك من نفسك مـا الذى يبعدك ؟ نفسك وحسك هما حجابك وكـذا شـهواتك وحظوظك – ففر من نفسك إليه تجد نفسك بين يديه وقد قال الإمام أبو العـزائم فى ذلك (تجاوز نفسك تنل أنسك) ....

والأنس هنا هو الروح والريحان! وبالطبع لن يرى أحد ممن حولك مـا تـراه وتشعر به !!! فستكون وحدك فى هذا النعيم .... ولا يشعر من حولك بأى شيء ولا يرون أى شيء .

هنا قد يقول قائل: لا أعرف ماذا أفعل وكيف أصل إلى ذلك ؟

لكي تصل إلى ذلك لابد وأن يكون عندك خشية لله... وتبحث عـن قلـب منيب عند عبد من عباد الله .. وتتقرب إليه لكي يقربك إلى حضرة رسول الله ﷺ:

﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق]

لأنه هو الذى سيختصر الطريق!! أهذا واضح ؟؟؟

وقد ذهب رجل للإمام أبى العزائم وقال له أريـد أن أصـل إلى الله فمـاذا أفعـل؟ قال : (ابحث عن قلب قريب من الله! فإن الله ينظر فى قلوب أحبابه فى كـل يوم سبعين مرة وتقرب إليه! فإذا أحبك ودخلت فى قلبه فإذا نظر الله إليه ووجدك فيه أحبك! وإذا أحبك الله فللعمل الصالح الذى يريده وفقك وهداك).

وهذا هو سر التقرب إلى الصالحين ... فالتقرب إليهم ليس بالأموال والطعـام والشراب ولكن بالسير على منهاجهم وتشكيل الإنسان لنفسه بأوصافهم وأن يحـسن متابعتهم وأن يعمل على أن يكون على هيئاهم

فتـشبهوا إن لم تكونـوا مثلـهم إن التـشبه بالرجـال فـلاح

نسأل الله ﷻ أن يتجلى لنا بالأحوال العالية والعلوم الراقية والأنوار الصافية حتى يترلنا المنازل السامية التي بها نرى وجه الحبيب المختار ﷺ مزيناً بالأنوار.

وأن ينظمنا الله فى عقد محمد رسول الله والذين معه فنكون من أهل هذه الآية ونتكمل بهذه العناية فى الدنيا والآخرة فلا يغيب عنا ﷺ بمعناه وبنور محياه طرفة عين ولا أقل ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المجلس الحادي والثلاثون

عطايا الحبيب للحبيب [٢٣٥]

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾ [الضحى]

الحمد لله رب العالمين، يغير ولا يتغير ويحول ولا يتحول ويصرف ولا يتصرف ويجدد ولا يتجدد وكل من سواه يبلى ويموت، وهو وحده ﷻ الحي الذى لا يموت، انفرد بجمال الصفات وكمال النور فى كل الجهات وتمام الإبداع فى كل المخلوقات واحكام الصنعة فى كل الكائنات .. فهو وحده الحكيم الخبير العدل اللطيف الذى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾ [الشورى]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يحده مكان ولا يحيزه زمان، ولا يحيط به أحد من الكائنات العالية والدانية ولا الأنس ولا الجان، بل ولا يحيطون بشي من علمه إلا بما شاء، حدد أماكن لعبادته وأمرنا أن نتوجه فيها لطاعته، وأن يكون توجهنا كله لحضرته، فهو وحده المقصود من المؤمنين بالعبادة ، والمتوجه إليه ﷻ بالنوايا ، وهو وحدة الذى بيده الضر ... والنفع ... والموت ... والحياة ... والنشور وهو وحده الذى على كل شيء قدير.

---

٢٣٥ الضبعية خطبة الجمعة ٢٤ محرم ١٤٢٩ هـ ١ / ٢ / ٢٠٠٨ م بمسجد الضبعية الأقصر.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أعلى الله ﷻ قدره لما كان أعظم الخلق فى قلبه فى تعظيمه لربه، ... فكان أعظم الخلق تعظيماً لله وأكبرهم فى تتريه الله وأعلاهم شأناً فى مراقبة الله فرقاه الله وحباه وأدناه ووعده أن يأتيه كل ما يتمناه وقال له كما سمعنا فى كتاب الله:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾ [الضحى]

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث، وأول النبيين يوم الحشر والجزاء خروجاً إلى أرض المحشر والمنشر ومفتاح الجنة وحامل لواء الشفاعة ... صلَّ اللهم وسلم وبارك عليه صلاة ترزقنا بها حسن السير على منهاجه وتثبتنا بها على العمل بسنته وتجعلنا بها تحت لواء شفاعته ... وتجعل لنا بها شربة هنيئة مريئة يوم الحشر لا نظمأ بعدها أبداً آمين آمين يا رب العالمين .

إخوانى جماعة المؤمنين كان ما استمعنا إليه من آيات كتاب ربنا ﷻ اليوم آيات من سورة البقرة وآيات من سورة الضحى وآيات من سورة الانشراح وآيات من سورة قريش ... والرابط الذى يربط بين هذه الآيات ونستطيع أن نتحدث عنه فى هذا الوقت والحين حديثا موجزاً وليس حديثاً مفصلاً فإن كل آية من كتاب الله تحتاج إلى الدهر كله تفسيراً وتوصيلاً وبياناً وايضاحاً لكلام رب العالمين ﷻ ...

ولكن الرابط الذى يربط بينها كلها أن الحبيب المختار ﷺ لما أقبل على الله ﷻ بكله ... وكان فى كل أحواله متجهاً إلى ربه ﷻ لا يرفع أكف الضراعة إلا إليه ... ولا يسند ظهره إلا إليه ... ولا يعتمد فى أى أمر إلا عليه ... ولا يفوض أى شأن إلا إليه ... وكانت حياته لله ونومه لله وأكله وشربه لله وسعيه وممشاه لله ووقته كله لله ... حتى قال له الله ﷻ فى علاه ... ياحبيبى أخبرهم بهذه الحقيقة فأنا الذى آمرك بذلك :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣ ﴾ [الأنعام]

لما وجده الله ﷻ كذلك وعلى هذا الحال العلي ونظر إلى قلوب الخلق فوجده

أتقاهم قلباً لله وأنقاهم صفاءً ونوراً لحضرة الله وأكملهم توجهاً فى كل نيــة وفى كــل عمل لحضرة الله .... جعل الله ﷻ له مقابل ذلك أن يعطيه كل ما يتمناه إن كــان فى دنياه أو فى أخراه ... ولذلك اعترف لـه بهذه الحقيقة كل أصحابه حتى نـسائه ... فقد قالت له السيدة عائشة: { **ما أري ربك إلا يسارع فى هواك** }[٢٣٦] ...

أى أن كل ما تهواه يسارع فيه الله ﷻ فى علاه .. رآه بعد الهجرة إلى المدينــة يريد أن يتجه إلى قبلة إبراهيم وقد أمره الله ﷻ تأليفاً لليهود أن يتجه إلى بيت المقدس لحكمة علية وإرادة ربانية ... لكن هواه كان أن يتجه إلى قبلة أبيه إبراهيم وهى الكعبة المشرفة فماذا فعل له الله ؟ ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [١٤٤ البقرة]

ولم يخبر الله أنه سأل أو أنه نطق بدعاء أو خفق قلبه برجاء لكن كل الأمر أنــه من شدة حيائه من الله توجه إلى الله ﷻ يبثه ما فى نفسه ... ويوضح إليه ﷻ نوايــاه التي فى قلبه ...وهو يعلم أن الله لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ... فوراً قال له رب العزة: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ [١٤٤ البقرة].

قبلة لم يقل الله يرضاها ولكن قبلة أنت الذى ترضاها وأنت الذى تهواهــا ... لأنه ﷺ كان هواه مع هوى مولاه ورضاه فيما يرضى الله جل فى علاه، حــتى أن الله قــال لنا جماعــة المؤمنين : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [٨٠ النساء]، من أطاعه فكأنما أطاع الله جل فى علاه.

ويبين سر هذه الطاعة ولماذا أمرنا بهذه الطاعة ويقول عز شأنه: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ ﴾ [٥٤ النــور] تهتدوا لأرشد أحوالكم ولأصلح أعمالكم ولسبل الخير الــتي ترجونها فى الدنيا ولسبيل الفلاح الذى ترجونه فى الدار الآخرة، وتهتدوا لكــل مــا تريدون إذا أطعتم رسول الله طمعاً فى مرضاة الله جل فى علاه.

ويحذر وينذر الذين يخالفون عن أمره ولا يطيعونه ﷺ فى هديه فيقول عز شــأنه ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور] فكل بلاء يتعرض له المؤمنون وكل ضيق يحدث لأفراد أو جماعات

---

٢٣٦ المسند الجامع ، أخرجه أحمد عن عائشة رضى الله عنها.

المؤمنين ... وكل هم أو غم أو نكد يصاب به فرد او جماعة من المؤمنين ... وكل غلاء فى الأقوات وكل غلاء فى الأسعار وشح فى الأقوات ... وكل ضراء مضرة سببها يبين الله ﷻ أنـــه مخالفـــة رسول الله ﷺ !!! فإذا اتبعنا هداه ومشينا على منهاجه الـــذى به نرضى الله .... فإن الله ﷻ وعدنا كما أنبأ حبيبه ومصطفاه في من اتبع هداه واستن بسنته وعمل بشريعته ماذا قال لنا ولهم الله :

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [الشرح]

ولم يقل الله إن بعد العسر يسراً ... لكن معه! ففي الوقت الذى يأتى فيه العسر لتنبيه القلوب للرجوع إلى حضرة علام الغيوب وايقاظ النفوس لمتابعة شريعة الملـــك القدوس وتنبيه المؤمنين ليرجعوا إلى سبيل النبي وطريق النبي متشبثين ولا ينثنون عـــن طريقه طرفة عين ولا أقل ... فإذا رجعوا رجع الله لهم بـــالخيرات وجعلـــها خـــيرات وبركات ... فتجعلهم فى أرغد عيش وأسعد حال وأهنأ بال لأهم أطاعوا رسول الله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [٨٠ النساء] .

واسمع إلى الله وهو يقول فيمن أصلحوا شئوهم واتبعوا هدى نبيهم :

﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ [٥٨ الأعراف]

البلد الذى طابت قلوب أهله وصلحت نواياهم وسارعوا إلى المشي على ســـنة رسول الله وخالفوا هوى النفس واتبعوا شرع الله فى كـــل أحـــوالهم فى بيـــوقم وفى أسواقهم وفى شوارعهم وفى كل أعمالهم : فإن الله ﷻ ينبت الحبة حتى لـــو وضـــعت على الصخرة الصماء أو على الصفيحة السوداء ولو لم يصلها ماء !!! لأنه قد جاءهـــا المدد من السماء !!! يترل عليها الطل وهو الندى فلو لم يصل إليها الماء يترل عليها الله ﷻ قطرات الندى فتنبت بإذن الله ... وتخرج سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ... لأن هذه هى بركات الله لمن يعمل بشرع الله جل فى علاه.

ولم يكتفِ الله ﷻ بأن أعطاه ما يتمناه فى الدنيا والأمثلة فى ذلك كـــثيرة ولا

يسعها الوقت بل وعده أن يعطيه ويعطيه حتى يرضى فى الدار الآخرة: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [الضحى] ....

سيعطيك ما تتمناه فى الآخرة حتى ترضى وقد قال سيدي جعفر الصادق ﷺ وارضاه: لا يرضى ﷺ وواحد من أمته فى النار، لأنه كما قال الله لنا فى وصفه وكما أخبرنا عن حقيقة شأنه ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة] .

ومن شدة رحمته ﷺ بأمته أنه مفتاح الجنة ولكنه لا يدخل الجنة بعد أن يفتحها الله به إلا بعد أن يدخل آخر رجل من أمته، فيظل يتردد فى الموقف العظيم ليشفع لأهل الحساب الذين فى موقف الحساب، فعن أنس ﷺ:

{ سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أنا فاعل. قلت: يا رسول الله أين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط. قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان. قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطىء؟ هذه الثلاثة مواطن }[٢٣٧].

تارة عند الميزان ينافح عن المؤمنين ويشفع للمسلمين ليثقل الله موازين حسناقم! وتارة عند الصراط ليثبت الأقدام عند مذلة الصراط .... حتى يعبر المؤمنون إلى دار النعيم وإلى دار التكريم عند الكريم ﷻ ... وتارة عند تطاير الصحف حتى يكونون من الذين يأخذون صحفهم بأيماهم .... ويهتفون فرحين بما آتاهم ربهم!! ويقولون كما قال الله :

﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحاقة]

فإذا انتهى من موقف الحساب ووجد أن بعض المسلمين المقصرين قد أخذوا أحكاماً وأخذ بهم إلى الجحيم لينفذوا ما عليهم من أحكام – بعضهم فى سقر وبعضهم

---

٢٣٧ أخرج الترمذي وحسنه والبيهقي في البعث عن أنس

فى سجين! وبعضهم فى الحطمة! وبعضهم فى جهنم! وبعضهم فى لظى.. فهـي أقـسام وكل قسم له رجاله ... وله عذابه وله وباله ... وله أعماله التي بها يستحقون دخول هذا القسم ... فيشفع لهم عند الله ﷻ ... فيذهب إلى العـرش ويـسجد تحتـه ... ويسبح الله تعالى ... ويحمده بمحامد يلهمه الله بها فى تلك الساعة ... فيقول رب العزة : يا محمد ارفع رأسك ! وسل تعطَ! واشفع تشفع! ... فيقول : يَـا رَبِّ، ائْـذَنْ لي فِيمَنْ دخل النار من أمتي ولذلك قال ﷺ:

{ شَفَاعَتِي لِاهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَتِي }[238]

فيقول الله تعالى: له اذهب إلى النار وأخرج منها من كان فى قلبه مثقال حبة من شعيرة من الإيمان، فيذهب إلى النار ويخرجهم، ثم يرجع إلى الله ويسجد تحت العـرش ويثنى على الله ويحمد الله فيناديه الله يا محمد: ارفع رأسك وسل تعطَ واشفع تـشفع! فيقول: يا رب إإذن لى فيمن دخل النار من أمتي، فيقول له: اذهـب إلى النار فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال حبة من برة من الإيمان، ولا يزال يتردد بين الله ﷻ وبين النار حتى يقولالرحيم بأمته الرءووف الرحيم كما أسماه مولاه وخالقه:

{ يَا رَبِّ، ائْذَنْ لي فِيمَنْ قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ اللّهُ }.[239]

نعم ...رحمة مهداة ... ونعمـة مسداة .. يقـول فى ذلـك ﷺ : { أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا. لِوَاءُ الحَمْـدِ يَوْمَئِـذٍ بِيَـدِي، وَأَنَـا أَكْـرَمُ وَلَـدِ آدَمَ عَلَـى رَبِّـي وَلاَ فَخْـرَ }[240] ... أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقـنون بالإجابة.

الخطبة الثانية : الحمد لله الذى جملنا بالهدى والإيمان وجعلنا من عباده المسلمين والشكر لله ﷻ أن ثبت الإيمان فى قلوبنا وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته فى كل وقت وحين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إذا أحب عبداً فقهه فى الدين وألهمه العمل الصالح الذى يرضيه ﷻ يـوم الـدين وحفظـه مـن المعاصـي والمخالفات بحفظه ليكون من المؤمنين الصالحين.

---

٢٣٨ مسند الإمام أحمد والترمذي عن أنس.
٢٣٩ صحيح البخارى ومسلم عن معبد بن هلال العنزى.
٢٤٠ سنن الترمذي عن أنس بن مالك.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ... قائد الغر الميامين ﷺ الذى أجاب عندما سئل كيف تعرف أمتك يوم القيامة؟ قال :{ إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ}[٢٤١] أى يأتون يوم القيامة وكل من مسَّه الماء أثناء الوضوء عليه نورٌ ظاهر يلمع فى الموقف العظيم الذى ليس فيه نور إلا نور الأعمال ونور الصالحين الذين أبرزهم الله فى هذا المجال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور].

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد إمام المتقين وسراج قلوب المؤمنين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته المباركين وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين ... إخواني وأحبابي يا من أكرمكم الله ﷻ ... وجددتم هذا المسجد أبشروا بفضل الله وبسعة كرم الله يكفيكم فخراً وشرفاً قول حبيب الله ومصطفاه:

{ مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِداً بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْراً فِي الْجَنَّةِ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ وَزَبَرْجَدٍ }[٢٤٢]

ووصيته ﷺ لأصحابه بأن الذى يقم المسجد أى ينظفه ويكنسه: { وَإِخْرَاجُ الْقُمَامَةِ مِنْهَا مُهُورُ الْحُورِ الْعِينِ}[٢٤٣] أما الذى يسرج المصابيح فقد وصى رسول الله ﷺ تميماً الدارى -كان من فلسطين وجاء وأسلم على يد النبى- فسأل حضرة النبى عما له عند الله إذا أسرج المصابيح فى بيت المقدس فقال ﷺ:

{من أسرج في مسجد من مساجد الله سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوء من ذلك السراج }[٢٤٤]

وذلك لأنه أضاء بيت الله للمصلين والقائمين والساجدين والعابدين لله رب العالمين ناهيك عن أعمال المساجد الأخرى ... فمن درَّس فيه علماً فقد فتح روضة من رياض الجنة للجالسين حوله... ومن افتتح حلقة قرآن فقد افتتح روضة من رياض الجنة للتالين بين يديه.... ومن افتتح حلقة ذكر فقد افتتح روضة من رياض الجنة للمشاركين له فى ذكر الله سر قوله ﷺ :{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا

٢٤١ صحيح مسلم عن نعيم بن عبدالله.
٢٤٢ ابن النجار عن أبي هدبة عن أنس.
٢٤٣ رواه الطبراني فى الكبير عن أبي قرصافة.
٢٤٤ مسند الحارث عن أنس بن مالك.

وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ }[٢٤٥] ، فى رواية: قال مجالس العلم وفى أخرى قال: حلق الـذكر، وفى رابعة: قال: مجالس القرآن، وقال المساجد.

فأعلمنا أن هذه المجالس كلها روضات من الجنة فى بيوت الله مفتوحة للطالبين والراغبين من عباد الله أن يدخلوا الجنة وهم فى الدنيا ... وتحيط بهم الملائكة من العرش إلى الفرش. ويتنزل الله ﷻ لهم برحمته وفى قلوبهم بسكينته ويجعلهم فى الدنيا والآخرة من أهل قربه ومودته ... لكن الحبيب المختار ﷺ أمرنا أن نجدد دوماً إن شئنا فى كل صلاة وإن شئنا فى كل يوم وليلة أن نجدد صلتنا بالله وعقيدتنا مع الله فقال {جَدِّدُوا إِيمَانَكُم}[٢٤٦] أمرنا أن نجدد الإيمان بأن نجدد القلوب والنوايا التي فيها والطوايا والحنايا التي فى تجاويف القلوب حتى تكون محل نظر علام الغيوب ﷻ .

نسأل الله ﷻ أن يجدد إيماننا ، وأن يصلح جميع أحوالنا، وأن يبارك فى كل من قام بعمل فى هذا المسجد ببركة فى جسمه وبركة فى رزقه وبركة فى أهله، وأن يكون من المقربين يوم الدين ، وأن يجعله الله ﷻ تحت لواء الشفيع الأمين وأن يجعل مثواه الجنة مع عباده الصالحين وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس الثانى والثلاثون

صلاح القلب لله[٢٤٧]

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين ... جعل الله ﷻ بيتاً فى الأرض نبنيه ونجهزه لطاعته وعبادته ... وجعل الله ﷻ بيتاً فى كل إنسان بناه الرحمن وزينه بالإيمان ليظهر فيه عند العبادة الإخلاص والحضور والنوايا الطيبة التي تصلح شأن كل إنسان وتصلح شأن كل المجتمعات الإنسانية – هذا البيت والحمد لله قد جهزناه وأصبح صالحاً لطاعة الله ... لكن البيت الذى نحتاج أن تجهزه باستمرار ونواظب على تجديده ليل نهار ... والذي يقول فيه الحبيب :

---

٢٤٥ رواه أحمد والترمذي والطبراني فى الكبير.
٢٤٦ مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة.
٢٤٧ الضبعية الجمعة ٢٤ محرم ١٤٢٩ هـ ١ /٢/٢٠٠٨ م درس بعد صلاة الجمعة بمسجد الضبعية مركز الأقصر

{ أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ }[٢٤٨] ... هذا البيت بناه رب العلمين والقلب ليس هو القلب الحسي الذى فى الجسم وعلى شكل ثمرة الكمثرى ويجرى فيه الدم لأنه عبارة عن مضخة تستقبل الدم وتنقيه ثم تضخه لجميع أجزاء الجسم ...

لكن القلب الذى يحتوى على الإيمان ويتنزل فيه القرآن وبه الإخلاص والخشية والخوف والرجاء ... وبه أيضاً التوجه إلى الله عند كل عمل – فأين يكون هذا القلب؟ موجود فينا بالمعنى الذى جعله الله لنا ... ولا يستطيع معرفة مكانه إلا من يقول للشيء كن فيكون ... هذا القلب جهزه الله وقال فيه :

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ [٢٢ المجادلة]

إذاً من وضع فيه الإيمان؟ هو حضرة الله ... وعندما كتب الله الإيمان لم يكتبه كتابة عادية ... لكنها كتابة مزركشة ومزخرفة ومزينة بنور الله .... وجعلنا نحب الإيمان وأعمال الإيمان .

إذاً لم يحب أحد منا الإيمان من نفسه! ولم يحب أحد منا القرآن من نفسه! ولم يحب أحد منا حضرة النبي من نفسه! ولم يحب أحد منا الصلاة والصيام وغيرها من العبادات من نفسه! لأنه سبحانه وتعالى هو الذى حببها لك:

﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [٧ الحجرات]

أى حبب إليكم الإيمان ... وأعطاه زينته وهو الخشوع والخشية والخوف من الله .... والحضور مع حضرة الله .... والرجاء فى الله جل فى علاه.... والرغبة والرهبة والتوكل على الله .... وتفويض الأمور لحضرة الله .

كل ذلك هو زينة الإيمان .. ومن أوجدها فى القلوب هو الرحمن ﷻ .. بل إنه حرَّم على الشيطان أن يدخل القلب لأنه لو دخل يسرق الإيمان! وآخر منطقة يدخلها الشيطان هى الصدر ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ ﴾ [الناس]

---

٢٤٨ صحيح البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير.

إذاً لا يستطيع أن يصل إلى القلب فالقلب محفوظ بحفظ الله لك يا أيها المؤمن!!

وهذا فضل الله عليك، إذاً المفروض على أى مؤمن أن يكون فى قلبه خشية لله وفيه خوف من الله وفيه حب لله ولكتاب الله ولرسول الله وللصالحين من عباد الله، وبه كل هذه الصفات الجميلة والمقامات الكريمة التي ذكرها لنا الله فى كتاب الله.

ولكن فى زحمة هذه الحياة وفتن الدنيا والشهوات والحظوظ والأهواء والملذات فترت زينة الإيمان التي فى القلوب ... وتغيرت! بل وأحياناً لا قدَّر الله تتحول وبدلاً من أن يخاف المسلم من الله يخاف من الناس! ولا يخاف من الله وهذه مصيبة كبرى! لأنه بذلك استدار بالكلية وبدلاً من أن يحب الله ورسوله وكتاب الله أحب المال أو المنصب الذى يشغله عن الله وعن طاعة الله ..

أو يحب الدنيا مع أن النبي حذر وقال :

{حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ}[٢٤٩] مع أن المفروض يا أحباب أن نستعين بالدنيا على الوصول إلى رضوان الله وحسب .

إذاً يا إخواني علينا أن نجدد هذه الأحوال باستمرار لكى يظل الإنسان إنساناً بمعناه .... ويقول فيه الله فى سورة الأحزاب (آية ٣٩) :

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ ﴾

ولأن هذه الآية علينا كلنا بلا استثناء ... نهرب ونتهرب ونقول أن هذه الآية لإخواننا العلماء فقط : وعلىَ أن أقرر أمامكم جميعاً الآن أن كل مسلم مطالب بهذه الآية ... فمن الذى سيبلغ الرسالة لزوجتي وأولادي ؟ أنا ...

إذاً فأنا مطالب أن أبلغ أولادي وأهلي ومن حولي .... ومطالب كذلك أن أبلغ المجتمع كله رسالة الله ... لكن ليس بالكلام والبيان .... بل بالسلوك والعمل الذى كان عليه المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وأصحابه الكرام .

أما بلاغ العلماء فموجود والحمد لله! والفضائيات تعمل ليل نهار!!

٢٤٩البيهقي فى الشعب وابن أبي الدنيا عن الحسن.

والإذاعات كذلك تعمل ليـــل نهار!! لكـــن أيـــن السلوكيات الخاصة بالمؤمنين؟

لا توجد!!!! لأننا قصرنا السلوكيات عـــلى الصلاة والصيام والحج والعمـــرة والـــزكاة .. فهناك تنافس عـــلى العمرة والحـــج ... وهـــناك تنـــافس علـــى الصلاة... واقامة بيوت الله ... والحمد لله وهنـــاك تنافـــس على تحفيظ القرآن ... وبـــناء المعاهد والحمد لله .

لكننا نريد الأهم !!!وهو التنافس على السلوكيات التي كان عليها رســـول الله وأصحابه الكرام ... لأنها لب الدين وصلب الدين.

لماذا جئت بالصلاة يارب ؟

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [٤٥ العنكبوت]

ولذلك ورد فى الحديث :

{ مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاَتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ بُعْداً }[٢٥٠] وكذلك الصيام قال فيـــه ﷺ { إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْماً صَائِماً، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ. فَإِنِ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ. إِنِّي صَائِمٌ }[٢٥١].

وكذلك الحج قال فيـــه الله :﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ [١٩٧ البقرة].

بعد ذلك علينا أن نسأل سيدنا رسول الله ونقول : لماذا جئت لنا يا رسول الله بكل هذا الدين! وكل هذه التشريعات ؟ فقال :

{إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ }[٢٥٢] .

أى جئت بكل ذلك لتهذيب النفوس وتصفية القلوب لكي يتجمـــل النـــاس بالأخلاق الطيبة التي يحبها الله ﷻ ... إذاً ما الأخلاق التي يريدها الله ؟

٢٥٠رواه الطبرانى عن ابن عباس.
٢٥١صحيح مسلم عن أبى هريرة.
٢٥٢سنن البيهقى الكبرى عن أبى هريرة.

ورد فى الأثر المشتهر: { **إن الله يحب من خلقه من كان على خلقه** }.

وقد كان السيد ﷺ يصلى الليل حتى تتورم منه الأقدام ... وكان يواصل الصيام ... وكان لا يخرج إلا على ذكر ... ولا يدخل إلا على ذكر... ولا يجلس إلا على ذكر ... ولا يقف إلا على ذكر ... ولا ينام إلا على ذكر ... حتى أنه كانت تنام عينه وقلبه يذكر الله وهو فى المنام ... (ذلك لأنه مشغول بذكر الله على الدوام) ومع ذلك كله وأكثر عندما مدحه الله بماذا مدحه ؟

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم]

مدحه بالأخلاق .

والأنصار الذين كانوا يتسابقون فى طاعة الله ليل نهار فمنهم الذى كان لا ينام الليل، ومنهم الذى كان يصوم الدهر، ومنهم من كان يتلو القرآن فى كل يوم وليلة مرة، ومع ذلك كله !!! أنظر عندما مدحهم الله ... بماذا مدحهم .. قال:

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [٩ الحشر].

مدحهم بالحب لرسول الله ... ﷺ وكذلك:

﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [٩ الحشر]

فهل هذه الصفات تشتمل على أية عبادات من التي نبحث عنها ونهتم بها ؟ أبداً!!! ولذلك عندما جاء رجل لسيدنا عمر يشكو رجلاً آخر، فجاء المشكو بشاهد من عنده، وقال: يا أمير المؤمنين أنا لست كذلك وهذا الرجل يشهد لى، فقال أمير المؤمنين للشاهد تعالَ هل أنت جاره الذى يطلع عليه؟ قال: لا!، قال: هل سافرت معه لترى أخلاقه؟ قال: لا ، قال: هل عاملته؟ قال: لا ، قال: أظنك رأيته يركع ركعات ويسجد سجدات فقلت أنه رجل صالح؟

الدين المعاملة! وسيدنا رسول الله قال ذلك وهذا ما نحتاجه جماعة المؤمنين.

ولكي نرتاح ... ومن أجل أن يغير لنا الله كل الأوضاع التي نشكو منها كلنا.. فإن ذلك لا يحتاج أكثر من الفرائض التي نؤديها لله ... بشرط أن نحرص على التعامل بأن يكون بشرع الله ... أن يكون بشرع الله ....

نريد أن يكون البيع والشراء فى الأسواق وفق شرع الله، وكذلك المحلات والحوانيت وأن تكون المعاملات بين الجيران والأهل والأقارب وكل المسلمين وفق شرع الله وأخلاق الله وأوصاف حبيب الله ومصطفاه ﷺ ، وهذا ما كان عليه المسلمون فى العصر الأول وهذا هو الجمال الذى أدخلوا به الأمم الكافرة فى دين الله أفواجاً .... فجميع من دخل الإسلام فى بداية الدعوة الإسلامية وإلى يومنا هذا ... لم يدخلوا لأنهم رأوا المسلمين يصلون فى المسجد .

ولكن لأنهم إختبروا المسلمين فى التعاملات فوجدوهم إمناء يتصفون بالأمانة .. ووجدوا عندهم الصدق فلا يكذب أحد منهم أبداً فى الجد أو الهزل ...وعندما وجدوا هذه الأخلاق الكريمة أعجبوا بها وقالوا: من الذى أمركم بمكارم الأخلاق هذه؟ قالوا: دين الإسلام! فعرفوا أنه دين مكارم الأخلاق .

ولذلك من يريد أن يكون مع رسول الله ﷺ فى الدار الآخرة ومن أحب أن يكون قريبا منه .... عليه أن يندرج تحت قوله ﷺ:

{ إنَّ أَحَبَّكُمْ إليَّ، وأَقربَكُمْ مِنِّي في الآخِرَةِ، أحاسِنُكُمْ أخلاقاً}[253]
ما صفاتهم؟ قال: **{ الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافاً }** المتواضعون **{ الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ }**.

أما المتكبرون والذين زاد عددهم فى هذا الزمان ... واستشرى مرضهم ... تجد أن كل واحد فى رصيده فلوس يدوس على الرؤوس! أو إذا وجدت من أعطاه الله منهم منصباً فى الدنيا يقول أسخر كل أهل الدنيا فأين يكون هؤلاء ؟

قال النبى وجدت على باب الجنة مكتوباً: **{لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ}**[254] فهل هناك مسلم يتكبر على مسلم ؟

٢٥٣صحيح ابن حبان عن أبي ثعلبة الخشني.
٢٥٤صحيح مسلم عن علقمة بن عبدالله.

يتكبر على الكافر نعم! أما على المسلم فلا !

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [٥٤ المائدة] الآن انقلبت هذه الآية حيث نتذلل للكافرين لأننا نريد منهم خيرات الدنيا ونتكبر على المؤمنين عكس ما طلب الله وما بين رسول الله

إذاً من يريد أن يكون مع رسول الله ... عليه أن يكون متصفاً بقوله ﷺ أحاسنكم أخلاقاً ما هيئتهم ؟ الموطئون أكنافاً الذين يتواضعون للفقير والمسكين!!

وقد كان ﷺ يتواضع للجميع وكان يمشى فى الطريق فتقابله المرأة وتقول: يا رسول الله إني لى إليك حاجة فلا يقول لها عليك أن تأخذي موعد من مدير المكتب أو تعالى يوم كذا الساعة كذا – ولكنه يقول – (**يا أمة الله إجلسى فى أى ناحية من الطريق أجلس إليك**) ... وهذا هو الأدب والتواضع الذى رفعه الله به .. (ومن تواضع لله رفعه) يرفعه الله فى الدار الآخرة.

من الذى يريد عملاً يثقل به الميزان ؟ ليس الصلاة والصيام والحج وتلاوة القرآن وإنما قال ﷺ : { **أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الخُلُقُ الْحَسَنُ** }[٢٥٥]

إذاً ما نحتاجه هذه الأيام يا إخوانى هى الأخلاق والمعاملات على شرع الله – لكن الآن إعتقد كثير من المسلمين أن ما عليهم لله هى العبادات، أما المعاملات فكلٌّ يمشى على حسب هواه وفقط.. وهذه فكرة سببها العلمانية الموجودة فى بعض البلاد والتي فيها الإسلام مهمش!! وقد وقعنا فى هذه الورطة!! فكانت النتيجة كما نرى مما نحن فيه من الغلاء والوباء والمشاكل !!! وكل ذلك سببه أننا لا نرحم بعض بعضاً، فمن الذى يرحمنا ؟ فلو قلنا يارب ليل نهار!! فلن يسمع لنا، إذاً ... نحن نريد الرحمة فكيف نطلبها؟ الرسول بين الطريق ... ووضح السبيل وقال:

{ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمُكُم مَنْ فِي السَّماءِ }[٢٥٦]

---

٢٥٥ مسند الإمام أحمد عن أبى الدرداء.
٢٥٦ سنن الترمذى وأبى داود عن عبدالله بن عمر.

كما نرى فان الرحمة لا يلزمها الدعاء وإنما يلزمها السلوك – أن نكون رحماء على بعضنا .. وإذا رحمنا بعضنا فستتغير الأحوال ... وينظر الله إلينا بعين رحمته وعين قربه ومودته وفى لحظة .. ما بين طرفة عين وانتباهتها يبدل الله من حال إلى حال:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٩٦ الأعراف]

هل الإنسان يفعل شيئاً فى الخيرات ؟ أبداً! فأنت تضع البذرة فى الأرض! ولكن .. من الذى أوجد هذه البذرة من البداية ؟ ...الله ﷻ !

ومن الذى وضع فيها سر الإنبات ؟ الله سبحانه وتعالى !! وقد وضع فى كل حبة خريطة ربانية أن هذه الحبة سيخرج منها شجرة طولها كذا وسيقان بها أوراق عددها كذا وكم ثمرة ؟ ولون وحجم كل ثمرة وطعمها ومن الذى سيأكلها والميعاد الذى سيأكلها فيه – وهذا سر رب العالمين ﷻ

هذا بالنسبة للنبات أما بالنسبة للخيرات التي تتحكم فى العالم كله فمن الذى يصنع البترول ؟ لم يصنعه احد فهو موجود فى الأرض والذي صنعه خالق الأرض ﷻ كل ما فى الموضوع أنهم يأتون بأجهزة لكي يكتشفوه ثم بعد ذلك يخرجوه لكن إذا كانت هناك أرض خالية من البترول هل يستطيعون تصنيع البترول منها ؟

لا!! من إذاً الذى يوجد البترول أو النحاس أو الذهب أو كل هذه المعادن ؟ الله رب العالمين! كذلك الأسماك التي تسبح فى البحار فى كل الأقطار! من الذى يقربها من الشاطئ القريب منى ومن الذى يبعدها عنه؟ .. الرزاق ﷻ .... إذاً كل الأمر فى يد الرزاق ﷻ !! ... وكل ما علينا هو .. وقد سبق أن قلناه .. ونكرره مرارا !!!:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ – أما الرزق فلا شأن لك به ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [١٣٢ طه].

ولذلك فإن السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها حدث فى عصرها غلاء كالحادث عندنا الآن فذهب إليها من يقول أن أسعار الحبوب كذا وكذا فقالت: وعزة

ربى لو صارت الحبة بدينار ما اهتممت – فقالوا لماذا ؟ قالت: عليَ أن أعبـده كمـا أمرني وعليه أن يرزقني كما وعدني!! فأنت عليك شئ وهو سبحانه عليه شئ!، فأنـت تتدخل فيما ليس لك وتريد أن تأخذ ما للعلى القدير وتتعجل مع أن الـشيء الـذى قدره لك مولاك لابد وان يأتيك فى يدك قبل أن تغادر الدنيا !!!!!! لا محالة!

فكل ما فى بطاقة التموين الخاصة برب العالمين لك لابد وأن تصرفه، ففى الأثر: **ما قدر لماضغيك أن يمضغاه ... فلابد أن يمضغاه، .. فكله ويحك بعزٍ ... ولا تأكله بذل**[257].

أما إذا كنا متعجلين ونظن أننا سنكثر... فنركب الصعب ونسلك الطريـق الحرام من غش وخداع ونصب واحتيال ... ونظن أننا سنكثر الأرزاق مع أن الإنسان لن يأخذ إلا ما قدره له الرزاق ﷻ ... لكنه عندما تعجل فبدلاً من أن يأخـذه مـن حلال أخذه من حرام ...وهذا لا ينبغى أن يكون فى أى بلد مسلم لأن النبي يقـول : { **مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا** }٢٥٨ و :{ **مَنْ غَشَّ أُمَّتِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** }[259]، إذاً من المفروض ألا يكون فى الأمة واحد فقط غشاش فالله يقول: ﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾ [الشعراء]

ونحن ننقص من الكيل يقـول ﷺ :{**التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأمِينُ، مَعَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَداءِ**}[260] أى فى المنصب العالي فنرد ونقول لا نريد – أريد منـصباً فى الدنيا أو أريد أن أكون تاجراً مشهور ....

وهذا يا إخوانى هو سبب مشاكل الأمة كلها ... أننـا تركنـا الـسلوكيات الإسلامية فى المعاملات وفى الأخلاق .... وركزنا فى العبادات وفرقنا بينهما ... وقلنا أن هذه نقره وتلك نقره أخرى ... وأن كل ما عليَ هو الـصلاة والـصيام والحـج والزكاة ... أما المعاملات والأخلاق فلا !!!

وقد قالوا يا رسـول الله : { **إن فلانه تصلى الليل وتصوم النهار وفى**

---

٢٥٧ القرطاس لحسن شرف الدين..
٢٥٨ رواه البزار عن عائشة.
٢٥٩ (قط) فى الأفراد عن أنس (جامع الاحاديث والمراسيل)
٢٦٠سنن الترمذي والدارمي عن أبي سعيد.

لسانها شيء يؤذى جيرانها سليطة، قال لا خير فيها هى فى النار }[٢٦١] ، فأين صلاتها وصيامها وقيامها ؟ لم تترجم هذه العبادات ترجمة عملية فى سلوكياتها مع جارتها المسلمة – يقول ﷺ فى حديثه الصحيح الذى رواه الإمام مسلم:

{ أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، مَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ } .، وذلك بحسب كل الروايات لأن المؤمن ليس بكذاب كما قالﷺ: **{ لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَه }**[٢٦٢]

نسأل الله ﷻ أن يغير حالنا إلى أحسن حال وأن يصلح أحوال هذه الأمة رجالاً ونساءً وشباباً وشيوخاً وأن يجعلنا بأخلاقه متمسكين وبسلوكيات المؤمنين عاملين وأن يرزقنا اتباع النبي فى كل وقت وحين وأن يحول حالنا إلى حال يرضيه عنا فينظر إلينا نظر عطف وحنان فيبارك فى المزروعات ويبارك فى الخيرات ويبارك فى الأجساد ويبارك فى الأسماع والأبصار ويبارك فى كل شيء لنا فى بلدنا ويجعلها بلدة طيبة مباركة آمنة مطمئنة ولا يحوجنا إلى الكافرين والمشركين طرفة عين ولا أقل ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

==== إنتهى بحمد الله تعالى وحسن معونته ====

مفتاح إختصار أسماء كتب الحديث كما ورد بالجامع الصغير (نقلاً عن كنز العمال):

(خ) للبخاري، (م) لمسلم، (ق) لهما، (د) لأبي داود، (ت) للترمذي، (ن) للنسائي، (٥) لابن ماجة، (٤) لهؤلاء الأربعة، (٣) لهم إلا ابن ماجه، (حم) لأحمد في مسنده، (عم) لابنه في زوائده، (ك) للحاكم في مستدركه وإلا فمبين، (خد) للبخاري في الأدب، (تخ) له في التاريخ، (حب) لابن حبان في صحيحه، (طب) للطبراني في الكبير، (طس) له في الأوسط، (طص) له في الصغير، (ص) لسعيد ابن منصور في سننه، (ش) لابن أبي شيبة، (عب)لعبد الرزاق في الجامع، (ع) لأبي يعلى في مسنده، (قط) للدارقطني في السنن وإلا فمبين، (فر)للديلمي في مسند الفردوس، (حل) لأبي نعيم في الحلية، (هب) للبيهقي في شعب الإيمان، (هق) له في السنن، (عد) لابن عدي في الكامل، (عق)للعقيلي في الضعفاء، (خط)للخطيب في التاريخ وإلا فمبين.(إنتهى).

---

٢٦١ عن أبي هريرة المستدرك على الصحيحين و غيرها.
٢٦٢ مصنف ابن أبي شيبة عن أنس.

نبذة عن المؤلف فضيلة الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

الميلاد: ١٨/١/١٩٤٨م، الجميزة، مركز السنطة – غربية – ج م ع.

المؤهل: ليسانس كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٧٠م.

العمل: مدير عام بمديرية طنطا التعليمية سابقاً.

النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية، كما يتجول فى جميع الجمهورية والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة.

بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام، وله الكثير من التسجيلات الصوتية والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة.

وأيضا من خلال موقعه على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت WWW.Fawzyabuzeid.com والذى تم افتتاحه بعد التطوير وأصبح أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى أربعين عام مضت.

دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد، والأحساد، والأثرة، والأنانية، وغيرها من أمراض النفس.

٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.

٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن الكريم وعمل الرسول ﷺ وأصحابه الكرام.

هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وكذلك بترسيخ المبادئ القرآنية.

قائمة مؤلفاته :

أولا : من أعلام الصوفية

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط) ٢- الشيخ محمد على سلامة سيرة وسريرة.
٣- المربى الربانى السيد أحمد البدوى. ٤- شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى.

ثانيا : الدين والحياة :

٥- زاد الحاج و المعتمر (٢ط) ٦-٧- نفحات من نور القرآن ج١،ج٢. ٨- مائدة المسلم بين الدين و العلم.
٩- نور الجواب على أسئلة الشباب. ١٠- فتاوى جامعة للشباب. ١١- مفاتح الفرج (٧ط) (ترجم للأندونسية). ١٢- تربية القرآن لجيل الإيمان (ترجم للإنجليزية والأندونسية). ١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات

فى الإسلام.١٤- كيف يحُبك الله (تحت الترجمة للأندونيسية). ١٥-كونوا قرآنا يمشى بين الناس (تحت الترجمة للأندونيسية).١٦- المؤمنات القانتات. ١٧- فتاوى جامعة للنساء. ١٨- قضايا الشباب المعاصر.

الخطب الإلهامية: المجلد الأول :(طبعتان مجزأة ومجلد واحد)

١٩- ج١: المولد النبوى. ٢٠- ج٢: الإسراء و المعراج. ٢١- ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران. ٢٢-ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر المبارك. ٢٣- ج٥ : الحج و عيد الأضحى المبارك. ٢٤- ج٦ : الهجرة و يوم عاشوراء. ٢٥- الخطب الإلهامية (المجلد الأول :المناسبات الدينية) ط٢ (كتاب واحد)

ثالثا : الحقيقة المحمدية :

٢٦- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط). ٢٧- الرحمة المهداة. ٢٨-٢٩ إشراقات الإسراء:ج١(٢ط)، والجزء الثانى. ٣٠- الكمالات المحمدية ٣١- واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسولﷺ (ترجم للإنجليزية).

رابعا : الطريق إلى الله :

٣٢- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين(ترجم للأندونسية). ٣٣- أذكار الأبرار. ٣٤- المجاهدة للصفاء و المشاهدة. ٣٥- علامات التوفيق لأهل التحقيق. ٣٦- رسالة الصالحين. ٣٧- مراقى الصالحين. ٣٨- طريق المحبوبين و أذواقهم. ٣٩- كيف تكون داعياً على بصيرة. ٤٠- نيل التهانى بالورد القرآنى. ٤١- تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب فى يوم عاشوراء للإمام القاوقجى (تحقيق).

خامسا : دراسات صوفية معاصرة :

٤٢- الصوفية و الحياة المعاصرة. ٤٣- الصفاء والأصفياء. ٤٤- أبواب القرب و منازل التقريب. ٤٥- الصوفية فى القرآن والسنة (٢ط) (ترجم للإنجليزية). ٤٦- المنهج الصوفى والحياة العصرية. ٤٧- الولاية والأولياء. ٤٨- موازين الصادقين. ٤٩- الفتح العرفانى. ٥٠- النفس وصفها وتزكيتها. ٥١- سياحة العارفين.

سادساً: سلسلة شفاء الصدور

٥٢- مختصر مفاتح الفرج (٣ط). ٥٣- أذكار الأبرار (٢ط). ٥٤- أوراد الأخيار (تخريج وشرح).(٢ط) ٥٥- علاج الرزاق لعلل الأرزاق (٢ط). ٥٦- بشائر المؤمن عند الموت.٥٧- أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام. ٥٨- مختصر زاد الحاج والمعتمر.

سابعاً: تحت الطبع للمؤلف :

١- الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى ٢- أحسن القول. ٣- نسمات القرب. ٤- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ط٢) ٥- أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام (ط٢). ٦- حقائق التصوف النقيّ.

تطلب جميع المؤلفات من جميع المكتبات الكبرى بالقاهرة والأقاليم، ودور توزيع الأهرام والأخبار ودار الشعب ودار المعارف والهيئة المصرية العامة للكتاب ، كما يمكن تنزيل جميع الكتب من موقع WWW.askzad.com ، أو تطلب من الناشر: دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ المعادي، القاهرة ، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠٠

الفهرست